

**THE BOOK WAS
DRENCHED**

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_191044

UNIVERSAL
LIBRARY

رواية

ملك النور

تعريب

الكاتب الروائي الشهير المرحوم

طانيوس عبده



حقوق الطبع محفوظة للمترجم طبعها ونشرها

بني يونس تري

صاحب مطبعة المعارف وبكيتها بمصر

١٩٢٨

كلمة الناشر

تقدم الى القراء الرواية الثانية « مَلِكُ النُّورِ » وهي إحدى الروایتين اللتين اتفقت مطبعة المعارف عليهما مع الكاتب الروائي الشهير المرحوم طانيوس عبده قُبيل وفاته أما الأولى فهي رواية « ابنة المُرْكيز » وقد صدرت من مطبعتنا أخيراً

ورواية « مَلِكُ النُّورِ » هذه هي أغرب الروايات حوادث وأخباراً وأرقها أسلوباً وانشاء وقد حدثت وقائعها في بلاد الهند الكثيرة الغرائب والمدهشات ويطلع القارئ في سياق فصولها على كثير من عادات القوم ومعتقداتهم وأسرار كهنتهم ومعابدهم وغير ذلك مما يستوقف النظر والفكر

نجيب منري

صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها

رواية مَلِكِ النُّورِ

القسم الأول

كنز الاله سيوا

تبدأ حوادث هذه الرواية في كلكوتا عاصمة الهند سنة ١٧٥٧ فقد كان السير روبرت ويلدن سائراً على جواده عند بزوغ الفجر من شاندر ناجور الى كلكوتا وهو من أشرف نورمانديا ولا يزال في مقتبل الشباب وكان يسير بين الأشجار والحقول وهو يناجي نفسه فيقول :

إن الشريف لا يمحنت بما وعد وقد وعدت تلك المنكودة الحسناء اللادى سيسلى زوجة اللورد سبيرتهون حاكم الهند أن أخلصها من أخيه السير جاك الأحذب

وقد أتى هذا الأحذب الشقى أمس الى كلكوتا يحمل نبأ موت ليونيل الصغير ابن اللورد الحاكم

غير أن اللادى كتبت الى أيضاً في اليوم نفسه وها أنا الآن على أتم التأهب

وفيما هو سائر رأى أمامه رجلين كان أحدهما يحمل طفلة على كتفيه
وكانا يلتفتان من حين الى حين الى الوراء فقال السير روبرت في نفسه
ترى العلمما يحتاجان الى

وقد دفع جواده حتى وصل اليهما وسمع أحدهما يقول لرفيقه :
لقد تعبت من حمل توسى وحبذا لو كان هذا الفارس يضعها أمامه
على جواده الى أن نبلغ كلكوتا

فأجاب رقيقه وهو فتى لا يتجاوز الساعة عشرة من عمره اسكت
ياناثايل فانك ستبقى مدى حياتك جباناً مستكدياً دون قلب . هات
طفلةك فانا احملها ولا نحتاج الى هذا الرجل

فقال له السير روبرت أراك شديد الكبرياء أيها الفتى
قال نعم ويحق لى أن أتكبر

وقد حاول أن يستمر في سيره فأوقفه السير روبرت وقال له

أرى أنك من طائفة النور الرجل وأنت لم تقل لى هذا القول
إلا لحقكم علينا ولكنى لست ضابطاً فى الجيـس ولا عضواً فى مجلس
اللوردية أى لست من الذين طردوكم من لندرا وما زال رفيقك قد
تعـب من حمل بنته فلماذا لا أحملها على جوادى وهو لا يتعب من حملها
ثم التفت الى الرجل الكهل وقال له هات بنتك وقل لى أين أضعها
حين أصل الى كلكوتا

قال تفضل يا سيدي وضعها فى الحانة الكائنة عند باب العاصمة فان
صاحبها يعرفنى ويعرف بنتى

فأخذها فوضعها أمامه على الجواد وابتعد عنهما فقال الفتى لرفيقه لقد
أخطأت يا ناثايل بما فعلت

قال الحق أنه اذا رضى أن يكفل بنتى ويتولى تربيتها يكون قد
أحسن الى غاية الاحسان

قال كيف ذلك أنتخلى عن بنتك

- بلاء الارتياح فانها سيئة الطباع ترهقنى ببكائها من الصبح الى
المساء وانى أصبحت مضطراً بعد موت أمها الى أن أصبحها معى أين ذهبت
وفوق ذلك فقد حاولت أمس أن تخنق ذلك الكلب الصغير وهو كل
مورد رزقى كما تعلم

- لا تنس انى سأغدو يوماً ملك النور

- ماذا تعنى

أعنى انى فى هذا اليوم أطرّدك أقبح طرد فانك شر الآباء ولا يليق
بالطائفة أن تكون منها

فضحك ناثايل وقال انى اذا لم أصلح أن أكون رئيس عائلة فلى
صفات طالما شكرتنى عليها الطائفة

- نعم اعلم أنك من كبار اللصوص وانك كنت تستعين بكلبك
فتسبب مخازن المجوهرات فى لندرا ولكننا الآن فى الهند وأحب أن أعلم
ماذا تريد أن تصنع فى كالسكوتا

- انى آت اليها لأعلم اذا كانت المجوهرات موفورة فى مخازنها كما كانت
فى مخازن لندرا

فنظر اليه الفتى نظر المحتقر وقال أما أنا فلى غرض آخر من القدوم
الى كلكوتا

- ما هو غرضك

هذا سر لا أبوح به ولكنى أخبرك كى لا ترهقنى بالأسئلة انى قادم
اليها للبحث عن كنز
فظهر الاندهاش العظيم على وجه السكهل ووضع الفتى سبابته على فمه
فقال له

انى اذا اكتشفت هذا الكنز يصبح أفقر فقير فى طائفتنا أغنى من
لرد فى انكلترا ولا تعود بعد ذلك محتاجاً الى كلبك
- اذا كان ذلك فسأحاول أن أحب بنتى

ولبتا يسيران ويتحادثان الى أن وصلا الى كلكوتا وعند ذلك ودعه
الفتى فقال له السكهل الى أين أنت ذاهب يا جان
قال الى حيث أبحث عن كنزى
- هل أراك فى كلكوتا

- ربما التقينا هذه الليلة فى محلتنا ثم افترقا فذهب السكهل الى الحانة
ليرى بنته وذهب جان فى طريق المرفأ

كانت طائفة النور تدعو هذا الفتى جان دى فرانس فما زال سائراً
حتى وصل الى المرفأ وهناك وجد كثيراً من الجنود وعمال الميناء مجتمعين
حول راقصة هندية ورجل هندى كان يعزف بقيثارة فدنا جان منهما
وتفرس بوجه الهنذى فقال فى نفسه نعم هذا هو

وعند ذلك أطلق مدفع من الثكنة إشارة الى افتتاح المرفأ فتفرق الجميع وذهب جان مسرعاً فزار في زقاق ضيق حتى انتهى الى كوخ مبنى بالقصب فاضطجع على الأرض بجانب ذلك الكوخ وأطبق عينيه يوم أنه نائم

وبعد هنيهة أقبل الهندي والراقصة ورأى الهندي جان بجانب الباب فرفسه برجله وقال له باللغة الهندية قم من هنا أيها الكلب الدنس فان مكان هذا الكوخ كان مقدساً

ولكن جان فتح إحدى عينيه ثم أغمضها فقالت الراقصة أنه سكران فدعه وشأنه ثم دخلت مع الرجل الى الكوخ وحكما يتحدثان أما جان فانه ابتسم ابتسام الظافر فقد كان حديثهما يصل اليه وكان عارفاً بدقائق اللغة الهندية كأبنائها



قبل ذلك بساعة كان فريق من الضباط الانكليز مجتمعين في خمارة عند باب كلكتوتا وهم يتحدثون عن اللورد حاكم الهند ويعجبون لما يرون منه من دلائل الهم والتفكير الدائم فقال لهم أحد الضباط لا تعجبوا أيها الرفاق فقد قيل أنه اختصم مع امرأته ونفاها الى قصر له في ايكوسيا وانه يكره مولودها الأخير منذ ولادته

وكان بين الحاضرين طبيب انكليزي يدعى بولتون فاعترضهم قائلاً لكم أيها السادة أن تقولوا ما تشاؤون عن اللورد اسبرتهون وعن

ظلمه وتغاضيه عن واجباته في هذه البلاد وأما اذا ذكرتم زوجته اللادى
فلا تذكروها إلا بالاحترام فهى الملاك الذى يمثل الطهارة والفضيلة
وكرم الأخلاق فى الأرض

فقال الضابط أهى حسناء مع هذه الفضائل

— أن لها جمالاً يفتك النساء

— اذا كان ذلك فحدثنا بما تعلمه عن هذين الزوجين

— ماذا تريدون أن تعلموا

— لماذا أرسل اللورد امرأته الى ايكوسيا

— لأن أخاه الأصغر السير جاك الذى جاء أمس الى كلكتوتا قد وشى بها

الى أخيه وحمله على الشك بولادة ولديه وقد مات ولده الصغير وهو

لومات ولده الآخر أيضاً لما حزن

— كيف ذلك أ مات ولده الصغير

— أن أخاه جاء بهذا النبأ

وعند ذلك دخل رجل يحمل بين يديه طفلة فصاح الجميع قائلين

هو ذا السير روبرت ويلدن

ودخل السير روبرت فخياهم وقال لهم انظروا ما كان صيدى فى هذا

الصباح أرايتم أجمل من هذه الطفلة

وقال الطبيب أظن أنها ابنة أحد أولئك النور الذين يطوفون فى

شوارع كلكتوتا

قال هو ذاك فاستقوني كأْسًا من الشمبانيا
فصَب له الطيب كأْسًا وقال له من أين أنت قادم
قال من غابات بردوان حيث كنت أصيد الغيل
- وقد عدت الى كليكوتا لتصيد النمر أليس كذلك
- هو ذاك

وقد جالسوا يشربون ويتحدثون الى أن جاءهم رسول من الحاكم
يدعوهم للذهاب الى التمرينات فانصرفوا مسرعين وخلا السير روبرت
بالطبيب فقال له انى ما أتيت الى كليكوتا للصيد كما توهمت
قال نعم فانى لا أحمل علاقتك باللادى سسلى امرأة الحاكم وفرط
احترامك إياها وانك حاقد أشد الحقد على السير جاك فهل علمت أن
ليونيل الصغير ابن اللورد قد مات

قال نعم ولكنى هنا فلا يستطيع السير جاك قتل الولد الآخر
وعند ذلك دخل ناثنياى والد الطفلة فلما رآته ننته تعلقت بالسير
روبرت فقال لها

كيف هذا يا إنتى أملك خفت من أهلك
فأجابته قائلة وهى تبكى نعم فلا أريد أن أعود اليه
- لماذا

- لأنه يضربنى

فنظر اليه السير روبرت نظره منكرة وقال له ويحك أيها الرجل
انضرب بنتك . أمثل هذا الملاك يضرّبونه

قال نعم أضربها لأنها تضرب كلبي وهو سبب رزقي وفوق ذلك فقد
باتت حملاً ثقيلاً علىَّ بعد موت أمها
فتمنع هنيهة وقال له أتريد أن تتخلى عنها لى . ثم قال للطفلة أتريدى
أن تبقى معى يا ابنتى فانى أعلمك القراءة فى كتاب فيه صور واشترى لك
دمية تلعبين بها

فطوقت عنقه بيديها الصغيرتين وقالت نعم نعم أبقى معك
فأخرج السير روبرت من حبيبه كيساً مملوءاً بالذهب فدفعه الى النورى
وقال له بلىء الاحتقار
خذ هذا الكيس وانصرف فانك لا تستحق أن تكون أباً وسأنولى
تربيتها

فأخذ النورى الكيس وخرج وهو يلعب كلبه مسروراً من هذا الاتفاق
* *

فى اليوم التالى أعد اللورد الحاكم حفلة صيد دعا اليها فريقاً من الضباط
وأعيان الانكليز فكان بعضهم يركبون الفيلة وبعضهم يركبون الجياد
وكان اللورد الحاكم راكباً على فيل أبيض وبجانبه الطبيب بولتون
والسير روبرت على جوادين وهما يسيران جنباً الى جنب ويتحدثان
فقال له الطبيب

اذن لقد عزمت على مبارزة السير جاك
قال دون شك

- متى

- حين نعود من الصيد

- ولكن أظنه يرضى بالمبارزة

- سأرغمه على القبول متى صفعته أمام ضباط أخيه

- احذر فان السير جاك سافل شرير فقد يشيع أنك عاتق

امرأة أخيه

- أن أخاه لا يصدق قوله

- بل أنه يثق بكل ما يقوله وعندى أنه خير لك أن تترك الصيد

وتعود الى السير جاك فتقتله وتهرب فان لأخيه هنا مطلق السلطان

- سارى فى اقتراحك

وفىما كان الموكب يسير إذ علا صياح الهنود الذين يتقدمونه فوقفت

الافئال تضرب الأرض بأرجلها وأخذت الجياد تصهل وقد بدت عليها

علائم الرعب ثم رأوا نمراً هائلاً اخترق دائرة الأفيال ووثب الى الفرس

الذى كان يركبه السير روبرت فأطلقوا عليه نحو عشرين رصاصة دون

أن يصيبوه ونسبت برائن النمر فى صدر الجواد فانقلب صريعاً الى الأرض

ولكن السير روبرت كان قد وثب عنه فبينما كان النمر مشغولاً بنهش

الجواد صوب السير روبرت غدارته الى أذن ذلك النمر وأطلقها فاخترق

الرصاص دماغه وانقلب ميتاً

وعند ذلك ظهرت نمرة أشد هولاً من النمر فقتلت اثنين من الهنود

تعرضاً لها ووثبت الى الفيل الأبيض الذى كان يركبه الحاكم فأطلق عليها
طلقين من غدارته فلم تسقط وجعلت تمزق جلد الفيل ببرائتها وهو يحاول
أن يقبض عليها بخرطوميه فلا يستطيع

وقد أطلق الحاكم النار عليها أيضاً فلم تسقط وجعلت تصعد على الفيل
حتى شعر اللورد بأنفاسها النارية تحرق وجهه فصاح السير روبرت بالهنود
قائلاً ويحكم لماذا لا تطلقون النار

فقال له الطبيب أنهم لا يفعلون حذراً من أن يصيبوا الفيل الأبيض
فانهم من الشيعة التى تعبد الأفيال البيض

واستمرت النمرة فى صعودها حتى وصلت الى اللورد ولم يعد يستطيع
استخدام سلاحه وما شكك الحضور أنها افترسته

وعند ذلك رأوا فتى قد انقض على النمرة ولم تكن غير هنيهة حتى
سقط واياها على الأرض ثم نهض وقد صاح صيحة انتصار فانه أغمد
خنجره فى عنقها وألقاها تتخبط بدمها فلم يكدا السير روبرت يتبين وجه الفتى
حتى صاح مندهشاً وقال

هذا هو الفتى النورى الذى لقيته مع والد الطفلة

وعند ذلك أحرق الضباط الهنود بذلك الفتى وتدانى اللورد الى
النزول عن الفيل فأدنى الفتى منه وقال له

من أنت وهل أنت من الهنود

قال انى نورى وأدعى جان دى فرانس

قال أن من كان له بسالتك فلا يخلق به أن يعيش عيش المتشردين

فهل تريد ان تكون في خدمتي فأضمن لك مستقبلك
فنظر اليه جان نظرة انكار وقال أرى أنك لم تحسن تقدير خدمتي
أيها اللورد فاني من النبلاء وان نسي يتصل بالكونت دي غرانفيل
فلا أخدم أحداً

فاصفر وجه اللورد وأخرج كيسه من جيبه وناولوه إياه فأبى جان أن
يبد يده اليه وقال ليبقى كيسك في جيبك فما أنا من طلاب الصدقة
ثم أدار له ظهره فخرج من الدائرة وتوارى بين الادغال
فقال اللورد مغضباً لقد تجاسر هذا الوقح على رفض مكافأتي
فقال له السير روبرت بلهجة المتهم ولكنك أنقذ حياتك يا مولاي
فواحدة بواحدة

فعض اللورد سيفته وقال لرفاقه هلموا بنا أيها الأسياد فاننا لا نزال
بعيدين عن مركز الصيد

فهمس السير روبرت بأذن الطبيب قائلاً أما أنا فسأرجع الى كلكوتا
حين نصل الى أول عطفة فاني أريد أن أصطاد الرجل قبل أن أصطاد النمر
قال اذن اركب جوادى فسأركب أنا أحد هذه الايال



كانت أخت جان دي فرانس تلقب بملكة النور وكان جان على
حدائة سنه مطلق النفوذ على الطائفة ليس لأنه أخو الملكة بل لأنه كان
أشد رجال الطائفة ذكاء وأبعدهم همة وأحدقهم فكراً وأرقاهم نفساً فكانوا

يحبونه ويحترمونه ولا يخالفون له أمراً كأنما أعطى حقيقة سلطان الملوك
فلما ترك اللورد كما تقدم مشى بين الادغال الى أن وصل الى مكان
اكتظت فيه الأشجار فوجد هناك رجلاً هائلاً الحلقة كأنه من الجبابرة
وهو نورى من طائفة جان كانوا يلقبونه بشمشون لشدة قوته
وكان هذا الرجل مضطجماً على العشب فلما رأى جان نهض مسرعاً
ووقف بين يديه بلاء الاحترام فقال له جان متى أتيت يا شمشون

قال منذ ساعة أيها الرئيس

— ألم يرك أحد حين خرجت من محلة الطائفة

— كلا

— هل أتيت بمركمة النقل

— انها هنا وراء الشجرة

— حسناً فاعلم الآن اننا سننقل على هذه المركبة من الذهب والحجارة

الكريمة ما لا يوجد بعضه فى خزائن الملوك فاني كنت أبحث عن هذا
الكنز فى الليل والنهار

— هل وجدت مكانه يا سيدى

— نعم فان هؤلاء الحكام يحسبون انهم تمكنوا من الشعب فانهم

سادوا عليهم ولكنهم لا يطيعونهم إلا مكرهين وهم لا يحملون إلا

بالاستقلال ولكن لا بد لهم من المال الكثير ولذلك فقد اجتمعت كلمة

هذا الشعب بمجملته على حشد الأموال فجعل الغنى والفقير والتاجر والعامل

يضع كل منهم ما يتيسر له اقتصاده فى ضناديق خاصة بالمعابد كتب

عليها صناديق الاحسان فيطوف كل يوم أحد كهنتهم فيجمع هذه الأموال ويأخذها في كل أسبوع فيذهب في ظلام الليل الى غابة . وهناك يجد كاهما آخر في انتظاره فيأخذ منه الأموال ويقول له اذهب واحذر أن تلتفت الى الوراء .

فقال له شمشون وهذا الكاهن الى أين يذهب بالمال

قال يذهب به الى كاهن ثالث فيأخذه منه الى مكان سرى لا يعرفه سواه . وهذا السر لا يعرفه في جميع الهند غير ثلاثة من البراهمة وامرأة تحرس الكنز في الليل والنهار وسأعرف هذا السر بعد ساعة - كيف ذلك

- لقد عرفت أن أحد الكهنة سيأتى في هذه الليلة بما جمعه من المال - كيف عرفت

- ان هذا الرجل الذى سيأتى الآن يترك في النهار بشكل عازف بالقيثارة ويطوف مع احدى الراقصات في شوارع كللكوتا حتى اذا أقبل الليل خلع تنكره وعاء الى حقيقته فهو من أعظم الزعماء وأحد العارفين بسر الكنز وقد سمعته في صباح اليوم يتحدث الراقصة بهذا الشأن فعلمت من الحديث انه سيأتى في هذه الليلة الى نبع الآلهة اموردافالى وهو على قيد بضع خطوات من هنا

- ولكن أى شأن لى أنا في هذه المهمة

- انك سترى هذا الرجل حين يأتى فتنبهه وتسير ورائى على بعد

مائة خطوة

وعند ذلك سمع جان وقع خطوات فقال لشمشون همساً أنك تعلم
بأنى أقلد صوت عصفور الليل فابق الآن هنا الى أن تسمعى أقلد ذلك
الصوت فتأتى الى جهة مصدره

وقد مشى جان فوق الأعشاب الى أن وصل الى بقعة لا شجر فيها
فنظر الى تلك الجهات التى كان ينيرها ضوء القمر فرأى شبحاً أبيض
واقفاً بعيداً تحت شجرة كبيرة فقال فى نفسه لا شك انه شبح الكاهن
الذى ينتظر

وقد سار من ورائه حتى وصل الى تلك الشجرة واختبأ وراءها فلم
تكن غير هنيئة حتى رأى العازف بالقيثارة قد وصل وسمع الكاهن
صاحب التوب الأبيض يسأله قائلاً بماذا أتيت أيها الأخ
فأجابه قائلاً بكيسين من الذهب

قال هاتهما واذهب وانى أسأل آلهة الهند أن يرافقوك فى طريقك
فأعطاه الكيسين ثم انحنى الى الأرض فقبل طرف ثوبه الأبيض
فقال له الكاهن اذهب والويل لك من غضب الآلهة اذا التفت الى
الوراء فانصرف الرجل ممثلاً دون أن يلتفت

أما الكاهن فقد لبث فى موقفه الى أن توارى الرجل فانصرف
عائداً ومشى جان فى أثره مستهدياً اليه بثوبه الأبيض فان القمر كان
على وشك المغيب

وكان الكاهن يسير مسرعاً الى جهة الجرابات فما شكك جان أن

الكنز مدفون تحت خرائب هيكل سيوا وما زال في أثره حتى وصل إليها ورآه جان قد ولجها . ثم رأى لهباً ظهر لحظة وانطفأ فसार جان ودخل الى تلك الخرابات فأدرك الكاهن وهو جالس بين أدغال متكدة من الأعشاب اليابسة وقد أخذ قطعتين من الخشب الجاف وحك الواحدة بالأخرى حكاً متصللاً حتى خرج منهما اللهب فألقاها بين الأعشاب اليابسة وحسب جان انها ستلتهب من فورها ولكن اللهب الذى ظهر من الخشبتين توارى فى الحال وساد الظلام

وعند ذلك اضطجع الكاهن فوق الأعتاب على وجهه وصاح قائلاً أيتها العذراء حارسة الكنز هل أنت ساهرة فسمع جان صوتاً من جوف الأرض لم يتبينه أما الكاهن فإنه ألقى الكيسين فوق الأعشاب الواحد تلو الآخر وخرج من تلك الخرابات وقد حبس جان أنفاسه كي لا يسمع الكاهن صوت خفوق قلبه حين مر به دون أن يراه وجعل جان يقول فى نفسه

ما زالت الأعشاب لم تحترق فلا شك انها تستر مدخل الدهليز وان الخشبتين اللتين ألقاها الكاهن انما هما اشارة متفق عليها وقد صبر نحو ربع ساعة وخطر له أن ينبه شمشون بالصفير ولكنه خشى أن ينبه اليه الأفكار ثم ذهب الى تلك الأعشاب بعد أن وتق من انصراف الكاهن وجعل يزيحها عن مواضعها فأنكشف له ثقب ضيق ولكنه يتسع لمروء إنسان فيه

وكان هذا الثقب مدخل دهليز في جوف الأرض وهذا الدهليز
كثير الانحناء يشبه السلم فقبض جان على خنجره ودخل من ذلك الثقب
وجعل ينزل في الدهليز حتى انتهى الى أرض رطبة مستوية

وقد رأى عند ذلك نوراً عظيماً يشبه أنوار المشاعل وسمع صوت
امرأة تغنى باللغة الهندية فتقول :

انا ابنة ساسديفا حارسة الكنز

قضى على الكهنة أن أعيش كل حياتي في جوف الأرض وان أعيش
بجانب ذهب وحواهر لا فائدة لي منها

قضوا على أن لا أرى وجه السماء وأشعة الشمس وان لا أشم
عطر الأزهار

انى صبية جميلة وحين كنت فوق الأرض كان الفتيان يلتفون حولى
ويلقبوننى بألهة الجمال

قضى على الكهنة أن أعيش بتولا وان لا أسمع كلمات الحب



وقد رأى جان أرضاً متسعة فوقها قبة من أرض الهيكل وفى وسط
تلك الأرض نار لم تكن تنطفىء فى الليل والنهار

ثم رأى على نور تلك النيران فتاة لم تقع العيون على أبعد منها كانت
تغنى وترقص حول النار فلم تنبته لسهو جان فوقف هنيهة شبه مأخوذ
امام هذه الفتاة ثم دنا منها فوضع يده على كتفها وقال لها

انا هو الرجل الذى تنتظرينه فان الاله سيوا الذى تحرسين كنزه
قد أشفق عليك واجاب ملتمسك

ولم يكن جان أقل جمالاً منها فلما رآته وسمعت كلامه صاحت صيحة
فرح ثم طوقت عنقه بذراعيها وقالت له لنهرب لنهرب
قال نعم لنهرب يا ابنة الفردوس الى سيوا الذى أرسلنى ولكن لناخذ
معنا هذا الكنز الذى تحرسينه

فتراجعت الفتاة منذرة وقالت إذن ما أنت رسول الاله سيوا
مازات تريد سرقة الكنز .. اهرب أيها المنكود .. كيف أتيت الى
هنا ومن أرتدك الى طريق الكنز . اهرب أيها التاعس قبل أن
يفاجئك الكهنة ويقتلوك

وكان جان قد رأى تلك الدنانير الوهاجة والجواهر البراقة فقال
لها أحبك

فمادت الى معانقته وقالت له إذن لنهرب معاً فانى أصبحك الى
حيث تشاء ولكن دع هذا الكنز فى مكانه فان الاله سيوا يصعقنا
اذا سرقناه

فهز جان كتفيه وقال لها انى اذهب بك الى أوربا وهى بلادى
وليس للآله سيوا شئ من السلطان هناك فنعيش هنا عيش بفضل
هذا المال .

قالت كلا فان غضب سيوا ينزل بالناس أين كانوا فاكتف بى فانك

ستجد من كنوز حبي ما لا تعادله كنوز الأرض

ثم تعلقت به وجعلتُ ترقص وترقصه وهي تغنى وتقول كلام لم يقض
سيوا على ابنة الهيكل أن تعيش تحت الأرض . انها سترى النجوم
وتستنشق أريج الزهر وتدوس رجلاها الصغيرتان على الأعشاب وتعمس
شفتيها بياه الينابيع .

ان ابنة الهيكل لا تحتاج الى الذهب والالآئ فقد ظفرت بكنز الكنوز
وهو الحب . لقد جاء الفتى الجميل الذى يحبني ويملاً فراغ قلبي من الحب
كما تملأ الاناء أشعة الشمس

وكانت تغنى وهي ترقص رقصاً سريعاً وهو يجاريها ويقول في نفسه
انها لا تلبث أن يستولى عليها التعب فاستولى على الكنز

غير أن التعب أدركه قبل أن يدركها فقد كانت متعودة على هذا
الرقص وقد أسكره صوتها الجميل ونظراتها الساحرة فاسترسل الى مراقبتها
كما تشاء حتى انتهكت قواه وجلس على الأرض وهو يلهث من التعب
فدخلت الى غرفة فى المغارة وجاءت بكأس ذهبية كان فيها سائل أصفر
يشبه الخمر الاسبانية المعتقة فقالت له اشرب ما فى هذه الكأس تعد
الك قواك

فشرب كل ما فى الكأس جرعة واحدة ولكن هذا الشرب لم يكبد
يستقر فى جوفه حتى شعر أن جسمه ينتفض من البرد كأنه ملتف برداء

من الثلج ثم شعر أن أعضائه قد تشنجت وأن لسانه قد انعقد ثم أطبقت
عيناه وانتقل إلى الأرض دون حراك

وعند ذلك برقت عينا الفتاة من الفرح وقالت لقد أنقذته اذ لم يبق
سبيل إلى فراره فقد آن وقت مجيء الكهنة وسأخفيه وبعد انصرافهم أرد
إليه الحياة ونهرب معاً

وقد أخذت يديه وحاوات جره ولكنها لم تكد تفعل حتى أفلته
وصاحت صيحة ذعر فقد فتح باب حفي في المغارة ودخل منه كاهنان
يحملان مشعلين فلما رثيا جان على الأرض صاح واحد منهما قائلاً
ما هذا أوجد في الأرض من يجرأ على اكتشاف هذا السر الذي
لا يعرفه سوانا. اني باسم الهنا المعبود وباسم اخواننا المضطهدين وبلاذنا
المغتصبة ودموعنا السائلة نمحكم على هذا الجريء بالموت
فصاحت الفتاة صيحة رعب اذ رأت الخنجر يلمع في يد كاهن سيوا



ولنعد الآن إلى سراي اللورد الحاكم فقد كان ولده الصغير وهو
لا يتجاوز الثالثة من عمره نائماً في سرير احدى ردهات القصر وبجانبه
عبدان يحمل كل منهما مروحة فيطرد بها الذباب عن ذلك الطفل

وكان السير جاك أخو اللورد الحاكم وولده وهو في الرابعة عشرة من
عمره جالس على مقعد في تلك الردهة غير بعيد عن السرير فكان

السير جاك ينظر الى ابن أخيه الصغير نظرات ملؤها الحقد ثم ينظر الى ولده ويقول له

أى احسان أحسن به هذا الطفل الشقي فأعدت له الاقدار هذا المستقبل الراهر أما أنت مثله جميل الوجه زكى الفؤاد ألا يجول فى عروقك وعروقه دم واحد يا حيمس

فأجابه ولده نعم يا أبى واكنه ابن أحيك البكر

- هو ذاك غير أن أخى شديد الهوس بصيد الحيوانات الضارية فما يمنع أن يقتله نمر أو أسد

- وهبه قتل فان ولده روجر يبقى حياً وهو فى أتم عافية كما ترى

- ألم يكن أخوه ليونيل فى أتم عافية أبصاً ومع ذلك فقد مات بين يدي حاضته

- واذا مات أخوه روجر

- تصبح أنت وريث لقب اللوردية اذا مات أخى قبلى

- ان الأطفال الذين لم يخلقوا فى الهند لا يعيشون اذ لا يطيقون احتمال مناخها الحار

- نعم واكن الخطر على الأطفال هنا لا يقتصر على الحيات فقد يموتون أيضاً من عضاض الأفاعى وغيرها من الحشرات السامة

وفياهما يتحدثان سمعا صوت ناى يعزف فى الطريق تحت الردهة

فقاما وأطلا فرأيا رجلا يلعب الافياعى فى الطريق والناس من حوله
يتفرجون

وقد وقفا يتفرجان الى أن شعر السير جاك بيد لمست كتفه فالتفت
فرأى السير روبرت فيلدن فقال أهلا بك أيها الصديق فما شرفنى بقدمك
فتأبط السير روبرت ذراعه وقال له اذا كانت راقى لك هذه الفرجة
فأنزل الى الطريق ترها عن كى

وقد تبادل الأب وابنه نظرة سريعة خفيت على السير روبرت ثم
نزل الابن الى الطريق ودخل السير جاك بزاره الى احدى القاعات وقال
له عهدى بك انك كنى فى حفلة الصيد مع أخى فهل قتلت نمرأ أم جئنى
نذباً من هذا الاخ العزيز

قال الحق انى قتلت نمرأ ولكنى سئمت من صيد المور وجئت أبى
عن حيوان أسد فظاعة منها
- ما هذا الحيوان

- هو حيوان هائل من طبعه مهاجمة أعراض النساء
فقطب السير جاك صاحبه ومضى السير روبرت فى حديثه فقال
وهو حيوان يمشى على قدميه كالانسان ولكن ليس له شىء من صفات
الانسان ومع ذلك فانه يلقب بلقب الأشراف ويدعى السير جاك أسبرتهون
فوقف السير حاك وقد وضع يده على قبضة حسامه وأخرج السير
روبرت غدارة فصوبها اليه وقال

أنك اذا لم تصغ إلى بلاء السكينة ألهمت دماغك فأعلم انى لا أريد
قتلك بالغدارة كما تستحق بل أريد قتلک بمبارزة كأنك من الأشراف
فقد وعدت ضحيتك اللادى سسلى أن أقتلك أو أموت من يدك
فاستولى الخوف على السير جاك وقال له

واذا أبيت أن أبارزك

— إذن فأعلم أنه لا يوجد ضابط انكليزى فى هذه البلاد لا يعرفك
حق العرفان وكلهم يحقرونك ويودون لك الموت لتنجو الانسانية من
شرورك فلا يوجد هنا من يحميك غير أخيك

ولكن أخاك الآن فى الصيد وهو لا يعود قبل الليل فاذا امتنعت عن
مبارزتى صفعتك أمام جميع الناس ثم قتلتك بالرصاص كما يقتلون الضواري
فاصفر وجه السير جاك وهاج تأثره من الغضب فقال له ليكن ما تريد
ولنتبارز الآن

فمد السير روبرت يده الى جهة البحر وقال له
انظر الى هذه السفينة البيضاء فقد اتفقت معها على السفر وهى مسافرة
بعد ساعة

وانه يوجد بجانبها قارب وضعت فيه غدارتين وسنذهب اليه ونبعد به
عن السفينة فاذا قتلتنى فافعل بجثتى ما تشاء واذا قتلتك جعلت جثتك
طعماً لسمك البحار فانك لا تستحق أن تدفن فى الأرض كما يدفن الناس
— ولكنى أحب أن أرى ولدى على الأقل

فأدرك السير روبرت أنه يحاول الفرار فقبض على ذراعه بعنف وخرج
به بالرغم عنه من القصر



بينما كان السير جاك يسير مع خصمه الى البحر كان ولد السير جمس
قد ذهب للفرجة على الافاعي

وقد ابتعد جميع المتفرجين احتراماً له حين قدومه حتى أن ملاعب
الافاعي نفسه تهيب وامتنع عن ملاعبتها
فأمره أن يعود الى عمله ثم دنا منه وهو يلعب حية صغيرة فهمس
في أذنه قائلاً

أتبيعني هذه الحية بخمسة جنيهات

فسقط الناي من يده لفرط ادهاشه من هذا الثمن فقال له أرضيت .
اسرع بالجواب فاني مستعجل

قال رضيت يا مولاي

ثم أسرع فأخرج من حرابه علبة صغيرة وضع فيها الافعى وأقفلها
وناوله إياها

فأخذها جمس ونقده الثمن وعاد الى ردهة القصر حيث كان ابن عمه
الطفل الصغير نائماً في سريره

وكانا العبدان اللذان يطردان الذباب بالمرآوح عن سريره قد تركا
السريـر وذهبا الى آخر الردهة ليتفرجا على الحاوي فوقف جمس وقفة

المتروك وقد بحث عن أبيه فلم يجده فلم يطل تردده ومشى الى السرير فأزاح الغطاء عن الطفل وفتح العلبة فوثبت الأفعى الى السرير فغطاها بالغطاء وانصرف دون أن يراه العبدان

فلما عاد العبدان الى السرير كان ذلك المركيز الصغير ابن اللورد الحاكم قد فارق الحياة وكان جمس خرج من القصر باحثاً عن أبيه



وبعد ذلك بنصف ساعة دوى طلقان نار يان في البحر ظهر دخانها من قارب

أما ذلك القارب فانه دنا من سفينة بيضاء حتى التصق بها وكان شراعاها منصوباً فخرجت من فورها من الميناء

القسم الثانى

حى بميت

كان فارسان يسيران بين الحقول وقد اقفرت لهبوط الظلام فكان
الاثنان ينظران الى كل الجهات عساهما يريان قبساً يستترسدان به فقد
ضلا عن الطريق وكان هذان الفارسان اللورد أسبرتهون حاكم الهند
والطبيب بولتون فقال اللورد

اقدر لنا أن نهمم كل الليل فى هذه البرارى
فأجابه الطبيب قائلاً هذا الذى أختشاه

قال انى سأموت من الجوع والعطش وان جوادى سيقتله التعب
فأين نحن الآن

- لا أعلم ولكنى أظن أننا نبعد عشر مراحل عن كلكتوتا ولكن أنظر
ألا ترى شبحاً أسود يتحرك

- نعم ولكنه شجرة يحركها الهواء إذ لا يوجد انسان بهذه الضخامة
وعند ذلك سمعا صوت هذا الشبح يقول . جان . جان . أين أنت
أيها الرئيس

فقال الطبيب لقد نجونا فانى أعرف صاحب هذا الصوت فهو
شمشون الجبار

وكان شمشون قد تبع سيده كما تقدم فى الجزء السابق حين ذهب الى الكنز وأمره أن ينتظره فانتظر كل الليل ثم أشرق الصباح ثم أذنت الشمس بالمغيب فكاد يحزن من خوفه عليه اذ خشى أن يكون الكهنة قد فتكوا به

وقد حمل يهيم فى تلك البرارى باحثا عن سيده وهو يقف من حين الى حين فيناديه بصوته الجهورى فلا يجيبه غير الصدى الى أن اتفق مرور اللورد والطبيب فدنا منه الطبيب وقال له

ماذا أصابك يا شمشون ومن الذى تناديه

قال إني أنادى جان دى فرانس ستقيق ملكتنا

وكان شمشون قد عرف الطبيب اذ كان مدينا له بجميل لا ينساه فقد لقيه مرة فى احد سوارع كلكتوتا مصابا بطعنة خنجر فى بطنه كادت تؤدى بحياته فعالجه وشفاه فقال له ألا يوجد هنا مدينه قريية

قال لا يوجد غير كلكتوتا وهى تبعد خمس مراحل

- ألا يوجد مكان للمبيت

- لا يوجد غير مضاربنا وهى تحت هذه القمة التى تراها وستجدان

فيها خير مبيت

فقال له اللورد اذن سر بنا اليها وسنكافئك

ولم يكن شمشون يعلم انه يخاطب حاكم الهند فقال له لكن لا بد لى من البحث عن جان دى فرانس

فقال له بولتون انه لا بد أن يكون رجع الى المضارب
قال لقد أصبت يا سيدى الطيب فان هذا الخاطر لم يخطر لى
ثم مشى أمامهما فسارا فى أثره يتحدثان بصوت منخفض
فقال له اللورد

انى أعجب بهؤلاء النور فان لهم نفوس الملوك وحالات المساكين
ألا تذكر ما كان من هذا الفتى الذى أنقذنى من النمر
- هذا هو الذى يبحث عنه شمشون

- نعم نعم لقد ذكرت الآن وهو يدعى جان دى فرانس فما هذا
الاسم الذى لقب نفسه به
- انه يدعى بأنه من النبلاء
فهز اللورد رأسه ضاحكا وقال

أىكون نبيلاً ومتسولاً فى حين واحد ولكنك اذ كرتنى بمناسبة
الحديث عن هذه الطائفة حكاية جرت لى فى لندرا منذ ثلاثة أو أربعة
أعوام وسأقصها عليك كى لا تشعر بطول المسافة

- انى مصغ اليك يا مولاي
- تصور أيها العزيز انى أحببت مدة اسبوع نورية كانت تحسبنى
من النور فقد خطر لى مرة أن أذهب الى المكان الذى يسمونه
ساحة الملك

- انى أعرف هذا المكان فقد اختبأت فيه مدة ستة اشهر لهربى
من المدائنين

- وقد تنكرت بالملابس العامة وذهبت لأرى ما تفعل هذه الطبقة من الناس في هذا المكان الشهير

واتفق أن الزحام كان قليلاً في تلك الليلة وكان هناك اثنان من طائفة الدور يتحدثان بشأن حفلة قريبة سيعقد فيها زواج ولية عهد النور بولى عهد الدوق دى بولون

وقد تبين لى من حديث الرجلين ان الخطيبين لم يتعارفا بعد وان هذا الزواج سياسى يراد به التوفيق بين طائفتى النور فى لندرا وباريس وان الخطيب سيأتى من فرنسا الى لندرا ليعقد زواجه فيها وان الحفلة ستكون فى ساحة الملك ليلة قدوم الخطيب

فسألت أحد الرجلين قائلاً هل العروس حسنة

قال لقد بلغ من جمالها ان أجمل سيدات لندرا لا تعد من وصائفها فهاج قوله رغبتى فى رؤياها وقلت له أين يمكن مشاهدة هذه الفتاة قال انها تذهب فى كل ليلة الى مضارب النور المحييين تحت جسر لندرا فتلقى عليهم أوامرها

فاكتفيت بهذا الجواب وبرحت الساحة على رجاء أن أرى تلك النورية

وفى اليوم التالى اختبأت فى مركبتى وتمكنت من رؤياها فاذا بها نوق ذلك الوصف

وكان يصحبنى خادم ذكى الفؤاد فكان من دكاثة انه جعلنى ابن

الدوق دى بولون أى خطيب تلك النورية وخلوت بها فى أحد الفنادق
وقد بالغت فى ملاطفتها حتى غفرت لى انى أدعى اللورد اسبرتهون
وأقمت معها أسبوعاً واحببتها حتى انى أردت أن أتوسط لطائفها
لدى اللورد المحافظ فلا ينفىها من لندرا

ولكن رجال هذه الطائفة كانوا قد امعنوا بشروورهم حتى رجعت عن
الوساطة حذراً من الفشل ونفيت الطائفة فسافرت ماكتها معها
- ماذا كانت تدعى هذه الحسنة

- سينتيا

- اما رأيها بعد ذلك انعهد

- كلا

- من يعلم فقد تكون فى هذه المضارب التى نذهب اليها الآن
فارتعش اللورد ولم يجب شئ، ورأيا عند ذلك أنواراً تضىء فقال
شمتون لقد وصلنا وهذه هى مضاربنا

وكانت هذه المضارب مؤلفة من خمس خيام كبيرة ومركبتين
ضخمتين كان يوحد فيهما كثير من الآلات المختلفة وأربع بقرات وقطيع
من الماعز والخراف كانت موحودة فى دائرة تبلغ مساحتها مائة متر وهى
مسورة بالقصب الهندى

وكانت النار مشبوبة فى ساحة فى وسط الخيام وعليها دست كبير
كانت عجوزتان جالستين من حوله تطبخان فيه جدياً للعشاء وامامهما
(٣)

خمسـة من النور مضطجعون على الأرض وكلبان كبيران ينظران الى قوائم الجدى البارزة من الدست ويهران وقد نفذ صبرهما من الجوع وسفلا برائحة الطعام الشهية عن شم رائحة القادمين فلم يستقبلاهم بالنباح وكان يجري في الجهة اليسرى من المضرب حادثة أخرى وهى ان جميع رجال الطائفة وغلماؤها كانوا واقفين بانتظام وقد ركز امامهم لوح كبير من الخشب ووقف رحل مسنداً ظهره الى هذا اللوح باسطاً ذراعيه عليه فكان يشبه بمجملته شكل صليب

وقد برز رجل من صف الواقفين فوقف على مسافة عشر خطوات من اللوح وعند قدميه كثير من الخناجر الحادة الطرف فكان يأخذ الخنجر ويرمى به اللوح فيشك به على قيد أصبع من وجه الرجل المصلوب ثم يأخذ غيره ويرمى به وهكذا على التوالى الى أن يشك الخناجر حول المصلوب وذراعيه دون أن يصيبه بأذى فيصفق له الحاضرون اعجاباً بفوزه ويأتى سواه فيفعل هذا الفعل فانهم كانوا يترنون على استعمال السلاح بهذا الشكل ففي كل يوم يصلب واحد منهم فيرميه الباقون بالخنـاـجر على ما تقدم

وقد وقف اللورد والطبيب يتفرجان على هذا التمرين الخطر دون أن ينتبه لهما رجال القبيلة لانهما كهم بما كانوا فيه أما شمشون فانه اختلط بهم وجعل يبحث عن جان دى فرانس فلم يره الى أن انتبه له واحد منهم فقال له

أهذا أنت يا شمشون فمتى أتيت
قال الآن فهل رأيت جان دي فرانس
قال كلا فانه في كلكوتا منذ يومين

فتنه شمشون وظهرت عليه علام اليأس وعند ذلك رمى أحد اللاعبين
آخر خنجر فأسرع سواه وقال
لقد جاء دورى

فصاح شمشون صيحة فرح فقد كان هذا القادم جان نفسه وأسرع
اليه فقال له

من أين أتيت أيها الرئيس
قال لا أعلم وأظن انى أتيت من عالم القبور ولكن اسكت الآن
سنتحدث فيما بعد

ثم أخذ الخنجر ورمى به اللوح فاخترق الحشب على قيد شعرة من
أذن المصلوب

وكان جان أكثرهم تمريناً وأحدهم رماية فشك ثمانية خناجر حول
رأس الرجل فأصبحت شبه تلك الدائرة التى يرسمها المصورون من نور
حول رؤوس القديسين

ولما فرغ من ذلك ذهب الى المصلوب فانتزع الخناجر من حول رأسه
وقال لرفاقه

لقد جاء دورى الآن فانى غبت يومين عن المضرب

ثم وقف في موقف ذلك المصلوب وأمرهم أن يبدأوا التمرين به فأنبرى
واحد من الحضور ورماه بأربعة خناجر أصاب بها المرمى ووقعت بجانب
رأس جان في اللوح

ثم رمى الخنجر الخامس فأصاب قبضة أحد الخناجر المغروسة وهى من
العاج فزلف عنها وأصاب كتف جان

وقد صاح الجميع صيحة رعب ولكن جان لم يتحرك من موضعه وتمم
بضع كلمات بصوت منخفض

ورأى الطبيب بلتون ما كان وأيقن أنه مصاب بمجرح بالغ فشق الزحام
بعنف ووصل اليه

أما النور فلم يندهلوا حين رأوا الطبيب فقد رأوه مراراً في سراى
الحاكم حين كانوا يلعبون فيها هذه الألعاب

أما الطبيب فانه أسرع الى أبعادهم عن جان ومزق قميصه وحاول أن
يفحص الجرح

ولكن جان اصفر وجهه ووهت رجلاه فطوقه الطبيب بذراعيه كي
لا يسقط ونظر الى الجرح فرأى أن رأس الخنجر قد كسر ودخلت قطعه
في كتفه فقال لهم

اسرعوا بحمله الى خيمته فانى لا أستطيع معالجته هنا
فركضوا اليه يحاولون حمله ولكنه أبعدهم عنه وقال لهم دعونى فانى
أستطيع الوصول الى الخيمة وحدى

وقد دخل الى أقرب الخيم منه وتبعه النور فجلس على حصير وخذل
قميصه بينما كان بالتوف يخرج عدة الجراحة ويعد المعدات اللازمة.
لضمد الجرح

ثم أمر جميع النور أن يخرجوا من الخيمة وركع بجانب جان وجعل
يخرج قطعة الخنجرج من كتفه

وكانت العملية مؤلمة جداً غير أن حان لم يصح صيحة ألم وبلغ من
تجلده أنه لم يظهر على وجهه شيء يدل على التألم كأنما الطيب كان يعمل
بتمثال من الخشب

فلما نزع القطعة وأتم ضمد الجرح قال له وهو يمسخ الآلة الحق يا بني
انى لم أجد أشد صبراً منك وانى أحمد الله الذى قدر لى المرور بكم فى هذه
الساعة فأخدمك خدمة فوق ما تتصورها فلو ألك أحد هؤلاء الدجالين
لشوهك وجعلك أسل اليد

وانى أرحو أن تطيب بعد يومين ولكن لا بد لك أن تلزم الفراش
فى خلالهما

قال أألزم الفراش كل هذا العهد الطويل

قال هذا لا بد منه يا بني

فتمتم قائلاً ولكن لا بد لى من الكنز أيضاً

ولم يسمع الطيب قوله فقال له

سأعودك فى الغد

فكان الحاكم واقفاً الى تلك الساعة وقفة المتفرج فدنا من جان
وسأله قائلاً

كم يبلغ عمرك أيها الفتى

قال ستة عشر عاماً

فقال الطيب في نفسه

أ يكون عمره ستة عشر عاماً وتكون له جرأة الأسود واردة القدر
ومطامع سياسى نمساوى . انه لا يمر به عشرة أعوام حتى يصبح زعيم
كل طائفته

ثم وضع يده على رأسه وقال له بلهجة المشفق

انك تتألم اليس كذلك

فأطبق جان عينيه وقال كثيراً

- ولكنك مع ذلك لا تشكو

- ان الشكوى جديرة بالنساء والأطفال ولكنى شديد الظمأ

فأغيشونى بشربة ماء

فأعد له الطيب كأساً من شراب الليمون فسقاه اياه ثم قال له

نم الآن يا بنى فان النوم يفيدك أعظم فائدة

فأطبق عينيه وهو يقول أشكرك يا سيدى الطيب

وبعد هنيهة نام نوماً هادئاً فالتفت الطيب الى الحاكم وقال له ان

التعب أنك جوادينا والمسافة من هنا الى كلكوتا تبلغ ثلاث ساعات

ألا ترى ان تقل ضياقتهم وننام هنا بقية هذا الليل
قال كما تشاء

وعند ذلك فتح سجن الخيمة ودخل شمشون وحاول أن يدنو من جان
فمنعه الطبيب قائلاً انه نائم فلا تزعه
قال ان ملكتنا تريد أن تراكم
فابتسم الطبيب ونظر الى الحاكم فقال له اللورد حسناً فهل بنا
الى جلاتها

ثم ذهب الاثنان الى خيمة مزخرفة خارجة عن دائرة المضرب ورأيا
رجلين عند بابها كأنهما يحرسانها في الليل والنهار فضحك الحاكم وقال
أى فرق بينها وبين الملوك فان لها ما لهم من الحاشية والحراس
وكان القمر يتلألأ في كبد السماء فلما وصلا الى الخيمة خرج منها غلام
لا يتجاوز عمره ثلاثة أعوام وهو جميل الوجه يشبه ابن اللورد أتم الشبه
فارتسم الحاكم حين رآه وفتح شمشون باب الخيمة وقال لهما تفضلاً بالدخول
وقد دخل الحاكم قبل رفيقه فوقف حائراً مبهوتين إذ رأى امرأة في
الخامسة والعشرين من العمر لها جمال يفتن الأبواب وهى مضطجعة فوق
حصير على الطريقة الشرقية فنظرت الى الحاكم وقالت له

هل عرفتني أيها اللورد
فقال بلهجة المنذهل أميرة النور
قالت بل ملكتهم سينتيا

ثم أشارت الى شمشون أن يخرج فقال لها اللورد أنت هنا
قالت نعم وستكون ضيفنا هذه الليلة
وعند ذلك دخل الغلام الى الخيمة فقال اللورد للطبيب أرجوك أيها
الصديق أن تدعنا وحدنا

فخرج الطبيب وهو يقول في نفسه لقد كنت أتوقع هذا اللقاء
وبعد خروجه دنا الحاكم منها وقال لها
لقد كنت مخطئاً اليك يا سينتيا ولكنى مستعد لاصلاح خطأى
قالت انى لا أسألك شيئاً أيها اللورد لا لى ولا لولدك هذا
- ماذا تقولين أهذا الغلام ولدى

- أنظر اليه فهو مثالك مجسما

فأخذه اللورد بين يديه فجعل يقبله بلهف ثم قال لها حسنا يا سينتيا
ان ولدك سيكون غنياً قادراً فان لى مالا كثيراً بحيث أستطيع أن أهب
منه مقداراً عظيماً دون أن أحجف بحق ولدى الشرعى فاعهدى الى
بولدى فانى أريه خير تربية واحعله من الأشراف

قالت كلا فانه سيكون نورياً مثل أمه ولا تستطيع أن تسلبنى اياه اذ
تضطر الى الاعتراف بزواجك من نورية وهى فضيحة يجنبها الأشراف
قال ولكن لماذا تؤثرين عيش التشرذ فهل تريدن أن تعودى الى
لندرا فانى أقيمك فى قصر وتعيشين أرفه عيش

قالت كلا فانى اوثر أن اكون ملكة فى خيمتى الحقيرة على أن اكون
عبدة فى قصرك الفخم

- ولكن دعيني أنفع هذا الغلام بشئ.
- كلا أيها اللورد ولكن لى ما التمسه منك
- ماذا تريدن
- أريد أن تحمى طائفتنا التى يحمىها الجميع
- أهذا كل ما تريدينه
- نعم والآن استودعك الله أيها اللورد فقد أمرت أن يحسنوا
- ضيفتك وضيافة رفيقك جهد الامكان
- ثم أشارت اليه أن ينصرف بجلال الملكات فنظر اليها نظرة اعجاب
- وقبل ذلك الطفل الذى لا يستطيع أن يعترف به وخرج فلقى الطبيب
- فقال له
- تعال فانى لا أريد أن أبقي دقيقة فى هذا المضرب واذا مات حوادانا
- فى الطريق سرنا الى كالكووتا مشياً على الأقدام



كان شمشون الجبار جالساً عند فراش جان كالكلب الأمين فلم
يغمض له جفن فى تلك الليلة ولبث ساهراً يصغى الى صوت تنفسات
جان التى كانت تدل على أنه شديد التعب
ثم سمعه يتنهد واستد صوت نفسه فوقف شمشون قلقاً مضطرباً
وفتح جان عينيه فقال
انى ظمآن

فافرغ له في كأس شراباً كان قد أعد له الطيب فشربه بجملته وقال
رباه كم أتوجع ومع ذلك فلا بد لي من الحصول على الكنز قبل أن
ينقله البراهمة من مكانه

فقال له شمشون أهلك وجدت الكنز
قال نعم وهو أعظم مراراً من كنوز جميع ملوك الأرض
قال ولكن لماذا لم تدعني اليك يا سيدى
قال اصغ الى تعلم السبب

ثم قص عليه كل ما جرى له في حوف الأرض تحت خرابات الهيكل
مع الفتاة حارسة الكنز وكيف أنها راقصته حتى أعياه التعب فسقته شراباً
يشبه الخمر الاسبانية

وهو لم يعد يعلم شيئاً بعد أن أضاع رصده من هذا الشراب ولكنه
حين استفاق لم يجد نفسه في تلك المغارة بل وجد نفسه ملقياً في الهواء
الطلق تحت شجرة من تلك الأشجار الهندية المشهورة بسموم أوراقها
وظلها فان من يستظل تحتها يموت لا محالة

وهذا النوع من الأشجار معروف في جميع الهند فلما رأى جان أنه
كان نائماً تحت تلك الشجرة الهائلة عجب كيف أنه لم يميت وقال في نفسه
لا شك أن الذين ألقوني هنا باتوا يعتقدون الآن أنى أصبحت من
عالم الأرواح

وقد ذكر جان عند ذلك أن شرائع البراهمة تحرم سفك دم الإنسان

ولكنها لا تحرم قتله بالاخلاق وأنهم يكرهون النور كرهاً عظيماً ويخشون
أن يتدنسوا بهم وهذا هو السبب الذى حملهم على أن يلقوه تحت
الشجرة السامة

هذا الذى خيل لجان أنه حدث فبينما كان يروى لشمشون ظنونه سمع
وقع حوافر جواد فقال له

اذهب وانظر ما هذا فان جميع رجالنا قد سكروا وناموا حسب
عادتهم وأخاف أن يكون الهنود قد غاروا علينا
فخرج شمشون وقال جان فى نفسه

انى سأذهب هذه الليلة لاختطاف الكنز وسأصحب معى شمشون
ولا أبالى بمجرى ولو قتلتى

وبعد هنيهة عاد شمشون الى الخيمة يصحبه ذلك الفارس الذى سمع
وقع حوافر جواده فدهش جان حين رأى أن هذا الفارس انما هو
الطبيب بالتون

وكان العرق يسيل من وجه الطبيب وهو يحمل تحت وشاحه شيئاً
لم يتبينه جان فقال له الطبيب

انى لم أبت هنا وذهبت الى كلكتو تا ثم عدت مسرعاً منها اليك
لاحدثك بشأن خطير

فأشار جان الى شمشون أن يخرج وقال له الطبيب والاضطراب باد
فى عينيه

هل نحن وحدنا الآن ؟

قال كما ترى

- أواثق انه لا يسمع حديثنا أحد

- كل الثقة فقل يا سيدى ما تشاء

فنظر اليه الطبيب نظرة الفاحص وقال له

قل لى يا بنى هل أنت من أهل المطامع

- أن لى مطامع أبناء الملوك

- وهذه الأطماع أهى لخدمتك وخدمة قبيلتك

- ثق انه متى أصبحت ملكا على طائفة النور لا يعودون يرسفون

بقيود الذل ولا يطردون عن الأبواب طرد الكلاب

- إذن أصغ الى يا بنى وافترض انهم أخذوا من طائفتكم غلاماً

يتراوح عمره بين الثالثة والرابعة وانهم جعلوه ابن لورد عظيم وان هذا

الغلام الذى ولدته أمه النورية فى البرارى سيحلس يوماً فى مجلس

أعيان المملكة ويجادل فى شؤونها زملاءه اللوردية العظام

فقال له جان أملك تهزأ بى يا سيدى وأنت تعلم ان هذا

الافتراض محال

- ولكن هب ان هذا الافتراض أصبح حقيقة

فبرقت عيناه كنجمين يضيئان فى سماء مظلمة وقال انه اذا حدث

ذلك فانى أسفك دمي فى سبيل خدمة هذا الغلام واتمنى له أن يكون

أعظم عظيم فى بلاد الانكليز

- إذن فاعلم انى قادم اليك لأخبرك ان هذا الافتراض الذى افترضناه ممكن الحدوث

- كفى بربك يا سيدى فانك تفضل صوابى

فأخرج الطبيب من تحت وشاحه ذلك الشيء الذى كان يخفيه ووضعه على الفراش وكان ملتقاً بقطعة من القماش فازاح القماش وظهرت من تحته جثة طفل فصاح جان قائلاً

ويلاه ما هذا . . ابن أختى سينتيا

فهز الطبيب رأسه وقال كلا ليست هذه جثة ابن أختك فانه فى أتم عافية ولكن الشبه عظيم حتى انك خدعت به لأول وهلة كما ستخدع انكائرا بمجملتها . أتعلم من هو والد ابن أختك

قال نعم فان أختى لا تكتم عنى شيئاً من أمورها فان الذى خدعها يدعى اللورد اسبرتهون وهو الآن حاكم الهند

- إذن فاعلم أن هذا الغلام الميت الذى تراه الان كان يدعى فى

صباح هذا اليوم المركيز روجر دى اسبرتهون أتعلم ماذا يدعى الآن ؟ انه يجب أن يدعى أميرى ابن سينتيا المتوفى بلسع أفعى

- لله مما اسمعه أنريد أن تستبدل ابن اللورد بابن أختى

- هو ذاك واللورد ابو الولدين

- ولكن أختى قد تموت من حزنها

- كلا فان عزاءها على فراقه أنها ستغدو أم لورد

- أنك تغويني

- بل اني أريد أن أحقق أمانيك وأجعل ابن أختك من عظماء الأرض
فوئب جان من سريره وقال

ليكن ما تريد وليعاقبنى الله اذا كنت أسىء بما أفعل فأعطني هذه
الجنة وانتظرنى خارج المضارب فلا يستطيع أحد سواى الدخول الى خيمة
أختى حيث ينام طفلها

فدفع اليه الجنة وخرج وهو يقول

لقد كنت أعلم يقيناً أن جان دى فرانس سيكون معنا وعلى ذلك
فان موت ابن اللورد سيكون مكتوماً لا يعلم به إلا أنا واللورد وجان



بزغت الشمس وصحت سنيتيا من رقادها وهى تبسّم فقد كانت حلمت
أن ابنها بات له مستقبل زاهر وطال حلمها كل ليلها فلما فتحت عينيها
وجدت أخاها جالساً عند فراشها وهو يبتسم فقالت له

لقد حلمت حلماً سعيداً يا أخى

قال ماذا حلمت يا أختى العزيزة

قالت حلمت أن ولدى اميرى قد اشدت وقوى وصار رجلاً يشبه

بجماله الآلهة

- سيصبح حلمك يا سنيتيا

- ولكن العجيب أنه لم يكن يلبس كما يلبس رجال قبيلتنا بل كان

يلبس ملاس مذهبة وهو يتقلد حساماً مثل النبلاء ويلقبونه بصاحب السعادة
ثم نهضت من فراشها وذهبت الى مهد ولدها فلم تكد تراه حتى
تراجعت منذرة وصاحت صيحة هائلة فقالت رباه أن ولدى مات
وكان جان يتوقع ما حدث فأسرع الى جثة ابن اللورد فحملها
وقال لأخته

أنظري اليه جيداً فما هو ولدك

ثم كشف عن ذراع الطفل وقال لها

أنك تعلمين أن ولدك كان موشوماً بعلامة طائفتنا فهل تجددين أثراً

لهذا الوشم

ولكن الأم لا تحتاج الى مثل هذه العلامات لمعرفة ولدها فقد عرفته
حين تمنعت في وجهه وقالت

نعم أنه ليس ولدى ولكن أين ولدى

قال أن ابنك نائم الآن في مهد من الحرير والعبيد يروحون حوله
بالمراوح كي لا يزعجه الحر

- ماذا تعنى

- أعنى أن ابن اللورد الحاكم مات فخل ابنك محله وهو الآن يدعى
المركيز روجر دى اسبرتهون

فسقطت على ركبتيها واهية القوى وأخذت بالبكاء فقال لها جان

ما هذا البكاء فان ولدك سيفدو سيداً عظيماً من كبار النبلاء وسيكون
لورداً عظيماً يحضر جلسات مجلس الأعيان ويجالس الملك

- ولكنه عندى شبه ميت إذ لا أراه
- كلا فاننا سنلزمه لزوم ظله ونحميه من كل طارىء ونعتز به فنخلع
عن رقابنا نير الذل والهوان ونشاركه فى مجده
ولكنها لم تنتبه لشيء من أقواله واسترسلت الى البكاء وهى تقول
أريد ولدى .. ردوا الى ولدى
فنظر اليها جان تلك المظرات النافذة التى كان يستهوى بها قلوب
رجال قبيلته وقال لها
انى اذا أرجعت اليك ولدك يأتى يوم تندمين فيه الندم الشديد
وتبكين بدموع من دم
فاطرقت برأسها وجعلت تبكى وهى صامته فقال لها
لقد قلت لك اننا سنتبعه فى كل مكان فاذا احتاج الى دماثا
سفكنها فى سبيله واذا أعوزه المال أعطيناه كنوزنا ينفق منها ما يشاء
فحسبت أن أخاها قد جن وقالت له كنوزنا
قال نعم فسيكون لنا فى هذا المساء كنز لا تعادله كنوز الأرض
وسيكون المستقبل لنا ولولدك



والان لنبسط للقراء كيف كانت نجاة جان من قبضة البراهمة بعد
أن تركناه مخدراً على الأرض وخنجر الكاهن مشهر فوق صدره وقد
قضى عليه بالموت لتجاسره على الدخول الى المغارة واكتشاف أسرار
الكنز .

ان الفتاة الهندية حين رأت هذا الخطر المحدق به صاحت
بالكاهن قائلة

ماذا تفعل أيها المنكود ألا تعلم ان الاله الذى نعبده يحرم علينا
سفك الدماء

قال يجب أن يموت

قالت انه يموت ولكن دون أن نسفك دمه

- إذن كيف يموت

- أحمله مع رفيقك وألقياه تحت شجرة سامة فلا يشرق عليه الصباح

حتى يموت

- لقد أصبت ياناتا فانك على حادثة سنك لك حكمة الشيوخ

وسنفعل ما أشرت به

قالت ان موته سيكون محتما وقد تدركه النور فتفترسه قبل الصباح

وقد وافق الكاهنان على ذلك ودخلا الى مكان فى المغارة فأتيا

بجشبة فحملاه عليها وانصرفا

ولكن الفتاة كانت قد اغتنمت فرصة بجشهما عن الجشبة فأسرعت الى

زجاجة صغيرة وأفرغتها فى فم جان فلما ذهب الكاهنان به برقت عيناها

من الفرح وجعلت تحدث نفسها فتقول

نعم ان الشجرة السامة تقتل من ينام تحتها ولكن ابنة الكهنة التى

قضى عليها أن تعيش فى جوف الأرض لا تريد أن يموت هذا الفتى

الجميل الذى حرك عوامل قلبها ولذلك سقيته ترياقا يقيه الموت من كل السموم وسيعود الى

نعم انه سيعود فقد شعرت ان صدره يخفق خفوق صدرى وسيد كرنى حين يفيق ويعود الى قهررب معاً الى حيث يشاء

وقد نامت فلما صحت علمت من مقدار الخشب الذى التهمته النار ان زمن عودة الكهنة قد حان

وقد أقبلوا بعد هنيئة فتجلدت احفاء لاضطرابها وسألتهم أين وضعوه قالوا اننا وضعناه تحت شجرة سامة ولكننا لم نجده حين عودتنا فلا شك ان النمر اختطفته

ثم تركوها وانصرفوا فكادت تجن من خوفها عليه وجعلت تضرع الى الاله سيوا أن يحميه وبقيه

وفيما هى تصلى وتبتهل رأت جان داخل المغارة فصاحت صيحة فرح لا توصف وهجمت عليه فعاثقه وهى تقول لم يكن عندى شك أيها الحبيب انك ستعود الى فدفعها عنه وهو يقول ارجى أيتها الشقية فقد أردت قتلى بالسم والقيتنى تحت الشجرة السامة

فضمت يديها وقالت كلا أيها الحبيب بل انى أنقذتك من خناجر الكهنة لأنى أحبك

فضحك جان وقال

لا أعلم اذا كنت تحبيننى ولكن الذى أعلمه انى محتاج الى هذا الكنز

قالت انت ذلك لا يكون فاني لا أسرق أموال إلهي قال اني
أريد الكنز

قالت بل انتك لا تأخذ منه شيئاً فخذني الى حيث تشاء وسأكون
عبدة لك ولكن لندع كنز الإله

وقد عادت الى عناقه فصدها عنه بعنف وقال لها ان الوقت لا يتسع
الآن للغرام فهل تريدان أن تتبعيني

- نعم

- ونأخذ معنا الكنز

- كلا كلا

- إذن اصبري

ثم وضع أصبعيه في فمه وصفر صغيراً خاصاً فلم تكن غير هنيهة حتى
سقط من فم المغارة شمشون الجبار وناثنيال والد الطفلة التي تبناها
السير روبرت

وكان الاثنان مسلحين وهما يحملان كيسين كبيرين من الجلد فقال
لها قيدا هذه الحسناء وكماها كي لا تصيح

وبعد أن امثلا وضعا ما كان في المغارة من الجواهر والذهب في
الكيسين وخرجا يتقدمهما جان فوضعوا الكيسين على مركبة وعادوا
جميعهم الى المضارب وقد فاز جان بالكنز

القسم الثالث مس النس

مضى سبعة عشر عاماً على الحوادث التي بسطناها ربي في خلالها
ابن النورية أى ابن أخت جان دى فرانس فى قصر اللورد أليه وكان
يدعى المركيز روجر دى اسبرتهون وهو فتى فى العشرين من العمر وله
جمال تام وأدب أنم . وقد بقى سر مولده مكتوماً عن جميع الناس ما خلا
أباه وأمه وخاله والطبيب بلتون

وكان ابن عمه السير جمس قد اعتزل الخدمة فى الجيش وأقام فى
قصرهم القديم فى اسبرتهون وهو فى الثلاثين من العمر وله نظرات تدل
على الحقد وتفتان رقيقتان تدلان على انه مفطور على الحبث
ففى يوم من أيام الربيع كان المركيز روجر سائراً على جواده يصحبه
خادمه لزيارة ابن عمه السير جمس

وما زال سائراً حتى وصل الى الغابة المؤدية الى منزل ابن عمه فانتبه
لصهيل جواد كان يسير فى تلك الغابة بفارسه فقال من عسى أن يكون
هذا الفارس أعله ابن عمى قادم لزيارتى

ولكنه لم يلبث ان تبين خطأه بعد بضع خطوات فقال ترى من
هو هذا الفارس

فقال له خادمه أظنه ياسيدى ذلك الهندى الذى اشترى أرض
اللورد جاك جريجور منذ أسبوعين

قال لقد سمعت شيئاً من أخبار هذا الرجل فقد قيل انه أتى
بثروة عظيمة

ثم واصل الاثنان سيرهما ولما توغلا فى الغابة اعترضت المركيز امرأة
نورية تبلغ نحو الأربعين من العمر فقال لها ماذا تريدن
قالت أود لو أذنت لى أن أرى طالعك فانى أعرف بأسرار المستقبل
فضحك المركيز وقال أحق انك تعرفين

قالت نعم

قال لا أرى فى سماء مستقبلى شيئاً من الغيوم فانى فى العشرين من
عمرى ولى ثروة يبلغ ربعها الملايين وانا من لوردية انكلترا وقائد فرقة الملك
قالت ان الاخطار قد تهدد الملوك انفسهم فدعنى أرى باطن كفك
فبسط لها يده وهو يبتسم فنظرت فيه وقالت

أرى ان خطراً عظيماً يحرق بك وخير لك أن لا تذهب للصيد غداً
- كيف عرفت انى سأصيد غداً

- ألم أقل لك انى أعرف المستقبل

- وأى خطر على من صيد الثعالب

- ان من يصيد الثعالب قد يلقى فى طريقه دباً كاسراً

- ولكن الوحوش الكاسرة لا أثر لها هنا

- أنصحك أن تثق بما أقوله لك وإن لا تذهب غداً للصيد
- حسناً فسوف أرى والآن فهل بقي لك ما تتنبأين لى عنه
فعادت الى فخص يده وقالت له أنك من العشاق يا سيدى
فارتعش وقال ذلك ممكن فهل أنا مخطىء أيضاً فى هذا الحب
فهزت رأسها وقالت أنك قد تندم لحبك هذا
- وأنت ما زلت تعلمين كل شىء فقولى لى هل تحببى التى أحبها
- سأجيبك فى فرصة أخرى إذ يوجد فى يدك خط لم يكتمل بعد
والآن أستودعك الله وأسأله أن يحرسك
فرمى لها المراكز دينارين وواصل سيره وهو يقول ترى لماذا أندم
لحبى مس ألن
ثم قال لخادمه أتعرف هذه المرأة
قال نعم فهى نورية ترتزق من هذا التدجيل فاطمئن يا سيدى فإن
تكهناتها لا تصدق



كان السير جهم فى إحدى قاعات قصره فدخل اليه خادمه وقال له
أن ابن عمك يا مولاي قادم لزيارتك
قال كيف عرفت ذلك
قال رأيته من الشرفة قادماً بجواده عند مخرج الغابة
- أتعلم يا ويلسن أن ابن عمى كتب لى رسالة
- نعم وقد دعاك فيها الى صيد الثعالب

- وقد رفضت الدعوة لثقتي أنه سيزورني ويلج على فأقبل
- إذا كان ذلك فلماذا رفضت في البدء
- لأنه إذا حدثت نكبة غداً في الصيد فلا يظنون اني أنا أعدتها
- لاغتيال ابن عمي كي أرثه
- أتوقع يا مولاي حدوث نكبة غداً
- نعم
- كيف ذلك
- أن من يصيد الثعلب قد يلقى دُباً
- ولكن لا يوجد هما وحوش ضارية
- سيوجد وحش في العد بلون الجواد الذي يركبه ابن عمي العزيز
- أنه لا يركب غير جواده نيشون الأسود كما تعلم
- حسناً وان لهذا الوحش ولماً بالهجوم على الجياد السود
- فنظر اليه الخادم نظرة المنذهل دون أن يفهم فقال له
- سأكشف لك هذا المعنى والآن فلنتهيأ لاستقبال رئيس أسرتنا
- فخرج الخادم وجعل السير جيمس يقول اني لا أزال أعجب كيف أنه
- سلم من الأفعى فقد وضعته في سريره حين كان له من العمر ثلاثة أعوام
- وبعد هنيهة دخل المركيز فبالغ السير جيمس بالاحتفاء به فأقام
- عنده ساعة وقد ألح عليه كثيراً حتى رضى بحضور حفلة الصيد ثم افترقا
- فشيعة الى الباب الخارجي

وبعد انصرفه نادى خادمه وقال له تعال الآن أخبرك بما عازمت عليه . أتذكر انى كنت فى الشتاء الماضى أذهب الى هايد بارك

- أنك كنت تذهب كل يوم يا مولاي

- ذلك أنه كان يوجد عند باب هذه الحديقة الكبرى رجل يروض الوحوش الضارية فلبثت نضعة أيام أحضر هذه الألعاب الى أن دعوت يوماً مروض الوحوش وقلت له كم تكسب فى يومك

قال عشرة شلنات تقريباً

قلت أتريد ان تكسب ثلاثين

قال دون شك فماذا تريد أن أصنع

قلت أريد أن تلاعب الوحوش أمامى وحدى فى كل يوم فاتفقنا على ذلك وجعل يلاعب وحوشه مدة ثلاثة أشهر كل ليلة من انتصاف الليل الى الساعة الثانية بعده

وكانت الطريقة التى اخترتها هى أن يلبس برائن دب كاسر عنده أحذية من الجلد كى لا يستطيع الايذاء بها ثم يخرج به الى ساحة اللعب فيجد هناك رجلاً يلبس ملابس الفرسان وهو يمتطىء جواداً أسود فيسير بجواده حول هذا الدب ويجلده بسوطه جلداً أليماً

وقد لبث الدب يصبر على الأذى مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع جعلت عيناه تتوهجان من الغضب حين يرى الفارس وجواده الأسود ولبثنا على هذا التمرين ستة أشهر وفى كل يوم يرى الدب الجواد

الأسود ويشعر بالسياط تمزق جلده الى أن خطر لى أن أجربه آخر
تجربة فأتيت بتمثال من الخشب ألبسته ملابس الفرسان وأركبته على جواد
أسود ووضعت في ساحة اللعب ثم أمرت مروض الوحوش فنزع أحذية
الجلد من براثن الدب وفتح له باب القفص فلما رأى الجواد وفارسه هجم
عليهما هجوماً هائلاً ولم تكن غير هنيئة حتى بقر بطن الجواد وحطم التمثال
الخشبي وبات الدب ممرناً أتم التمرين

فقال له الخادم أين هو الدب الآن

قال لقد جاء به مروضه أمس الى الغابة التي سنصيد فيها غداً
قال ولكن هذه الحفلة سيحضرها كثيرون وملابس الأشراف
متشابهة ويوجد بين جيادهم بعض جياد سوداء
قال لقد احتطت لهذا الأمر ولكن المركيز سيصل الى موقف الدب
قبل سواه

- كيف ذلك يا سيدي

- ذلك منوط بك فإذا يكون من الجواد اذا وضع تحت سرجه
صنارة صيد وغرست في لحمه

أنه يهيج في الحال ويجمع بفارسه

- كلا أنه لا يهيج في الحال بل بعد ساعة

- كيف ذلك

- ذلك أن تلف الصنارة بشمع ويخاط أسفلها بالسرج فتى سار

الجواد ساعة أذابت الحرارة الشمع ودخلت الصنارة الى لحم الجواد
والآن فانك ستذهب في هذا المساء الى قصر ابن عمي فتنام هناك
مع الجياد وكلاب الصيد واذا كنت حاذقاً تمكنت من وضع الصنارة
تحت السرج

قال اطمئن فسيكون ما أردت

قال وأنا متى ورثت ملايين ابن عمي ولقبه اعرف كيف اكافئك



وهنا لا بد لنا أن نذكر شيئاً بالايجاز عن أبطال هذه الرواية الذين
تركناهم في الهند منذ سبعة عشر عاماً وقد عادوا كلهم اليها الآن فان
اللورد اسبرتهون اعتزل منصبه في الهند وعاد الى لندرا فمات فيها منذ
عام وهو يعتقد أنه ليس له غير ولد واحد من امرأته غير الشرعية أى
ابن النورية

وجان دى فرانس عاد مع طائفته الى لندرا تصحبه أخته أم المريكز
وقد جاء بتلك الأموال العظيمة التى أخذها من هيكل سيوا وأقام
في لندرا متتكرراً باسم الناباب عثمان

وناتا الهندية التى كانت حارسة الكنز أطلق الكهنة سراحها فخذت
حقدأ عظيماً على جان وجعلت تطوف أوروبا باحثة عنه للانتقام

والسير روبرت قتل أخا اللورد بمبارزة وعاد الى لندرا مع الطفلة
التي اشتراها من أبيها ناثانيل النوري فرباها وأوهم الناس أنها ابنة أخ له

متوف في الهند وهي الآن في مقتبل الشباب تدعى مس الن ولها جمال نادر واللادى سسيل امرأة اللورد اسبرتهون الشرعية عادت من ايكوسيا الى لندرا يصحبها ولدها ليونيل ابن اللورد الأصغر ولكنها أوهمت جميع الناس أن ولدها قد مات حذراً عليه من بطش أخى زوجها بعد أن وثقت أنه يريد قتله وكتمت عن ولدها نفسه سر والده فهو يعتقد أنه ابن أحد الضباط وان اللادى سسيل كملته صغيراً وربته عندها والطبيب بولتون عاد أيضاً الى لندرا وهو مع السير روبرت من أصدقاء المركيز روجر

وكان المركيز روجر وليونيل ابن اللورد الشرعى يحبان مس الن وكلاهما لا يعلمان أنهما اخوان ويجهلان أنهما يحبان امرأة واحدة ففي الليلة التى تقدمت حفلة الصيد كان نحو أربعين مدعوأ جالسين على مائدة المركيز روجر بينهم مس الن تضىء اضاءة البدر بين النجوم وكان الجميع يتسابقون الى اكرامها ويطعمون بنيل ابتسامة منها ولكنها لم تكن تبسم فى تلك الليلة بل كانت منقبضة الصدر حتى لقد خيل للمركيز أنه رأى دمعة سقطت من عينها ولما فرغوا من الطعام جىء بالخبز الفرنساوية وحان دور شرب الانخاب فوقف المركيز وكاسه فى يده وقال

أيها اللوردية والسادة انى أشرب نخب مس الن الحسنة
فشكرته الفتاة بابتسامة وقالت

وأنا أشرب نخب الكولونيل روجر
فأجابه روجر ان الكولونيل روجر يضع فرقته تحت أمرك
فابتسمت وقالت ماعدا قائدها فيما أظن
قال بل الفرقة وقائدها

قالت احذر مما تقول فلو أعطيت هذه السيادة هنيهة لالتمست من
الكولونيل التماساً

قال مری بما تشائین

- أتفعل ما أطلبه اليك

- دون شك

- إذن انی أسألك مركز ضابط فی فرقتك فضحك وقال أنت

التي تتولين هذا المنصب

قالت بل لفتی يتولى عمى حمايته وأنا أحبه حب أخ وهو ليونيل فارز
قال أن أخى كان يدعى بهذا الاسم حين مات وهو فى سن الرضاع
وقد عينت هذا الفتى كما تريدین وسأجعله من أصدقائى

فعادت الى شرب نخبه وشاركها الجميع فى شرب هذا النخب وبعد
ذلك نهضوا عن المائدة وقال لهم المركيز لا تنسوا أيها الأسياد اننا
سنركب الجياد فى الساعة التاسعة من صباح غد وأما السيدات فانهن
يتبعننا فى المركبات

فقلت مس الن أما أنا فامتطى جواداً

فقال لها المركيز اذا كان ذلك فاني أعد لك جواداً لا يوجد جواد
يمثله في ايكوسيا

فدلت له يدها شاكرة فقبل يدها وقال في نفسه لم يعد لي طاقة على
الصبر وسأبوح لها غداً بفراي

في صباح اليوم التالي ركب الجميع جيادهم وانطلقوا بها الى الغابة فكانت
مس الن تسير بجانب المركيز ووراءهما ابن عمه السير جيمس وخادمه ويلسن
فلما وصلوا الى مكان الصيد ذاب السمع وشعر جواد المركيز بوخز
الصنارة فجعل يهيج ويحاول الركض والمركيز يمنعه كي لا يفارق مس الن
الى أن قال لها هذه أول مرة رأيت فيها جوادى على هذه الشدة

قالت أطلق له العنان فاني اتبعك

فأرخی له عنانه فانطلق كالسهم وتمكنت الفتاة من ادراكه فقد كان
جواده شديداً وكذلك السير جيمس وخادمه فقد كانا لا يبعدان عنه
أكثر من مائة خطوة خلافاً لبقية الفرسان فقد كانت جيادهم ضعيفة
فلم تتمكن من اللحاق

أما المركيز فقد شعر أن جموح جواده غير طبيعي وحاول مراراً أن
يكبح جماحه فلم يستطع

الى أن وصل الى قمة عالية وهناك صاحبت الفتاة صيحة منكرة وغطت
وجهها من الذعر فانها رأت وحشاً هائلاً قد انقض من أعلا القمة انقضاض
الصاعقة وهجم على جواد المركيز فبقر بطنه وألقاه على الأرض مع فارسه

وقد حاول الوحش أن يبطش بالمركيز وعند ذلك سمع صغير تلاه
صوت رجل يقول : تون . تون

فالتفت الدب الى مصدر الصوت وظهر رجل هائل الحلقة من بين
الأشجار فجعل الدب ينظر اليه بعينيه الصغيرتين نظر المنذهل فقال له
الرجل تعال

فمشى الدب خطوتين اليه كأنما صوت الرجل سحره فقال له نم هنا
فامثل طائعا وجعل يلحس قدمي الرجل

وقد جرت هذه الحادثة بدقة تمكن المركيز في خلالها من النهوض
إذ لم يكن أصيب إلا برضوض بسيطة
أما الرجل فانه ابتسم للمركيز وقال له أرجو يا سيدى أن لا تكون
أصبت بأذى

قل كلا ولكن وحشك كاد يفترسنى
قال أنك واهم يا سيدى فهذا الوحش ليس لى
- ماذا تقول

- أقول الحق فقد كان لى ولكنى بعته منذ ثلاثة أعوام فلما سمع
صوتى الآن عرفنى

وكان السير جيمس وخادمه رأيا هذا المشهد من بعيد فقال الخادم
أن مروض الوحوش قد خاننا ولا أجد خيراً من الهرب
قال لقد أصبت فلنذهب

وكانت مس الن قد اطمانت خلافاً لجوادها فقد كان يرتعد فأمر
الرجل الدب أن يصعد الى القمة فامثل وعاد المركيز الى محادثته فقال
له تقول أن هذا الوحش ليس لك

قال نعم فقد بعته حين اعتزلت مهنتي

- لمن بعته

- لرجل يدعى سيمون وهو يروض الوحوش

فقات مس الن وكيف اتفق وجود هذا الوحش هنا

قال لا أعلم

- وأنت كيف اتفق وجودك هنا

- اني هنا بأمر الرئيس

- من هو هذا الرئيس

- هو الذى أسفك فى سبيل خدمته كل دمي

- ماذا يدعى

فمد يده مشيراً الى جهة الغابة وقال هذا هو فالتفت المركيز وصاح

صبيحة دهش أما الفتاة فانها كادت أن تسقط عن جوادها حين رآته

وقد أقبل هذا الذى يدعونه بالرئيس فقال للذى أنقذ المركيز لقد

أحسنتم يا شمشون فانك أصدق المخلصين

كان هذا الرجل جان دى فرانس الذى كان يعرفه أهل لندرا باسم

الناياب عثمان

وقد انحنى المركيز امامه مسلماً وقال انى نجوت من الموت بأعجوبة
ويظهر انك كنت سبب نجاتى
قال هو ذاك

فحاول المركيز أن يشكره ولكنه قاطعه بإشارة وقال له أنظر الى هذه
القمة فان صاحب الدب كان مختبئاً فيها لينتظر قدومك فلما رآك أطلق
عليك الوحش ولكنه كان يوجد رجل مختبئاً وراءه فاعمد خنجره بين
كتفيه وأسرع فى أثر الدب وغدارته فى يده فلم يعرف صوت صاحبه
القديم لأطلق عليه النار وقتله أفهمت الآن

قال كلا فلم أفهم السبب الذى حمل هذا الرجل على أن يطلق
وحشه على

- انه لم يكن غير آلة فى يد سواه

- الى أعداء يريدون قتلى

- ان من كان له صباك ونبلك وثروتك لا يخلو من اعداء ورجائى
أن تأذن لى بأن لا أصرح باكثر من هذا

- ولكن أرجو أن تقول لى على الأقل من الذى كان مختبئاً وراء
مروض الوحوش وقتله

- هو أنا

- أنت

- نعم والآن أرجوك يا سيدى أن تأذن لى بالانصراف فانى أرى
رفاقتك قادمين وقد تأخروا عن انقائك ولكنهم سيعطونك جواداً تعود
عليه فاستودعك الله

ثم نظر الى حواد مس ألن وقال لها ان حزام جوادك قد ارتخى
يا سيدتى فائذنى لى أن أستده
وقد دنا منها فشد الحزام وقال لها همساً :

ياتوسى النورية ان الرئيس يأمرك أن تذهبي بعد ثمانية أيام فى
الساعة العاشرة من المساء الى ديتفورد وان تتظريه هناك وحدك

ثم ودع المركيز وانصرف فتبعه شمشون يصحبه الدب
وعند ذلك التفت المركيز الى مس ألن فراحا مصفرة الوجه تضطرب
فحسب ان اضطرابها من حادثته وقال لها ما هذا الاضطراب

قالت انى اضطرب من خوفى عليك
قال أعرفت هذا الرجل الذى أنقذنى
قالت كلا

وقد أطرقت برأسها الى الأرض كأنها تريد اخفاء مخاوفها وعند ذلك
انقطع الحديث بينهما لقدم رفاق الصيد



أما عثمان أو حان دى فرانس فإنه عاد من فوره الى لندرا وذهب
الى بائه المحمديهات وقال له أسعدت صباحاً يا ناثايل فوقف الرجل اجلاً
(٥)

له وحياء باسم الرئيس فقال له عثمان كف مصير الأعمال

قال انها فى خير حال

فابتسم وقال له إذن أنت غير آسف على الزمن القديم حين كنت

ترتزق من سرقة كلبك

قال كلا أيها الرئيس ولكن

- ولكن ماذا

- ولكنى يخطر لى أحياناً بعد هذه السعادة انى وحدى

- تزوج

- كلا ليس هذا الذى أعنيه فقد مت مرة بالزواج ولا يشتهى الموت

من ذاقه ولكنى نادى لأننى نعت بنتى فإنها من دى وأناى أحن إليها

- إذن أنت تريد أن تراها

- وأسفاه كيف السبيل الى ذلك وأنا لا أعلم ما جرى لها ولا أعرف

اسم الرجل الذى أخذها منى

- ان لندرا كبيرة غير أن من يبحث يجد

- أحق ما تقول يا سيدى

- امك علمت بالتجربة انى حين أتولى أمراً لا أخيب

- انها تبلغ الآن الحادية والعشرين من عمرها اذا كانت لا تزال

باقية فى قيد الحياة وقد كانت تشبه أمها فهى لا بد أن تكون من أجل

الفتيات فاذا استغلت معى راجت تجارتى أعظم رواج

- لقد عرفت الآن معنى حنوك الأبوى ولكنى سأجد بنتك فهل
هى موسومة بعلامة طانفتنا

- دون شك فقد وسمتها حين ولادتها

- أليس لها علامة أخرى

- نعم فقد عضها الكلب فى حداتها ولا بد أن يكون أثر هذا العض
باقياً بين الابهام والسبابة

- حسناً فسأبحث عن بنتك ولكنى اشتط شرطاً

- ما هو

- هو انى حين أردتك اليها واقول لك هذه هى بنتك تطلب بها

- هذا لا ريب فيه

فودعه وانصرف

وفى اليوم التالى دخل ايوبيل فى فرقة المركيز وقد أحسن استقباله
وعينه ضابطاً وجاءت أمه من الريف فأقامت متسكرة فى لدرا فلم يكن
يعرف أمرها غير السير روبرت

وأما السير جيمس ابن عم المركيز فقد كان أسفه عظيماً لحببة مساعيه
فصبر حتى اطمان وأيقن أن ابن عمه لم يعلم شيئاً من حقيقة أمره فعاد الى
الكيد له وأغري رجلاً مشهوراً بالمبارزة ورثاه بالمال كى يبارز المركيز.
ولم يقتصر على ذلك بل انه اشترى حساماً مقلداً من نورى وهو سيف
ينكسر لأول صدمة وأهداه الى ابن عمه المركيز

وكان عثمان قد عرف بأمر المبارزة وعلم من النورى سر السيف فذهب الى المركيز وسأله أن يجعله من شهوده ففعل

وفى اليوم المعين للمبارزة أبدل سيف الرجل بسيف المركيز المقلد وجرت المبارزة فدارت الدائرة على الرجل فأخبره عثمان بحكاية السيف المقلد ولكنه كتم عنه مكيدة ابن عمه فشكره المركيز شكراً حمياً اذ انقذه مرة ثانية من الموت ولكنه كان شديد الاضطراب إذ أيقن الآن أن له عدواً هائلاً ولكنه لم يعرف هذا العدو فان عثمان أبى أن يخبره عنه مدعيًا انه لم يعرفه بعد

غير انه قال له اطمئن فاذا كان لك عدو فلك كثير من الاصدقاء وان عيونهم لا تمام

فلم يكن هذا الكلام الا ليزيد هو احس المركيز فانه لم يفهم سبب هذه الصداقة ولا ذاك العدا

بعد حادثة الوحش بثمانية أيام كان عثمان يسير مسرعاً على ضفة نهر التيمس الى أن دخل الى مكان معين فالتفت الى ما حواليه ليرى اذا كان يتبعه أحد فلما لم يجد ما يريه صفر صغيراً خاصاً بفعه ثم اتشح بردائه ووقف ينتظر

وبعد هنيهة سمع صوت المجازيف فالتفت وراجه فاربا يدنو مسرعاً الى الشاطئ

وكانت الساعة قد بلغت التاسعة من المساء وظلام الليل مشدداً
فنظر الى القارب محققاً وقال
أهذا أنت يا شمشون
قل نعم أيها الرئيس
فوتب عثمان الى القارب ونظر في ساعته فقال
لقد دنا الوقت فاسرع يا شمشون وسرّبني الى دريتورد
وبينما كان القارب يسير كان عثمان يحدث نفسه فيقول سوف نرى
يامس الن ما يكون
وقد كانت الهواء شديداً والتيار سريع الجريان فندفع القارب
ببلء السرعة
وكان الصياب شديداً متلبداً حتى أن المصاييح التي كانت مضاءة
على ضفتي النهر لم تكن ترى لشدة تلبد الضباب
ومع ذلك فإن شمشون كان يسير بقاربه ببلء المهارة ويدفعه بين
السفن الكبرى دون أن يخشى الاصطدام
وبعد ساعة وصل الى المكان الذي كان ذاهباً اليه فنظر عثمان الى
منزل معتزل تحيط به الأشجار على الضفة اليمنى فلم يجد فيه أثراً للنور فقطب
حاجبيه وقال في نفسه
ترى أجسرت مس الن على مخالفة أمرى فلم تحضر
ثم أمر شمشون أن يرسو عند ذلك الشاطئ وخرج من القارب
فقال لشمشون

أبعد قليلا ولا تعد الا حين أناديك بالصغير
وقد مشى الى ذلك المنزل وسار بضع خطوات تحت جدران المظلمة
وهو يقول

لا بد لنا أن تكون مس أن منا
وفيما هو على ذلك رأى فجأة نوراً قد لمع من وراء إحدى النوافذ
ثم فتحت النافذة فدنا منها وسمع صوتا يقول له من أنت
قال أنا هو الذى تنتظرينه
قالت ان النافذة مفتوحة فادخل

ففسلق الجدار الى النافذة ووثب منها الى الغرفة التى كانت فيها وهى
غرفة مفروشة بالحريير ومزينة بالأزهار وغير ذلك من التزيين الدقيق
الذى لا يفهم أسرار غير النساء

وعلى الجدران رسوم مصورة باليد كتب تحتها اسم أن دلالة على
انها هى التى صورتها

وبين هذه الرسوم رسم السير روبرت مما يدل على أن الفتاة كانت
فى منزلها الصيفى

وان تربية الفتاة فى بلاد الانكايز تختلف كثيراً عن تربيتها فى
سائر البلدان فان ذويها يمنحونها الحرية المطلقة فتركب الجياد وتسير
وحدها فى الشوارع وتتنزه فى القوارب دون أن يصحبها أحد اذا شئت
ولذلك كانت مس أن متمتعة بكل ما تتوق اليه نفوس العذارى
من الحرية

وكان السير روبرت قد ذهب منذ يومين الى ايكوسيا فى بعض
الشؤون وترك مس ألن فى لندرا مع مربيتها القديمة
ولكنها كانت تأتى فى كل مساء الى منزلهم الصيفى فتميت فيه وعند
الصباح تركب قارباً وتعود الى لندرا
وقد وقف عثمان أمامها وبدأت هى الحديث فقالت
لقد أحببت أن أراك يا سيدى لأنى لا أزال أفكر الى الآن دون
أن أدرك معنى ما قلته لى فى حفلة الصيد منذ ثمانية أيام
قال إذن أنت تريدان أن أوضح لك معناه
فأجابته بجفاء قائلة

نعم ولا أريد أن تطيل انتظارى
فجلس على كرسى أمامها وقال لها
إذن اعلمى أيتها العزيزة توبسى انى قادم اليك لأعقد معك محالفة
فوقفت عند ما سمعت كلمة توبسى وقد توهجت عينها واصفرت
شفتاها كأنها رأت أفعى فاجأتها وقالت له

انى ادعى مس ألن فالدن يا سيدى وأمنعك عن أن تدعونى بغير اسمي
فابتسم عثمان ابتسام المتهم وقال لها
ليكن ما تريدان فقد قلت لك انى أتيت لعقد محالفة
فبظرت اليه نظرة المحتقر وقالت
مع من تريد أن أتخالف

قال مع قوم فقراء لا يحسدونك لثروتك وألقابك أى مع طائفة اميرى
النورية يا مس ألن

فضحكت ضحكا مغتصباً وقالت

أنا أنحلف مع النور أنك تقص على حكاية شرقية

قال نعم وهى حكاية هندية فان ملك المور يحبك كثيراً يا مس ألن
ويريد أن تكونى سعيدة فى عالمك الجديدة

فقلت له بلهجة المتهم أحق ما تقول

قال نعم وقد خشى أن تهادى فى اطعامك فأرسلنى اليك كى أسديك
نصيحة وهى نصيحة أخ صادق فأنذنى لى أن افترض هنيهة أنك تدعين
توبسى وانه ابنة ناثايل النورى

قلت أتم حديثك فانك ترى انى مصممة على أن أسمعه بجملة

قال واذا صح هذا الافتراض فان أصحابك يسرهم أن يعقد هذا
الزواج الذى يعده لك السير روبرت فالدن

- مع السير ليونبول

- نعم وهو يحبك بلاء جوارحه

- ولكن اذا خطر لى أن أطمع بأحسن من هذا الزواج وأردت أن

أكون يوماً مركيزة

- أتريدى الزواج بالمركيز دى اسبرتهون

فقطبت حاجبها لهذه المفاجأة وقالت

لنفترض أن هذا الاسم يوافقني
- ولكن لا يوافق رجال الطائفة على الإطلاق وإيس من فائدتك
أن يكونوا من أعدائك

فاتقدت عيناها ببارق من الغضب وقالت
أيطمع أولئك الذين تدعوهم أصحابي أن يحكموا على قلبي ومستقبلي
ويزوجوني بما يشاءون
- كلا فأنهم يتركون لك الخيار فلك أن تزوجي بمن تريدينه
ما خلا المركيز

- وإذا أردت أن أكون مركيزة وان اتشح بوشاح اللوردية
فماذا يكون

فوقف عثمان وقال
يكون أن ملك النور ورعاياه يشهرون عليك حرباً عواناً لارحة فيها
ولا اشفاق

فظرت اليه بعينين تتوهجان من الغضب واثارت في قلبها الأحقاد
فقالت

حسنًا فان توبسى النورية تقبل هذه الحرب واني أقاتل جموعكم
وحدى غير هيابة من ملككم ورعاياه فقد ذكرت الآن أيام حدائتي
وذكرت نبرات صوتك التي وصلت الى مسمعي كالصدى البعيد وعرفتكم
حق العرفان فانت هو جان دي فرانس

فكثف عثمان يديه وجعل ينظر اليها بلاء السكينة ومضت في حديثها فقالت

نعم أنت هو جان دى فرانس أى ألك نورى مثلى وابن الطائفة الممقوتة التى قدر لى نكد الطالع أن أكون منها وأنا خلقت لأكون من بنات الملوك نعم انى أكره هذه الطائفة كرهاً لا تصفه الأقلام فقد ضربت فيها وأهنت وتعذبت وان ذلك الوحش الضارى الذى كان يقول أنه أبى كان يضربنى دون ذنب وقد أغرى كلبه بى فدعاه يعضنى عضاً شوه يدى نعم انى أكره هذه الطائفة والالتجاء اليها واكرهك أنت يا جان دى فرانس لأننى أعلم ألك رئيس هذه الطائفة . ارجع أيها اللص . الى الوراء أيها السفاك المتشرد فان هذه الثروة التى تتمتع بها إنما هى من السرقة والآثام وسفك الدماء

فيكان جان يسمع حديثها وهو يبتسم حتى اذا أتمته قل لها
إحذرى فانى قادر أن أجعلك تندمين

قلت أخرج من هنا أيها المتشرد فانى لا أخافك

ولكنه لبث واقفاً فى مكانه فهاج غضبها وأخذت سوطاً كان على مقعد بجانبها فضربت به على كنفه

أما جان فانه لم يهجم عليها ويعصرها بين ذراعيه بل أنه رجع خطوة الى الوراء وقل لها بصوت أجس

ألك ستبكين دماً لهذه الضربة . الى اللقاء يا توبسى

ثم مشى الى النافذة فوثب منها وتوارى عن الانظار

القسم الرابع افتتاح السر

بعد ذلك بيومين بينما كانت مس أن جالسة في غرفتها دخلت إليها خادمة بعلبة متقنة الصنع ومفتاحها فيها فسألتها قئلة من أنى بهذه العلبة قالت رجل لا أعرفه يا سيدتى فقد أعطانى إياها وانصرف وكان يرد إليها أكثر الأحيان هدايا لا تعرف أصحابها ولكنها كانت هدايا بسيطة خلافاً لهذه العلبة فقد كانت من الذهب وهى مرصعة بالحجارة الكريمة فخطر لها فى البدء أن ترسلها الى البوليس ثم أرادت أن تعرف ما يوجد فيها فأمرت الخادمة بالانصراف وفتحتها فوجدت فيها أكليلاً من الماس موضوعاً على وسادة من الحرير الأزرق وبجانبه ورقة مطوية ففتحتها بيد تضطرب وقرأت فيها جملة واحدة وهى :

« من أراد قدر »

فمزقت الورقة مغضبة وقالت وأنا أيضاً أريد أن أعرف من هذا الفتى الوقح الذى أرسل الى هذه الهدية

وقد أخذت تفحص تلك العلبة الجميلة فصاحت صيحة فرح إذ قرأت عليها اسم الجوهري الذى باعها وعنوانه فأمرت باعداد مركبتها ثم أخذت العلبة وذهبت بها الى الجوهري فقالت له ألم تخرج هذه العلبة من مخزنك قال نعم

قالت من الذى اشتراها منك

فنظر فى دفتره وقال لقد اشتراها منى الجوهري ناثايل ومخزنه فى

استراند نمرة ١٠

فارتعشت حين ذكرت هذا الاسم إذ ذكرت به اسم أيها واكنها
قالت فى نفسها أية علاقة لأبى وهو من اللصوص بهذا الجوهري العنى
الذى يقيم فى أعظم شوارع لندرا ثم ذهبت اليه ودخلت الى مخزنه
فاستقبلها فتى فقالت له هل أنت الموسيو ناثايل

قال كلا يا سيدتى وسأدعوه لك

وبعد هنيهة أقبل ناثايل فارتعشت إذ عرفت به أباها ولكنها أسرعت
الى ضبط نفسها فان النساء أشد من الرجال فى هذه المواقف
أما أبوها فانه انحنى أمامها وقال لها ماذا تأمرين يا سيدتى قالت لا شئ
ولكننى أريد أن أسألك عن هذه العلبة

فبرقت عيناه إذ عرف أنها بنته وقد أدهشه جماها حتى خيل له أنه

يحلم فقال

رباه ماذا أرى أنت هى توبسى . أمك غدوت أجمل من الملكات
فقالت له بلهجة ملؤها العظمة أنك واهم فما أنا هى التى تدعوها
بهذا الاسم

وقالت له خادمتها التى كانت تصحبها أتجسرايها الوقح أن نخطب

ابنة السير روبرت فالدين بهذه الالهجة

قال أنها بنتى ومتى كان الأب يجامل بنته
ثم دنا منها وحاول أن يعانقها فتراجعت عنه بأنفة وقالت له
احذر أن تدنوني

قال لقد قلت لك أنك بنتى وسأثبت قولى بالبرهان
وقد حاولت أن تخرج من ذلك المخزن غير أن أباه تصدى لها عند
العتبة وجعل يتكلم بصوت مرتفع حتى احتشد الناس عند باب مخزنه
فخاطبهم قائلاً
نعم نعم أنها بنتى . أنظروا أيها الناس ألا ترون هذه السيدة الحسنة .
أنها بنتى وقد سرقوها منى

فتقدمت خادمتها وحاولت أن تشق الزحام كي تدع سيدتها تمر
فاعترضها أحد الحضور فدفعها الى داخل المخزن وقال لها دعى هذا
الرجل يتكلم

وقال آخر أنها بنته كما يقول وقد سرقت منه

فقال ناثائيل نعم أنها بنتى وسأبرهن على ذلك
فصاح الجميع قائلين هلموا الى البوليس

فأشارت مسألن الى الحضور وقالت نعم سأذهب الى البوليس وأثبت
أن هذا الرجل منافق محتال
قال بل أنت تكذابين

قالت أيها الناس انى أدعى مسألن فالدن وأنا ابنة أخى السير روبرت
فالدن وقد ولدت فى لندرا

وكانت تقول هذا القول بلهجة تدل على صدقها فانقسم الحضور الى قسمين قسم تشيع لها وقسم تشيع لآيها
وعند ذلك رأت أحد ضباط البحرية فأشارت اليه أن يدنو منها
وقالت له أتريد يا سيدى أن أتأبط ذراعك وتصحبني الى ادارة البوليس
فانى ضحية مكيدة لا محالة

قال بلاء الارتياح . ثم أخذ بذراعها وسارواياها فتبعهما أبوها وجهور
من المتفرجين

وقد وصلوا الى الادارة ودخلوا الى مدير البوليس فسمع قول الاتنين
ثم قال لئانائيل

كيف تستطيع ان تثبت أنها تدعى توبسى وانها بنتك قال بالبرهان
قال انى أتمنى لك أن تجد هذا البرهان فانك اذا أقنعتنا ردت بنتك
اليك وأما اذا لم تقنعنا تكون أهنت سيدة من أشراف الانكليز فتعاقب
حسب النظام بغرامة قدرها مائة جنيه ونجلىد خمسين حلدة فى مكان عام
فارتعد وجعل العرق يسيل من وجهه فقال له المدير ألا تزال مصراً
على دعوالك

فظهرت عليه علامم التردد وقالت مس أن
اذا أراد هذا الرجل ان يرجع عن دعواه فانى أغفر له والتمس من
المدير أن يعفو عنه

فهاج نائيل لما سمعه وقال كلا لا أرجع عن دعواى

فقال له المدير إذن هات برهانك

قال انى نورى الأصل ومن عادة طائفتنا أنهم يسمون ابناءهم حين يولدون بعلامة خاصة بهم

قال ما هى هذه العلامة

قال انها رسم زاوية نرسمه على الكتف الأيسر ثم نسمه فلا يزول أثره مدى الحياة

فقلت مس ألن تخاطب المدير أنك اذا وعدتني يا سيدى بان هذا الرجل يعاقب بأشد ما يقضى به القانون رضيت ان اكشف عن كتفى قال أن العقاب ينفذ فيه لا محالة اذا كان من الكاذبين

فنادت إحدى النساء وأعطتها رداءها فجعلته شبه ستار بينها وبين الحاضرين ثم كتفت عن صدرها وخلعت أعلى ثوبها فظهر كتفها أمام المدير وناتائيل وشاهدين أما أنوها فقد جحد الدم فى عروقه إذ لم ير على كتفها أثراً من هذه العلامة وعاد المدير الى مجلسه وهو يقول أن هذا الرجل منافق

ثم أمر اثنين من رجاله فقبضا عليه وهو لا يكاد أن يعى من شدة خوفه وخرحت مس ألن فلم تكد تتجاوز الباب حتى رأت رجلاً بلباس البحارة فعرفت من عينيه أنه جان وقالت فى نفسها

لقد عرفت الآن السبب فى ما كان فانه أراد أن ينتقم لضربة السوط ثم مرت به وقد نظرت اليه نظرة المنتصر وعادت الى منزلها



أن من عادة المحاكم الانكليزية البطء فى القضايا الكبرى والجنايات العظيمة ولكنها لا تتمهل فى القضايا الصغرى ولا سيما قضايا البوليس وقد جرت على هذه القاعدة فى محاكمة والد مس ألن

ثم ان السير روبرت راعه ذلك الخطر الذى كان محققاً برئيسه وكان قد أعد عدته لاتقائه من زمن بعيد فانه حين استرعى توبسى من أيها كان له بنت أخ يتيمة فى الريف ماتت ولها عمر توبسى فأخذ أوراق ولادتها وكتب أمر موتها فى لندرا وأوهم الناس أن توبسى هى بنت أخيه فكانت تلك الأوراق تثبت مدعاه

ثم أنه كان يعرف رجلا من النور صناعته الوشم وكان له عليه فضل فأخذ منه دواء محاب به أثر الوشم عن كتف توبسى

فلما علم بما جرى لها مع أيها ذهب الى مجلس العموم أى مجلس النواب وهو عضو فيه فبسط شكواه وقال ان الأشراف بجملتهم قد أهينوا لاهاتته فكان ذلك باعثاً الى التعجيل بمقاضاة ناثانيل فخاكموه وحكم عليه القاضى بأقصى درجات العقوبة وهى الغرامة والجلد فى محل عام

فلما كان يوم التنفيذ ازدحم الناس فى ساحة العقاب وذهبت مس ألن على جوادها الى تلك الساحة قبل موعد التنفيذ بنصف ساعة

وكانوا قد بسطوا النطع فوق دكة عالية ووقف الجلاد عليها فلما رأت هذا المنظر الرهيب اصفر وجهها ونسيت كل ما أساء اليها به أبوها فى حدثاتها

ثم أن السير روبرت كان قد وعدها بأن يلتمس له العفو ولم يف
بوعده فجات الى ساحة العقاب على رجاء أن تلتبس له العفو بنفسها
حين يأتي به الجنود

وكان الناس يتقاطرون من كل جهة وقد غصت بهم الساحة على رحبها
واشتمد جزع مس ألن فأرادت أن تشغل نفسها ورأت رحلا هنديا
يعزف بالناي وامرأة هندية ترقص على عزفه فدنت منهما كي تتلهى بهذا
المشهد وسمت المرأة تنشد أناشيد هندية وهي ترقص
فكانت هذه المرأة بارعة في الجمال وهي ترقص رقصاً عجيباً تغل
مس ألن عما هي فيه

أما الهندية فانها ما زالت ترقص حتى انهكها التعب وجلست متربعة
على الأرض على الطريقة الشرقية وأخذ الناس يلقون لها المنسات وغيرها
من البقود الصغيرة

ولكنها لم تكن تعبا شئ من ذلك بل جعلت تمظر الى السماء وقد
تخصت اليها بحيث بانث شبه المأخوذة وجعلت تتحدث باللغة الانكايزية
كأنها تناجي نفسها فتقول

أنا دابي نانا ابنة الكهنة وحارسة كنز الاله سيوا وأنا التي حكوا على
أن أعيس كل عمرى فى جوف الأرض لحراسة الكنز وانارته بالنيران
المقدسة وأى كنز هو فان الذهب كان متكدياً كحب الرمال واللالى
كأعشاب الحقول فكنت أحرس هذا الكنز وأقول أقدر لعينى أن
(٦)

لا ترى نور الشمس ولقاي أن لا يعرف الحب . وفيما أنا على ذلك
تجاسر رجل من الجنس الأبيض على الدخول الى محادثتي بكلمات الحب
فوضع رفيقها الهندي يده على كتفها يحاول منعها عن الكلام ولكن
مس أن أعطته جنبيهين وأمرته أن يدعها تتكلم فمضت في حديثها فقالت
انه كان جميلا وكنت أحبه ولكن هذا الرجل كان خائفاً فإنه لم يكن
يريد حبي بل كان يريد اختلاس كنز الاله سيوا

فقالت لها مس أن

وماذا فعل هذا الرجل أسرق الكنز ؟

قالت نعم

- كيف كان هذا الرجل

- انى حين عرفته كان لا يزال غلاماً فان هذه الحادثة حرت منذ

سبعة عشر عاماً

- أحق ما تقولين

- نعم فقد كانت عيناه تبهقان كالنجوم وتفتاه كالقرمز وأسنانه

بيضاء كاللآلى وتعره أشد سواداً من الفحم

- أ كنت تحبينه ؟

- نعم بقدر ما أبغضه الآن فانى ما اجتزت البحار وما برحت بلاد

الشمس الى بلاد الظلام الا لعلمى انه فى أوربا ولكن أوربا كبيرة ولذلك

فانى أبحث عنه منذ عشرة أعوام دون أن أراه

وكانت مس ألن تسمع حديثها وقد خامرها ريب بسارق الكنز
وخطر لها خاطر بشأنه فقالت لها

ماذا تصنعين اذا وجدته

فجردت الهندية خنجراً وقالت

انى طليت رأس هذا الخنجر بالسّم فمن أصيب به لا يشفى

- أين تقيمين فى لندرا

فذهلت الهندية وقالت لها لماذا تسألينى هذا السؤال

- لأنى أظن بأنى عرفت السارق

فهمضت الهندية مسرعة وأمسكت بلحام جواد مس ألن وقالت لها

بربك دابنى عليه ودعبنى أراه لحظة واحدة أكن عبدة لك

ما حييت وادا أردت قتلى بعد ذلك فقد وهبتك دى

- قولى أين تقيمين

- فى فمىدق القرن الذهبى فى وينغ

- حسناً فسأراك

وقد حاولت مس ألن أن تنصرف ولكن الهندية حانت منها التفاتة

الى الناس المزدحمين فصاحت صيحة منكرة وقالت لمس ألن

انظرى الى هذا الرجل فان له نظراته

وقد دلّتها على رجل كان يشق الزحام ويسير الى مكان النطع

فراّت مس ألن رجلاً بملابس البحارة وهو الرجل نفسه الذى رآته يوم

خروجها من ادارة البوليس فقالت فى نفسها
انى لم اكن مخطئة بظننى فانه جان دى فرانس
ثم همست فى اذن الهندية قائلة
هذا هو بعينه وقد عرفته حق العرفان

فتركنها وهجمت تريد الوصول اليه فمنعتها شدة الزحام عن أن
تخطو خطوة واحدة الى الامام فجعلت تصيح قائلة
دعونى أمر فهذا هو سارق الكنز

ولم يكثرث الناس لصياحها إذ حسبوها مجنونة ولبنوا شاخصين الى
النطع فصاحت مس أن صيحة رعب وغطت وحها بيديها ولم تستطع
أن تنقدم خطوة فقد تلاصق الناس حتى باتوا كالبنيان المرصوص
أما ناثانيل فقد جردوه من ملابسه العليا بحيث أصبح عارى الظهر
وربطوه الى عمود وأخذ الجلاد السوط وانهاه عليه بالجلد فصاح فى
الجلدة الأولى وان فى الثانية واهتز فى الثالثة حتى أوشك أن يكسر
العمود وفى العاشرة تمزق جلده وسالت منه الدماء فكان يصيح صياحاً
يقطع القلوب من الاشفاق

وكانت كل ضربة تنفذ الى قلب مس أن نفاذ السهم فقد نسيت كل
شئ فى تلك الساعة الرهيبة ولم تعد تذكر الا أن هذا الرجل الذى يتعذب
انما هو أبوها

وفى الجلدة العشرين انقطع صياحه وعاد الى الانين وفى الثلاثين

أغشى عليه وانقلب رأسه الى كتفه فأمر المدير بالكَف عن الجلد ولم تعد
مس ألن تستطيع الوقوف فاقلعت بجوادها راجعة الى حمة التيمس
وقد نشقوا ناثايل من المنبهات وعالجوا صدغيه بالخل حتى استفاق
فعاد الجلاد الى ضربه فأغشى عليه مرة ثانية فأمر المدير بمواصلة الضرب
إذ لم يكن باقياً غير عتس جلدات

فلما حلد آخر حلدة استفاق من أغمائه وحلوا وثاقه فضم قبضتيه
وهدد بها الناس كأنهم هم الدين حلدوه فهاج تأثرهم ونقموا عليه لأنه لم
يكن من عامة الشعب بل كان معدوداً من الأغنياء

فلما أمره المدير أن يذهب الى منزله ورأى ما كان من هياج الناس
خاف منهم أكثر مما خاف من الشياطين وخشى أن يجهزوا عليه على
الطريقة الاميركية فركع امام المدير وقال له
أرجوك أن تأمر بارجاعى الى السجن
قال كلا فان ذلك غير ممكن

وقد تركه الجلاد ونزل عن الدكة وتجمهر الناس حوله كالذئاب
ينتظرون الفريسة وعند ذلك سمع صوت يقول افسحوا افسحوا
فصاح ناثايل صيحة فرح إذ رأى رجال قبيلته اقبلوا لنجدته وبينهم
شمشون وجان

فكان جان يحمل فأساً طويلاً فكان يلوح به والناس يبتعدون عنه
الى ان حمل شمشون ناثايل الى مركبة كانت تنتظر فوضعه فيها وصعد
اليها مع جان فسارت بهم وقال جان لناثايل

لا تجزع فسانتقم لك

وفي ذلك اليوم تسكرت مس ألن بزى صبيان البحارة وذهبت الى
فندق القرن الذهبي فجاءت بالهندية فأرشدتها الى منزل جان وقالت لها
هذا هو منزل سارق الكنز وهو قوى شديد فلا تهاجميه مهاجمة فانك
لا تقوين عليه بل اكمنى له كى تغتاليه اغتيالاً

قالت ذلك من شأنى وانى لا أرجع عما قيدت به نفسى

فسأكون لك عبدة متى ظفرت بهذا الأثيم

فانصرفت مس ألن وهى واثقة من فوز الهندية فقد علمت أنها مجنونة
وان جنونها مقصور على الانتقام من ذلك الذى عبث بقلبها وسرق
كنز إلهها



كان الانكليز فى ذلك العهد أصحاب السيادة على قسم عظيم من
البلاد الأمريكية قبل تحريرها واستقلالها

وكان الأمريكيون قد كثرتهم واستفحل أمرهم وثاروا على الانكليز
ثورتهم الكبرى فلم يجدوا بداً من ارسال قوة الى تلك البلاد لقمع ثورتهم
وكان الملك قد انتدب المركيز روجر لهذه المهمة فتأهب للرحيل
وأعدت الدولة السفن لنقل الجند فسافر المركيز فى طليعة جيش كشياف
وصحبه ليونيل أخوه والسير جيمس ابن عمه

وقد علم جان أن السير جيمس لم يتطوع فى فرقة ابن عمه المركيز

إلا على نية اغتياله فإنه كان قد اعتزل الجندية لجبنه فخاف جان على المركيز خوفاً شديداً وجمع أربعين من رجاله الأتداء وأخبرهم بعزمه على اللحاق بالمركيز الى اميركا فوافقوه على رأيه وأمرهم أن يذهبوا الى باخرة كانت قد استأجرها فذهبوا اليها وبقي هو في المنزل مع شمشون لاعداد بعض المعدات

حتى اذا فرغ من معداته خرج وفي أثره شمشون كي يذهبوا الى السفينة ولكنه لم يتجاوز عتبة الباب حتى شعر بطعنة في بطنه وسمع صوتاً يقول هذه يد الاله سيوا التي طعنك أيها الأثيم وقد سقط جان بين يدي شمشون وهو يقول اني أخاف أن يكون الجرح قاتلاً فأسرع بي الى السفينة فاني أريد اصدار بعض الأوامر

وكانت التي طعنته هذه الطعنة الهندية نفسها ولم يتمكن شمشون من ادراكها لانشغاله بجان فحمل سيده الى السفينة واركنت الهندية الى الفرار تصحبها مس ألن وهي متنكرة بشكل غلام بحار وقد عادت مس ألن وهي تنهد تنهد الارتياح لوثوقها من موت جان ولكن الخنجر لم يكن مسموماً كما توهمت وقد عالج جرحه في السفينة فشفى قبل أن يصل الى امريكا



ولا نصف هنا ما كان من تلك الحرب الهائلة التي نشبت بين الانكليز

والامير كان ولكننا نقول على سبيل الایجاز أنها دامت ستة أشهر وان السير جيمس كاد لابن عمه المركيز عشر مرات وكان في كل مرة يتوهم أنه فاز بقصده يرد كيده الى نحرة فان عين جان لم تكن تغفل عن المركيز الى أن افترض أمر السير جيمس وعرف المركيز ذلك العدو الذي يكيد له في الظلام فاكتمى بتحقيقه أمام الضباط او بطرده من الجيش وبارسال تقرير ضاف عنه الى الوزارة

غير أن كل ذلك لم يرجع السير جيمس عن قصده الهائل بل زاده حقدًا على ابن عمه فانصم الى جيش العدو وكان يعرف منافذ القلعة التي كان المركيز يحاصر فيها فاتفق مع أحد ضباط العدو على أن يدخل الى القلعة من ذلك المنفذ السري لينسفا بابها الأكبر من الداخل

وقد اكتشف جان هذه المكيده في آخر لحظة ودخل السير جيمس الى القلعة وكاد يبلغ مراده من نسفها فباغته مع المركيز وهو في ردهة مشرفة على البحر فألقى بنفسه من فوق تلك الردهة من علو شاهق الى البحر وأطلق الاثنان عليه نارهما فلم يعلما اذا كانا قد أصاباه لشدة الظلام ولكنهما أتيا بمشعل وأطلا من الردهة فرأيا قاربًا يسير مسرعًا الى جهة الأعداء فلم يتبيننا من فيه فنزلا الى البحر وبحنا فلم يجدا أثر الجنة وقد انقضت هذه الحرب بانتصار الامكليز وعاد المركيز بجيشه الى لندرا فجرى له استقبال حافل وازدحم الناس يوم الاحتفال وكان بين

الجموع مركبة فيها سيدتان وهما اللادى سيسل امرأة اللورد اسبرتهون
وأم ليونيل وهى تعتقد أيضاً أنها أم المركيز والثانية مس ألن
وكانت اللادى قد أتت لترى ولديها غير أن الزحام كان شديداً
بحيث لم تستطع المركبة أن تتقدم فقالت اللادى لمس ألن
أرى أنه خير لنا أن نسير ماشيتين

قالت كلا يا سيدتى فنى أخاف عليك من الزحام وفوق ذلك
فإن الموكب سيمر من هنا فاذا وقفنا فى المركبة رأينا من نريد أن نراهم
وعند ذلك سمع صوت قرع الطبول مؤذنة بوصول الموكب ودنت
امرأة من المركبة فقالت للادى

أنك اذا كنت أمًا يا سيدتى فاتفقى علىّ فانى أم واسمحي لى أن
أصعد الى مركبتك عسائ أن أرى ولدى بين القادمين
فمدت اللادى يدها اليها فاعاتها على الصعود وقالت لها
أنك لا بد أن تكونى بكيت كثيراً ولكنك ستريين ولدك فانه سيعود
أليس كذلك

فارتعدت المرأة وقالت نعم أيتها اللادى
فهمست اللادى فى أذن مس ألن قائلة أنها لا شك أم جندى بسيط
ولكن مس ألن لم تجبها بل جعلت تنظر الى تلك المرأة محدقة ثم
تاهت فى مهامه التفكير كأنها تريد إزالة النقاب عن تذكاري بعيد
وعادت اللادى فقالت للمرأة أنك ستجدين من الهناء حين تضمينه

الى صدرك ما ينسيك ما لقيته من الشقاء أيام فراقه
فلم تنجبها المرأة بل سالت دموعها ثم جعلت تشهق بالبكاء
وعند ذلك ضج الناس وعلت أصواتهم قائلين هوذا الموكب
فوقف النسوة الثلاث في المركبة ومر بهن الموكب فمر في طليعته على
قيد عشرين خطوة منه فارس يحمل راية جعلها الرصاص شبه منخل
واسودت من الدخان

ثم ظهر الكولونيل روجر فصار أمام الجيش وهو يتسم وقد جرد
حسامه وجعل يحى الناس فيمتفون له هتاف يخرج من أفواههم كهزيم
الرعود فان هذا القائد الجميل الذى قاد جيشاً برمه لم يتجاوز عشرين عاماً
فلما رآته تلك المرأة المجهولة صاحت قائلة
يا لله ما أجملك

ثم سقطت مغمياً عليها فى المركبة
وعند ذلك أسرع رجل فاخطف المرأة من المركبة وسار بها
وهو يقول

لقد فضحت أمرك فما هذا الذى فعلته
أما مس أن فانها رأت ذلك الرجل فاستعت حدقتها من الانذهال
وقالت :

انه هو بعينه وكنت أحسبه من الاموات
ثم أمسكت بذراع اللادى وقالت لها أتعلمين من هى هذه المرأة

قالت كلا

قالت انها أم المركيز روجر دى اسبرتهون فقد وثقت الآن أتم
الوثوق

أما المركيز فقد كان يسير والى جانبه ليونيل فلما وصلا الى المركبة
صاح ليونيل قائلاً . انهما
فقال المركيز من هما

وقد التفت فرأى مس ألن فقال له ليونيل انها أمى وخطيبتى
فاضطرب المركيز اضطراباً عنيفاً وقال
ماذا تقول ان الفتاة التى تحبها هى . .
قال هى مس ألن

فتوهجت عينا المركيز وغلى الدم النورى فى عروقه ونسى انه كان
يحب ليونيل شبه أخيه فقال له بلهجة ملؤها الحقد
أأنت تحب مس ألن . . حسناً وأنا أحبها أيضاً



ولنعد الآن الى جان فانه اختطف أخته سينيتيا وسار مسرعاً فى
مركبته الى منزله

وهناك عاجلها حتى استفاقت فقال لها بصوت يهدج من الخنو
ما هذا الذى فعلته يا أختى أتريدىن اهلاك ولدك ونحن قد سفكنا
دمنا فى سبيله . اننا ذهبنا أربعين رجلاً فى خدمته فعدنا ونحن لا نتجاوز
أربعة عشر

قالت أوام يا أخى أن عذابى شديد لا يدركه غير الأمهات فانى ألقى
أشد العذاب منذ ثمانية عشر عاماً . اىكون لى ولد ولا يحق لى أن أراه
وأقيم وإياه بل لا يحق لى أن أقول له انك ولدى . انك لو أصبت بمثل
نكبتى لأشفقت على

- ولكن تمنى يا أختى فماذا كان مصير ولدك لو بقى بجانبك أما كان
نورياً فقيراً معدماً مثلما فانى لولا طمعى بمرقائه لما تجاسرت على سرقة الكبر
وهو بدلا من أن يكون شقيقاً سريراً أصبح غنياً شريفاً وقائداً
كبيراً ولورداً فى مجلس الأعيان وهو سيتزوج أشراف فتاة من الاسكندرية
ويوقع الملك بخط يده على صك زواجه وفى هذا المساء سيدعوه الملك
الى تقبيل يده ويتمنى وإياه على مائدة واحدة فالى أى مكان تريدان
أن يرتقى بعد هذا الارتقاء

فلم تجبه واستمرت فى بكائها فقال لها
أتريدان الآن أن يقذفوا به من قمة المجد التى رفعناه إليها فيسقط
الى حضضى الذل والهوان ويطردونه كما يطردون الخدم فيقولون له
انك لست المركيز روجر دى اسبرتهون ولست ابن حاكم الهند
الشرعى بل أنت أميرى النورى اللقيط الذى قضى على أهله أن يضربوا
فى الأرض اذلاء متشردين ألا تعلمين أيتها المنكودة من هى هذه الفتاة
التي كنت وإياها فى المركبة
قالت كلا

قال لها ألد أعدائنا فهي مس ألن ربيبة السير روبرت أى توبسى
ابنة ناثانيل أفهمت الآن

فاطرت برأسها ولم تجب فقال لها

لا أنكر انك تتألمين لفراق ولدك لكى تنعمين بفوزه الباهر واسمه
التريف وانى أريد أن أريد نعيمه فازوجه بأشرف فتيات المملكة
ويكون له من السعادة ما لا ينال بالأمانى والأحلام

قلت انى سأفعل كل ما تريده يا أخى أريد أن أبرح انكأترا وأنفى
نفسى فى سبيل مجد ولدى

قال كلا انى لا أسألك هذه التضحية وكل ما أريده منك هو أن
لا تعرضى نفسك للافتضاح كما فعلت اليوم
قالت سيكون ما تريد

قال وانى أريد أيضاً أن تقضى لى انهم اذا اكرهوك على الاعتراف
بأن روجردى اسبرتهون هو ولدك أن تشجعى وتقولى كلا
قالت سأكره اذا سألونى

قال انى أنتعز بقلبى كأنه يكاد ان يخرج من صدرى اسروره حين افكر
بأن طائفتما التى يحقرها اولئك المتعجرفون منذ ستمائة عام أصبح لنا
واحد منها يجلس فى مجلسهم ويشاركهم فى أحكامهم ويأتى بأعقاب
يفعلون فعله من بعده وان كل هذا من صنعى

وفىما هو يقول هذا القول خطرت له مس ألن فبرقت عيناه بشعاع
من الحقد وقال

انى سأسحق هذه الفتاة كما يسحق انا الزجاج
ثم التفت الى شمشون وقال له
هل وجدت الطيب بلتون
قال نعم يا سيدى ولكن بعد العناء الشديد وسيزورك عند الظهر
- هل عرفك
- كلا -

- هل عرف انى متنكر باسم الناباب عثمان
- كلا ولكنه ذكر انه رأى مرة خارجاً من قصر المريكيز وحر
- إذن فهو لا يعرف لماذا دعوته الى
- انه يتوهم بانك مريض
وعند ذلك سمع قرع الباب الخارجى فقال لأخته
أن الطارق هو الطيب لا محالة فدعيني أخلو به لأنى أريد محادثته
فى شؤون خطيرة
فخرجت وبعد هنيهة دخل الطيب بلتون فقال له أهلك دعوتنى اليك
يا سيدى فما تشكو
قال لا أشكو شيئاً ولكن أريد محادثتك فانك أقت مدة طويلة
فى الهند

- اثنى عشر عاماً
- وكنت فيها طيب اللورد اسبرتهون الحاص وقد اتفق فى ليلة

أنك ذهبت الى مضارب النور وأخذت منهم غلاماً
- كلا أن ذلك لم يكن وأى شأن لى بالعلمان
فابتسم جان وقال يسرنى أن تكون كتموماً ولكنك لا تستطيع كتمان
هذا السر عنى فانظر الى" ألم تعرفنى فنظر اليه محدقاً وقال كلا
قال اذا كنت لا تذكر أنك أخذت ذلك الغلام فأنك تذكر دون
شك فنى جرحه أحد النور فى كتفه وعالجته
وكان الطبيب لا يزال شاخصاً الى جان فلما سمع هذا القول الأخير
قال له أملك جان دى فرانس

قال نعم أنا هو

قال أنت ... أنت

لخملع جان ملابسه العليا وكشف عن كتفه فان أثر الجرح كان
لا يزال باقياً

فقال الطبيب كفى كفى فقد عرفتك حق العرفان
قال انى سأقص عليك فى غير هذا المقام قصتى التى تشبه القصص
الخرافية لغرابتها وأما الآن فانى أريد أن أحدثك بشأنه

- ألا تعلم أنه عاد الى لندرا

- كيف لا أعلم وأنا لم أفارقه لحظة فانا الذى أنقذته من الدب وأنا
الذى أنقذته عشر مرات من كيد ابن عمه هنا وفى أميركا

- إذن فهو عارف بكل شئ

- بل أنه لا يعرف شيئاً وهو يعتقد أنه ابن اللورد اسبرتهون الشرعي
ولكن أعداءنا لم يموتوا كلهم ولا يزال يوجد أثر هائل يفضح سرنا وهو
أن روجر موشوم بكتفه كسائر أبناء طائفتنا
- ولكن هذا الوشم لا يزول

- بل أنه يزول بدليل أن مس أن قد أزالته فأعلم أنه يوجد عندى
سائل يعالجون به أثر الوشم أسبوعاً فيزول وهو عندى من عهد قديم
فأخاف أن يكون قد فسد

- انى أمتحنه عندى فأعلم فساد من صلاحه بقى أن نجد طريقة
لمعالجة المركيز به وكيف نعمل له وجود هذا الوشم على كتفه

- انى سأقص عليك حكاية ترويحها له والآن فخذ هذا السائل
واخفصه فتى تبين لك أمره عد الى أخبرك بما يجب أن تفعل

فأخذ الطبيب الزجاجاة وانصرف ونادى جان شمشون فقال له
هل استأجرت المنزل الذى كنت أوصيتك أن تستأجره لأختى
قل نعم

فدخل جان الى أخته وقال لها لا يجب أن تقيعى الآن هنا فانى
أخشى أن يكونوا عرفوك فيتخذونك سلاحاً ضد ولدك وقد استأجرت
لك منزلاً تقيمين فيه مع ابنة عمى اليبسى فأزورك كل يوم متنكراً ولا يعلم
أحد أين تقيمين

ثم نادى شمشون فأمره أن يذهب بأخته الى ذلك المنزل وبعد
ساعة لبس خير ما عنده من الملابس وذهب الى نادى الحسان

القسم الخامس دهاء النورية

كان من نظام نادى الحसार الذى ذهب اليه جان أن لا يكون
أعضاؤه إلا من صباح الوحوه ومن اشتراف الفتیان
وكان المركيز روحر من أعضائه فأعد له أعضاء النادى حفلة تكريم
بناسبة عودته وانتصاره

غير أن المركيز كان منقبض الصدر لما علمه من مزاحمة ليونيل له
فى حبه فذهب الى النادى وبعد انقضاء الحفلة قاموا الى موائد اللعب
وعرض أحد أعضاء النادى على المركيز أن يلاعبه فرضى بشرط أن
يلعبا على منادير كثيرة فانه أراد أن يسفل نفسه بالمقامرة عما هو فيه
ولم يكن لديه فى محفظته غير ألف جنيه أوراقاً مالية فخرها بمدة
وحيزة ثم لاعبه مالدن فخر كل ثروته ثم لاعبه على قصر من قصوره
فخره أبصاً

وهنا امتنعا عن اللعب وقد اسودت الدنيا فى عيني المركيز اذ خسر
كل ثروته وحاول أن يخرج من النادى ولكن عثمان تصدى له فأدخله
الى قاعة معتزلة وقال له انتظرنى هنا الى أن أعود اليك

ثم ذهب الى خصمه فى المقامرة وقال له ان المركيز يريد أن يتنازل
لك عن القصر الذى كسبته منه فتعال معى كي نكتب لك صك التنازل

فدخل الرجل وهو لا يعلم ما يضمه له جان فأقفل جان الباب من الداخل وأشار الى الرجل أن يجلس أمامه ثم أخذ من جيبه دفتر حوالات فكتب حوالة بخمسين ألف جنيه على أحد المصارف الكبرى وقال له انى أريد أن آخذ بثأر صديقى المركز فهل لك أن تلاعبنى على المبلغ الذى كسبته منه

قال جبا وكرامة

ثم أخرج من جيبه علبة سِعوَوطٍ وأخذ منها شيئاً ووضعها أمامه فد جان يده فأخذها وأراها للمركز فقال انظر الى هذه العلبة الحميلة فان فيها سرّاً دقيقاً لا يعرفها الا أنا وخصمك وهو انه كان يضعها بين يديه حين يعطيك الورق ويضغط على هذه اللؤلؤة الكائنة فى وسط العلبة فتمثل محلها مرآة مسطحة ينظر اليها وهو يعطيك الورق فبرى ورقك اذ ينطبع رسمه عليها

فاصفر وجه الرجل وقال انى لا أستخدمها ولا هى تستخدم لمثل هذا الغرض

قال ربما كنت مخطئاً فهلم نلعب

وقد أخذ جان الورق فخلطه ثم أعطاه ورقاً وأخذ لنفسه والعلبة بين يديه فرمى كل ما خسره المركز

وهنا غضب الرجل وقال انك تسرقنى

قال نعم انى سرقتك كما انت سرقت المركيز وكما كنت تسرق
الناس منذ ثلاثة أعوام بهذه الحيلة الشائنة

والآن فانى أمرك بالخروج من النادى وأن لا تعود اليه الا اذا
كنت تؤثر أن تبيت فى السجن

وقد أخذ من أمامه الأوراق المائنة التى كسبها من المركيز فاصفر
وجه الرجل حتى صار كالأموات وقال له ولكن رد لى علبتى على الاقل
قال كلا بل أبقياها عندى تذكاراً منك وحذ هذا الحاتم بدلاً منها
فهو يسوى ضعف ثمنها

فأخذ الرجل وانصرف مسرعاً خوف الفضيحة

وكان جان ينظر اليهما وهو شبه المأخوذ فلما انصرف الرجل قال لجان
من أنت فبل أرسلك الله الى لتقبنى مما يحذف بى من الأخطار
قال انى أصدق الناس فى خدمتك

— بل انك مثال الصداقة وآية الاخلاص

قال له بصوت يتهدج هل تحببى

فعاقه عناقاً طويلاً وقال له انى أحبك كما يحب الأخ أخاه أما وقد
وثقت الآن من حبى قتل لى من أنت

قال لا تسألنى كشف سر لا أريد الاباحة به فثق بى واعلم انى

ساهر عليك



فى ذلك اليوم كان السير روبرت فالدن فى منزله مع ربيته مس ألن
واللادى سيسل والدة ليونيل فقد كانوا ينتظرونه

وكان السير روبرت مطرقاً يفكر ثم وقف فقال فى نفسه لا بد من
النهاية وقال لربيته تعالى معى يا ابنتى الى غرفتى فانى أريد مباحثتك
فى بعض الشؤون

وقد تبعته فاقتل باب الغرفة وبدأ معها الحديث فقال

انك بلغت الحادية والعشرين من عمرك يا ابنتى وشهد الله أنى
أحببتك ولا أزال أحبك كأبك انتى ولذلك لا أحد الآن بدأ من أن
أطلعك على أسرار لا يجمل احفاءها عنك بعد أن بلغت سن الرشد
قالت ثق انى سأحتفظ بهذه الأسرار

قال انه منذ سبعة عشر عاماً جاءت المركيزة دى اسبرتهون أى
اللادى سيسل تسألنى أن أسديها نصيحة فانها افترقت عن زوجها وهى
فى عنفوان شبابها فتعين زوجها حاكماً للهند وذهبت هى الى ايكوسيا
فاختبأت فيها هرباً من غيرة زوجها وعنفه

وكان لها ولدان بقى الكبير عند أبيه والثانى عندها فأوهمت زوجها
وهى بعيدة عنه ان هذا الولد قد مات اذ كانت تخشى أن يأخذ منها
يوماً على سبيل الانتقام لأنه مات منذ ثلاثة أعوام وهو يعتقد أن ذلك
الولد لم يكن من دمه والله يشهد أن امرأته كانت من أعف النساء
وأشرف الزوجات

فتكلفت مس ألن الدهشة وقالت كيف ذلك ألمركيز روجر أخ

- نعم يا ابنتي

- وهو يجهل ذلك

- نعم

- أين هذا الاخ ومن هو

- هو الذى سيزورنا بعد ساعة فان اللادى سيسل كتمت سبه

حتى عنه

- ر باد ماذا اسمع أهو لبويل

- نعم أن ليونيل هو أخو المركيز روجر

- ولكن اللورد اسبرتهون مات منذ ثلاثة أعوام ولم تعد اللادى

سيسل تخاف غفه فلماذا لم تظهر أمرها ولماذا لم تذهب الى ولدها البكر

- أنا الذى أخبرتها بموت روجر وكنت أعتقد ساعيتئذ أنها ستذهب

من فورها الى قصر اسبرتهون ولكى كنت واهماً فانها قالت لى

أن شرائع أشراف الانكليز سديدة العنف فهى تمنح كل أموال

العائلة وامتياراهها للابن البكر وتحرم سائر اخوته من كل حق وهذا هو

السبب من تمكن الحقد من أبناء الأسرات الشريفة ألا تذكر ما كان

بين السير جاك وبين أخيه روجر

أما ولدى ليونيل فهو يعتقد أنه ابن ضابط لا ثروة له ومع ذلك فهو

سعيد أتخسب أنه يكون سعيداً حين يعلم حقيقة نسبه ويرى نفسه محروماً

من كل حق

فقلت لها وابنك البكر الذى لم يعرف أمه
قالت يكفينى أنه سعيد وانى لا أضيف شيئاً الى هنائه اذا عرفته بنفسى
وبأخيه وفوق ذلك فلا شك أن أباه علمه أن يحتقرنى
وقد رأيت أنها مصيبة فيما ارتأتها فانها قد تبذر بذور العدا بين
الأخوين وهما سعيدان فوافقتها على رأيها
وتوالت الأعوام الى أن نبت وشب ليونيل فرعبت يوماً اذ رأيت
أنه يحبك

ورجائى يا ابنتى أن لا تؤاخذينى لقول ينكره قلبى وتنضى بقوله واجباتى
وهو أن الاشراف عندنا متضامنون متساوون لا فرق بين الشفاليه
والدوق فى هذا التضامن وانى قد وهبتك قلبى وثروتى ودعوتك ابنة
أخى ولكن ضميرى كان يؤنبنى ويقول
أيمكن أن تأذن لتوبسى النورية بالزواج من نبيل وانت من النبلاء
دون أن تكون من المذنبين

ولذلك ذهبت الى اللادى سيسل فاعترفت لها بالحقيقة فابتسمت
الى وقالت

أنك قد تكون مصيباً لو كان ليونيل سيعرف يوماً أنه ابن اللورد
اسبرتهون ولكنه سيجهل سر مولده مدى حياته ويعتقد أنه ابن ضابط
فقير فاذا كان ذلك فلماذا نحول دون سعادته وهو يحبها
فأفنتنى حجتها وبدأت أعود نفسى على أن أراك يوماً زوجة ليونيل

الى ان جاء يوم خيل لى فيه انى اكتشفت سر قلبك وعلمت أنك
لا تحبين ليونيل بل المركيز روح

فتنهدت مس ألن تهدياً طويلاً وأخذ يدها برفق فقال لها
اصغى الى يا ابنتى فانك ما رلت لا تحبين ليونيل فان التصحية التى
سألتك إياها ليست عظيمة وهى أنه يجب عليك أن تبعدى عنك ليونيل
وتعينيه على تتقائه

قالت ولكنك دعوتى الى أن أفكر بأنى سأكون امرأته
— هو ذاك يا ابنتى عبر أن ذلك حدث حين كنت أتوهم أن ليونيل
سيجهل سر مولده مدى حياته
— ألعلمه علمه

فأجابها بلهجة تدل على أنه يكتم سراً فقال
أنه قد بعلمه وقد يحجى يوم يرد فيه المركيز ثروته وأتعبه الى ليونيل
وذلك بسهل عقد زواجك بروح الذى تحبينه
قالت اذا كان ذلك فثق أنه لا يمضى شهر حتى يصبح ليونيل
لا يفكر بى

وبعد هنيهة خلت مس ألن فى غرقها وكتبت الى ليونيل ما يأتى
« أنك اذا كنت تحبنى حقيقة أيها الحبيب وكان هذا الفراق لم ينسك
من تحب فافعل ما أطلبه اليك

أنا سنجتمع بحضور أمك وعمى وستجد منى فتوراً فى مقابلتك لم تتعوده

فلا تحزن فاني أحبك ولكن هناك أسباباً تقضى على أن أتكلف هذا
الفتور حرصاً على هئائنا

ورجائي أن تكون هذه الكلمة كافية لاطمئنانك فاني أحبك بل
جوارحي وستقف قريباً على الحقيقة ألن ٢ م

وقد أرسلت هذه الرسالة مع خادم الى التكنة التي يقيم فيها ليونيل
وعادت الى غرقها وهي تقول :

لا بد لواحد منهما أن يكون روجي ولكني لا أتزوج إلا من كان
منهما مركيزاً . مسكين عمي فقد توهم اني أحب

ثم وضعت رأسها بين يديها وخاضت في عباب الناملات كأنها فائد
يضع خطة معركة



بيما كانت هذه الحوادث تجري كان الملك قد فرغ من استعراض
فرقة المركيز فدنا ليونيل من المركيز وقال له أتأذن لي أيها الكولونيل
أن أذهب الآن فأرى أمي

فارتعش ونظر اليه نظرة منكرة فان الغيرة كانت قد عضت قلبه
ومحت بلحظه كل آثار الصداقة حتى أنه ندم وحاول أن يمد يده اليه
ليصافحه ويعتذر ولكن مثال ألن مرت بجأظه في تلك اللحظة فشعر أن
قلبه قد التهب وأدار وجهه كي يخفي غضبه وأجابه قائلاً اذهب

فخياه ليونيل التحية العسكرية وانصرف ولكنه لم يسر خطوتين حتى
رجع فنظر اليه المركيز نظرة استكبار وقال له ماذا تريد
قال ألتمس أن تأذن لى بمقابله وجيزة
قال لا فائدة من ذلك

ثم أعرض عنه وبقى ليونيل وحده وهو يحدث نفسه فيقول ترى هل
أسأت الى المركيز وأنا لا أعلم
وعند ذلك دبا منه أحد الجنود وقال له لقد وردتك هذه الرسالة
يا سبدي حين كنت مستغلاً بالاستعراض

فأخذ الرسالة وتلاها فزادت هواحسه وقال رباه ماذا حدث ان
المركيز يكرهى الآن بقدر ما كان يحبى وقال لى اليوم انه يحب الن
فلو تخير عمها ببنى وبين المركيز لما فضلنى عليه لا محالة

وقد ذهب والياس مل - فلبه الى منزل السير روبرت حيث لى أمه
والن فاستقبله الن استقبلاً فاتراً كاد يذهب بعقله لو لم تنظر اليه نظرة
مفادها تذكر ما كتبته لك فاطمأن

وقد قام بنهم الى الساعة العاشرة فقام يريد العودة الى الشكنة
وأوصلته الى الباب فوضعت فى جيبه مفتاحاً وقالت له عد حالاً من باب
الحديقة فى ما أقوله لك

فذهب وقلبه موعب بالفرح والرجاء

وبعد انصرافه قال السير روبرت لربيته لقد أحسنت يا ابنتى وانى
راض عنك

قالت مسكين ليونيل انه يتعذب كثيراً
فتنهّد وقال

هو ذاك ولكنه سيتعزى يوماً حين يغدو فى مصاف اللوردية
وكانت اللادى قد دخلت الى مخدعها وخلا المكان لروبرت
وربيته فقالت له

أتأذن لى يا عماء ان أسألك سؤالاً

- سلى

- كيف تقترض ابن المريكز روجر يتنازل بالرضى أم يكون
ذلك بالاغتصاب

- بل بارجاع التئى لصاحبه

فتكلفت البساطة كأنها غير عالمة بشئ وقالت

انى لا أرى سبباً يحمل ابن اللورد اسبرتهون البكر على ارجاع أمواله
لأخيه الأصغر

- سأوضح لك هذا الابهام بعد ثلاثة أيام

ثم قبل جينها ودخل الى مخدعه بعد أن أوصاها أن تدخل الى مخدعها
فأوهمتها انها امشلت فدخلت الى غرقها وخرجت من باب آخر الى
الحديقة فوجدت ليونيل ينتظرها هناك

وقد ركم حين رآها فأنهضته بيدها وقالت له تعال نجلس تحت
هذه الخيمة

قال يا لله كم أنت مضطربة أيتها الحبيبة
ولكن اضطرابه كان أشد حتى انها كانت تسمع خفوق قلبه فأجلسته
بجانبها وأخذت يده بين يديها فقالت أيها الحبيب يجب أن تثق بي
قال ماذا تعنين

- أريد قبل كل شئ ان تقسم لى يميناً
- على ماذا

- على ان تكتم ما سأقوله لك عن أمك
- انى أعاهدك على الكتمان وأقسم لك
- اذن فاعلم ان عمى يريد تزويجى
- رباه ماذا أسمع

- اطمئن يا ليونيل فانه طامع أن يزوحنى رجلاً من كبار النبلاء ولا
بد لى اتقاء لغضبه ان أظهار بالمواقفة على مشروعه
- واذا وافقت الى النهاية فما يكون مصيرى
- أيها الناكر الجليل ألم أقل لك انى أحبك . انى أقسم لك بأن
لا أتزوج سواك

فصاح صيحة فزع فقالت له

اسكت فان عى لم نيم بعد فاذا اتبه لنا قضى على آمالنا وذهبت
أدراج الرياح

- ولكن ما هو هذا الخطر الذى يهددنا

- لا أستطيع أن أقول لك شيئاً الآن

- وأنا أعرف ان هذا الرجل الذى يريدون ان يزوجوك به هو

المركيز روبر اليس كذلك

- نعم هذا هو ولكن كيف عرفت ذلك

فحكى لها ما كان بينه وبين المركيز فابتسمت ابتسام واثقة من

فورها القريب وقالت

اصع الى فانى اسم لك انى سأكون امرأتك قبل ثلاثة انهر

ولكن بشرط

- ما هو هذا الشرط

- أن تطيعنى

- مرى أطع

- ان أمك قد استأجرت منزلاً بجوار منزلنا فستقيم واياها فيه

ولا تزورنا إلا فى النادر وابق هذا المفتاح عندك فتعال كل يوم عند

انتصاف الليل فنجتمع فى هذه الحديقة واحذر أن تخاصم المركيز

- واأسفاه انى كنت أحبه كاخى

وقد أقاما نحو ساعتين يجددان العهد ثم افترقا بعد أن تواعدا على اللقاء فى الغد

وعادت الى غرقها وهى تقول فى نفسها
ان السير روبرت عمى العزيز سيكون له منى خير مساعد على كشف
سر المركيز ولكنه يريد أن يستقل بالعمل
وعند ذلك خطر لها الباب عثمان فاضطربت وقالت ان هذا الرجل
وحده يستطيع احاط آمالى فلا أخنى السير روبرت ولا المركيز روجر
لأكون يوماً مركيزة ولكى أخاف جار دى فراس



وفى اليوم التالى كان المركيز روجر جالساً فى غرفته وهو فى أسند
حالات الاضطراب فقد كان مفتوناً بحب ألن مع انه لم يبيح لها بعرامه
الى الآن

وكانت تتمثل له فى كل سبيل حتى انه كان يذكرها وهو يقاتل
الأعداء فلما علم انها خطيبة ليويل شعر ان قلبه قد اسحق فكان يحول
فى غرفته كما يحول الأسد السجين فى قفصه

وكان يهيج فى عروفه الدم النورى حتى يتعلب أحياناً على تربيته
الانكليزية فيتهم نفسه بالجبن لأنه لم يخاصم ليويل فييارزه ويقتله
ثم يعود اليه هداه وتهيج فى صدره عوامل الكرم التى فطر عليها
فيفتكر ان ليويل كان صديقه وانه كان يحبه كأخ فيلمن ذلك الحب

الذى ابتلى به ويعاهد نفسه على اخماد لهيبه بالصبر وتضحية هنائه في
سبيل صديقه

ثم يعود الى الهياج فينسى كل هذه العواطف الكريمة ويعجب كيف
أن ليونيل لم يأت اليه ويسأله الايضاح عن مقابلته الجافية وأين له أن
يعلم أن ألن منعه عن مخاصمته

وما زال يتغلب على هذا العذاب الى أن خطر له أن يزور السير
روبرت فكتب اليه ما يأتي :

« أن المركيز دى اسبرتهون يتشرف بأن يطلب الى السير روبرت
فالدن مقابلته ويرجوه أن ينوب عنه بتقديم احترامه لابنة أخيه »
وقد أرسل هذه الرسالة مع رسول فعاد اليه برسالة من السير روبرت
تتضمن ما يأتي :

« أن السير روبرت فالدن يقدم للورد اسبرتهون تحياته واحترامه
ويأسف أنه لا يستطيع استقباله لاعتلال طراً على صحته »

ففرق المركيز الرسالة وهو يتميز من الغيظ وأطلق سراح الخادم
وعند ذلك سمع صوت مطرقة على الباب الخارجي فأطل من النافذة كي
يرى الطارق وهو يرجو أن يكون السير روبرت أرسل اليه رسالة أخرى
ولكنه رأى امرأة مقنعة دخلت من الباب الى الردهة وبعد هنيهة
دخل اليه خادمه برقعة زيارة هذه المرأة التي لم يكن مكتوباً عليها غير
الحرف الأول من اسمها وهو ا

فأمر بادخال الزائرة اليه وكان قناعها كثيفاً فلم يتبين وجهها ولكنه
علم من خفوق قلبه انها مس ألن
وقد أصاب حديث قلبه فقد أيقن انها هي نفسها حين سأله بصوتها
الرخيم قائلة

أتأذن لى ياسيدى المركيز بمقابلة وجيزة
فأخذ بيدها وهو يرتجف من الفرح وأجلسها على كرسى جاب
المستوقد فكستفت الفناع عن وجهها وقال لها كانه كان خائفاً أن يكون حالماً
أهذا أنت

وكان وجهها مصفراً وأثر الدموع لا يزال ظاهراً فى عينيها فأجابته قائلة
نعم أنا هي فقد أتيت دون أن يرانى أحد لالجا اليك
- أنتِ تلحأين الى

- لا تتسرع يا سيدى المركيز قبل أن تسمع حديثي بالحكم على
- أنا أحكم عليك انك شديدة القسوة يا مس ألن
فاطرقت برأسها ووضعت يدها على عينيها وفالت بصوت ضعيف
كانها تصلى

انى أتيت اليك يا سيدى المركيز متوسلة فعاملنى بالرحمة واشفق على
أعس امرأة فى الوجود

- أنت تاعسة . . . أنت تتوسلين . انى أخاف أن يكون الحزن
دخل صوابى فلا أفهم ما تقولين

فنظرت اليه بعينين تبرقان كالملاس الأسود وقالت له بصوت يتهدج
أن السير روبرت يريد تزويجي

- بليونيل

- نعم وقد وعده عني بالزواج فجاء أمس يطالبه بتحقيق الوعد
- أواه لقد علمت الآن السبب بقدومك الى فالك أتيت نتوسلين
أن لا أبارزه وأنت خائفة على حياة من تحبين
فرفعت عينها الى السماء وقالت حياة من أحبه ؟
- نعم حياة الذى سيكون زوجك
- ولكن ان هذا الزواج لا يطول فان الله سيشفق على ويدعوني اليه
- رباه ماذا اسمع ألا تحبين ليونيل
- انى احبه حب أخ وهذا كل حى
فركم المركزيز أمامها وقد شعر أن السماء فتحت له أبواب النعيم
وقال لها

اقسمى لى انك لا تحاولين خديعتى

- اقسم

- اذن أنت لا تحبين ليونيل

- اكنت هنا لو كنت احبه

- اذن لقد أتيت تسألينى أن أسعى لنقض هذا الزواج اليس كذلك

- لا فائدة من مسعاك فقل لى أتثق بى

- كما أثق بأمرى لو كان لى أم
- اذا كان ذلك فانى أسألك أن تقسم لى ميمناً كما سألتنى
- ماذا تريد أن أقسم
- أقسم لى أن تثق باخلاصى ثقة لا حد لها وانك تفعل كل ما
أطلبه اليك
- ان قلبى لك

فدلت له يدها واتسمت ابتسامة فتنت عمله ثم قالت أما وقد وفتت
الآن انك تحبى فسأعرف كيف ادافع عن هنائنا ومستقبلنا
وقد نهضت تحاول الانصراف فسمعت من خارج الغرفة صوتاً يقول
لا حاجة الى الاستئذان فانى أدخل دونه
فاسرع المركيز فاففل الباب من الداخل وهو يقول هو ذا
الطبيب بولتون

فدعرت الن وقالت
بولتون انه سيفضح أمرى اذا وجدنى هنا فازاح المركيز
ستارة عن باب آخر فى الغرفة وقال لها
ان هذا الباب يؤدى الى الحديقة فاذهى أيتها الحبيبة فقد رددت
الحياة الى

وكان الطبيب لا يزال يناضل الخدم عند الباب ففتح المركيز الباب
ودخل الطبيب وهو يقول

لقد كنت أحسب انى احاصر حصناً فقد أصبحت غرفتك شبه قلعة
فقال له المركيز انى كنت نائماً على الكرسي فلم أسمع صوتك فاعذرنى
أيها الصديق

ثم مد له يده وصاحه فجلس الطيب بجانبه وجعل يتفرس بوجهه
باعتجاب ويقول

لقد صدف من قال ان الاسفار تحي نضارة الشباب فانى أرى آله
الجمال ممثلاً فى المركيز روحه

قال ولكنى عاتب عليك فقد كنت أرجو أن أراك ساعة عودتى
قال لم يشعلنى عن زيارتك شاغل ولكنى صبرت الى أن تنتهى
الحفلات الرسمية

وقد طالما خطر لى أن اتبعك الى اميركا ولكن الشياطين ملأت كل
جيوبى فلم تتسع لسواها

اذا كان قد أعوزك المال فلماذا لم تطلبه من وكيلى فحك اذنه وقال
وهو يتسم

لقد فعلت فأعطانى ولكن النقود التى أعطانى اياها كانت أسرع منى
فى السير فلما جاء موعد السفر وحدث أنها سبقتنى

- الى أين

- الى الحماة

فضحك المركيز وقال أنكم معشر الأطباء تنهون عن الخمر وتشربونها

قال أن الطبيب يصف الدواء ولكنه لا يشربه
ثم أخرج من جيبه زجاجة صغيرة فوضعها على المستوقد وقال لنبدأ
بالترتيب

قال ما هذا

- دواء عجيب

- لا أظن انه لى فانى فى أتم عافية

- هو ذاك فانك فى عافية أتمنى لك دوامها ومع ذلك فانى احضرت

هذا العلاج حصيصاً لك

- كيف ذلك

فتكلف الطبيب هياة الجد وقال له

انى أتيت اليك أيها المركيز لمباحثتك فى شؤون خطيرة فابتسم المركيز

وقال له مازحاً

انه اذا كانت حكاياتك خفية كدوائك فانى سأرتعد من الرعب

- ان الحكاية تبدأ منذ سبعة عشر عاماً

- اذن انها من حكايات العهد القديم

- كلا أيها المركيز فانك أخص رجال حوادثها

- اذن قصها عليّ فقد بدأت اهتم لها

- ان حوادثها جرت فى كل كوتة عاصمة الهند فى عهد اللورد ايبك

فقد دخل رجاله فى ليلة حالكة الاديم الى سراى أيبك وسرقا
منها غلاماً

- من هما
- من طائفة النور
- من كان الغلام
- أنت
- يظهر انهما لم ينحجا فاني أمامك
- بل انهما نجحا فانه حين أشرقت الشمس كنت في مضارب النور
- على قيد ست مراحل من قصر أيبك
- انها حكاية غريبة
- ولكنها أكيدة
- غير انه لم يذكرها لى أحد قبلك
- لأنه لم يكن يعرف هذا السر غير ثلاثة وهم العبد الذى كان ساهراً
- عليك حين رقادك وأبوك وأنا وقد مات أبوك والعبد فلم يبق غير أنا من
- الواقفين على هذا السر
- لكن أى غرض للنور من اختطافى
- انهم كانوا يريدون ابقاءك عندهم رهينة كي يساووا بك على افتدائك
- بمبلغ عظيم
- افعلوه لمجرد الكسب
- بل للانتقام أيضاً فان أباك كان قد طردهم من كل كوتا وفى الليلة
- التالية دخل الثانى الى الخيمة التى كنت مسجوناً فيها وهما مسلحان

فتمكننا من اتقاذك وكان هذان الرجلان أباك وأنا ولكن النور كانوا قد
وشموا كتفك الأيسر بعلامة طائقتهم

— أهي هذه العلامة الزرقاء التي أراها على كتفي ولا أعلم كيف أتت
— نعم هي هذه العلامة التي طالما اضطرب لها أبوك إذا كان يختبئ
أن يجيء يوم يحسبون فيه أن المركيز روجر دى اسبرتهون نوري

فوقف المركيز منذعراً وقد نظر إلى الباب الذي خرجت منه مس الن
فلم تخف هذه النظرة على الطبيب ولكنه كان قد اندفع في الحديث ولم
يحد بدأ من اتمامه فقال

نعم أن هذا الخاطر كان يعذب اباك حتى انه جرب جميع أدوية الهند
لازالة هذا الوشم فلم يتمكن من ازالته

— ما هذا الخاطر العريب ومن الذي يجسر على الشك نسبي
— ألا تعلم أن من كان له نباك وثروتك يكثر حاسدوه
— ربما ولكن ما العمل وهذا الوشم لا يزول
فقال له بصوت منخفض اني ابحث منذ عشرين عاماً عن دواء يزيله
فلم اهتمد اليه الا منذ يومين

— اذا كان ذلك أيها الصديق فهلم وجربه بي فان الهراء والفضيحة
لا يجب أن ينالا أمثالي

— اذن سأزورك في كل ليلة ساعة رقادك واستعمل هذا الدواء-
ورجائي أن يزول الوشم في مدة أسبوع فلا يبق له أثر
— على الرحب فتعال للعشاء معي في كل مساء وسنبداً من هذه الليلة

والآن أرجوك أن تدعنى وحدى هنيئة فى هذه القاعة فان لى
أوامر مستعجلة ارى اصداها

فوضع الطيب الزجاجة فى جيبه وقال له

وأنا أيضاً مضطرا الى الانصراف لعيادة مريض فى هذا الشارع
- اذهب أيها الصديق وعد بعد ساعة فانى انتظرك فخرج بولتون
حتى اذا وصل الى ردهة الفصر أخرج من جيبه قفازا كان قد لقيه على
الكرسى الذى كان جالسا عليه ونظر فيه فوجده قفاز امرأة ففرض
الأرض برجليه معضبا وقال

لقد عرفت الآن ما هى هذه الأوامر التى يريد اصداها
وقد خرج من الفصر فلم يسر بضع خطوات حتى وقف اذا وجد
مركبة تنتظر على بعد عشرين خطوة من باب القصر
وكأنما قد رابه أمرها فالتفت بوشاحه ووقف وراء أحد الأبواب دون
أن يراه أحد

وبعد هنيئة رأى امرأة مقنعة خرجت من باب الحديقة فصعدت الى
المركبة وأمرت السائق بالمسير
فأسرع فى أثرها وهو يقول فى نفسه

ليتشى روجر هذه الليلة وحده فانى ارى أن أعرف من هى هذه
المرأة التى سمعت الحديث الذى قصصته على المركيز
أما المركيز فانه لم يكذب يخرج الطيب من عنده حتى أسرع الى الباب
الذى خرجت منه ألن فرآها تجتاز الحديقة

وأما ألن فانها حين باتت فى مركبتها جعلت تبسم ابتسام الظافر
وتقول فى نفسها

لقد أصاب من قال أن للنور الهايرعاهم فان هذا الطبيب قد خدمنى
خدمة حليلة سأ كافئه عليها متى جاء وقت المكافآت

أما الآن فسأخير جان دى فرانس بين الحرب والسلام فاذا خدمنى
سالمة وإذا اعترضنى فيما أريده أتمهرت عليه حرباً عواناً أكون الظافرة
فيها فقد تسلحت الآن بأمصى سلاح

وبعد نصف ساعة وقفت مركبة مس ألن عند باب منزل السير
روبرت وكان الطبيب فى اثرها فعرف من هى هذه المرأة التى كانت
محنة المركيز

ولم يكن السير روبرت فى المنزل فدخلت الى غرفتها وكتبت
هذه الرسالة

« ان توبسى تريد أن ترى جان دى فرانس وقد عينت له موعد
المقابلة الساعة العاشرة من هذه الليلة فى دليتفورد »

وقد غيرت نسق خطها كى تستطيع انكاره عند الافتضاح ووضعت
الرسالة فى غلاف كتب عليه هذا العنوان

الى الشريف التاباب عثمان فى ييكاديلى

ثم اسندت كوعها الى المنضدة وجعلت تبسم وتقول

أليس من المضحكات ان يكون اثنان من النور فى مقدمة اشراف
الانكليز

القسم السادس دهاء النساء

عند ما وصلت رسالة الن الى جان كان يتداول مع الطيب بلتون
فكان جان يقول له

هل أنت واثق من أن هذه المرأة كانت مس الن
فال كل الثقة ألم أقل لك أنى ففوت أثر مركتها
فقطب جان حاجبيه وقال أعلم أن روحه متوله بحبها
قال لا أعجب من ذلك وهى جميلة طماعه تريد أن تدعى مركيزة
فال ولكنى أنا لا أريد وهذا لا يكون وأنا أعلم أن توبسى حصم
لا يهزأ به فان لها ميلاً فطرياً الى الشر ولها حراً وصبر سديد واردة
لا تغلب فاذا ظفرت بي فهى لا ترحمى وفوق ذلك فانها تسلطت على
السير روبرت فلا يعمل إلا بأرادتها

فال ولكنى أخاف أن تكون نصبت لك فخاً فى هذه الرسالة
فأبتسم ابتسامة احتقار وقال ان خنجرها لا يصل الى هذه المرة
- اذن ستذهب الى حيث دعتك
- دون شك انى ذاهب من فورى
ثم نادى شمشون وقال اخبر اليسى أن تتأهب فانها تكون فى مأمن

على ظهر السفينة ثم اذهب بها في قاربي وانتظرنى في النهر الى ان آتى اليك
فذهب شمشون مسرعاً وسأل الطبيب جان قائلاً من هى اليبسى هذه
قال انها المرأة التى تستحق أن تحب فانها مثال الخير كما ان توبسى
مثال الشر

- أرى انك تحبها من تهدج صوتك

- هو ذاك فانى أحبها أصدق حب

وفد نظر عند ذلك فى ساعته وقال لقد بلغت الساعة الثامنة وان
روحر ينتظرك للعشاء أيها الصديق

قال انى ذاهب اليه وسأعود اليك مساء غد فأخبرك بنتيجة الدواء
وبعد انصراف الطبيب تنكر جان بملاس نوتى وذهب الى الهر
فوجد أخته وشمشون ينتظرانه فى القارب

وقد صعد اليه فسأله شمشون الى أين تريد أن تذهب

قال الى الباحرة فولر ثم الى ريسفورد

فقالت له أخته دعى أصحابك يا جان الى حيث أنت ذاهب فانتظرك

مع شمشون فى القارب

لماذا تريدان أن تصحبينى

لأنى خائفة فقد حملت أمس حلما مخيفاً

اذا كنت تعتقدين بالأحلام فهلمى معى ولكن لا تخشى على ثم أمر

شمشون فدفع القارب الى جهة ريسفورد

وكانت ألن قد سبقته الى الموعد ووقفت فى ردهة المنزل تنظر الى
النهر فى تلك الليلة المقمرة فرأت جان قد خرج منه الى الشاطئ، ورأت
أن الفارب لا يزال واقفا وفيه رجل وامرأة
وقد دخل جان اليها فاستقبلته بملء البساسة وقالت له أشكرك
لاسراعك بتلبية دعوتى

فأنحنى أمامها وأشارت له أن يجلس على كرسى بجانبها
فقالته

انك تعلم يا عدوى العزيز انى ما دعوتك الى مقابلتى إلا وقد عقدنا
هدنة فلا خوف عليك من خيانة ما زلت عندى

قال وأنا رضيت عقد الهدنة فلا خوف عليك من انتقامى

والآن فهل لك أن تخبرينى عن سبب تشريفك اياى بهذه المفايلة
قالت دون سك فانى ما دعوتك الا لأقترح عليك عقد الصلح فقد
رأيت أننا كفؤان متواربان فأية فائدة من العدا

قال هو ذاك وانى راض بالصلح

— ان هدية العلبة التى أرسلها الى ناثائيل دلتنى على انك عدو مخيف
ولكن نتيجة هذه الحادثة دلتك أيضاً على أنى لم اكن مغلوبة وفوق
ذلك فقد رجحت عليك بتلك الطعنة التى أصابتك بها الهندية

— تريدان أن تقولى انك التى طعنتنى اذ أنت التى أرشدتها الى

— هو ذاك وانى بهذه المناسبة أريد أن أسألك عن أمر أشكل على

- أتريدن أن تعلمي كيف نجوت

- نعم

- الامر بسيط فقد كنت واهمة باعتقادك ان الخنجر مسموم وذلك

أن الهندي الذي يصحب الهندية كان يعلم انها مجنونة فأبدل خنجرها

المسموم بخنجر عادى فلم يقتلى الجرح

فانتسمت ألطف ابتسام وقالت انى أريد أن أعرض عليك الصلح

- ما هي شروطك

- ليس لى غير شرط واحد

- ما هو

- هو اعترالك

- أن اعتزالى قد يكون كثيراً وقد يقل

- انى منذ عام أسائل نفسى هذا السؤال وهو أية فائدة لجان

دى فراس وهو نورى مثلى فى تولية حماية المركيز روجر ابن ذلك اللورد

الذى طالما اضبطيد طائفتنا

- أأنت سألت نفسك هذا السؤال

- نعم ولولا حدوث حادثة لم أكن أتوقعها لما عرفت الحقيقة

- أعرقها

- نعم ووثقت الآن أن المركيز روجر هو ابن اللورد اسبرتهون

وسنيتيا النورية أى أختك وعرفت أيضاً أن الطبيب بولتون لفق له حكاية

عن الوشم الذى وشم به كتفه وأنه آخذ بمعالجته فلا يمر أسبوع حتى يزول
هذا الوشم كما زال وشمى

أما هذه الحكاية الملققة ففقد ينفى بها رحل بسيط القلب كالسير
روبرت الذى ربانى ولكنها لا تجوز على وعلى ذلك فان المركيز روجر
انما هو نورى مثلنا

— وبعد ذلك

— انى أحب هذا المركيز

— تريدن أن تحبين ثروته ولفه

— أنه يحبنى ويريد الزواج بى فلماذا تعترض هذا الزواج

— لأننى لم أجعله مركيزاً ولورداً كى يتزوج نورية

— اصغ الى يا جان فانى أتوسل البك جاتية أن تغفر لى أسأتى

— وأن أدعك تتزوجين المركيز؟

— نعم يا جان انى طامعة متكبرة وآر روجر نورى منلى ولذلك أريد

أن أساركه فى مجده

وأنتك متكبر مثلى ولم يدفعك الى ترقية ابن أختك غير الكبرياء فتق

يا جان انى اذا تزوجت به أكون من أشد الناس اخلاصاً لطائفكم

— أن هذا محال فكونى سيدة عظيمة اذا استطعت وأما أن أجعل

ابن أختى وممكننا سماً لمرقاتك فهذا محال

فارتجفت شفتاها من الغضب وقالت له

انى توسلت اليك فكنت من غير اسفاق وأيتت الا الحرب فليكن
ما تريد واحذر لنفسك

- كما تريدن ولكنى أمهلك يوما لتسمعنى

- لا أريد مهلة

فأخذ قبعتة وحاول الانصراف فقالت له بصوت برتجف اصبر

- انى مصغ اليك

- أحرص على ابن أختك وملكك فان عدوه سيكون له أتبع

من ظله

- لقد أعذر من أندر

- كلمة أيصاً

- ماذا

- من هى هذه المرأة التى تنتظرك فى القارب

- اليبسى

- تلك المصرية الحسنة

- نعم فهل غرت منها

- أنك تحبها

- أصدق حب

- اذن سأكون أقوى منك فانك تطعننى باطاعى أما أنا فأطعنك

بقلبك

- جربى

- فاتقدت عيناها ببارق مخيف وقالت له

اذهب واذاكر انى أهنت نفسى ونزلت عن عرش كبريائى
بتوسلى اليك



بعد هنيهة كان جان واقفا عند الشاطئ وقد صفر فجاء شمشون بالقارب
وصعد جان اليه فجلس بجانب أخته فقالت له
أن هذه المرأة ستكون شؤماً علينا يا جان فانك بينما كنت عندها
سقط نيزك من السماء وهذه علامة الموت

فأجابها مارحاً أن هذا النجم انحل برغيه فسقط
قالت لا نضحك يا جان فهذه علامة الموت كما قلت لك
وعند ذلك سمع دوى طلق نارى فصاحت اليسى صيحة عظيمة
وسقطت بين يدى جان فان الرصاصة أصابتها



فى تلك الليلة نفسها ذهبت ألن الى حيث تقيم الهندية فدخلت اليها
وكشفت قناعها وقالت لها
أنه لم يمت

فوقفت الهندية كأنما لسمعتها أفعى وقالت من هو
قالت سارق كنز الآله سيوا

فهزت كتفيها وقالت ان هذا محال

- لقد قلت لك انه لم يمت

- ألعك رأيته

- وكلمته

- متى

- منذ ساعة

- اذن ان هذا الرجل تحميه قوة آلهية أو هو من السحرة

- كلا ولكن رفيك الهندي بدل خنجر المسموم بخنجر عادي

- ذلك لا يصدق فان له قوة تحميه

فرأت أن ان لا فائدة من الجدل معها فمالت لها

ان هذه القوة قد تحميه من الخناجر ولكنها لا تحميه من السموم

التي تبيعينها

فتوهجت عينا الهندية من الحقد وقالت أين أحده

- في منزله في بيكاديلي

- حسناً فستعلمين ما يكون من أمره قبل ثلاثة أيام

- اذن فاعلمى انه يدعى الباب عثمان الهندي والآن استودعك الله

وقد اسدلت قناعها على وجهها وحاولت الانصراف ولكنها سمعت

ان باب دكان الهندية يقرع فأسرعت واختبأت وراء ستارة كانت تقفل

بين الدكان والسرير الذي تنام عليه الهندية وأشارت اليها أن تفتح

ففتحت ودخل رجل كان متشحا برداء كبير وهو يحاول اخفاء وجهه
فقالت أن في نفسها لا فائدة من تنكرك فقد عرفتك

أما الرجل فانه قال للهندي هل نحن وحدنا هنا
فالت نعم فماذا تريد يا سيدى أتريد شراء مسابح وروائح عطرية
قال كلا

- اذن أتريد أن اكشف لك طالعك

- ربما

- هات يدك

فسط لها يده ونظرت في باطن كفه فقالت له يوجد رجل تكرهه
أشد الكره

- هو ذاك

- وقد حاولت قتله مراراً فلم تفز

- لقد أصبت

- ولكن يوجد طريقة للتخلص منه

- ما هي

- السم

- لقد خطر لى هذا الخاطر ولذلك جئتك لأشتري منك هذا السم

- انى لا أبيع السموم يا سيدى وقد أخطأ من أخبرك

فظهرت علائم الامتعاض على الرجل وقالت الهندية انى أعلم بأنهم

يتهموننى ببيع السموم ولكنها تهمة باطلة فأنى أبيع المسابح واكشف
الطوالع وأرقص فى الشوارع وهذا كل ما أعمله

وعند ذلك سمعت الهندية حركة من وراء الستارة لم يتبها لها الرجل
فالتفتت فرأت أن تشير اليها اسارة لم نفهمها فقالت للرجل اصبر ياسيدى
فسأريك سبحة نستريها لا محالة
ثم دخلت الى ما وراء الستارة لترى ما تريده أن فهمست فى
أذنها قائلة

ان هذا الرجل سيستم لك فاعطيه السم الذى يطلبه وضعى فى العلبة
التي نضعين فيها السم هذه الورقة

وقد أخذت ورقة من دفترها وكتبت عليها هذه الجملة
« ابدأ قتل الباب عثمان اذا أردت أن تفور »

ثم قالت لها لا تعطيه من السم إلا بقدر ما يكفى لقتل رجل واحد فقط
فأخذت الهندية علبة وحرحت الى الرجل فقالت له هذه سبحة
مصنوعة من خشب الستيكنوس وهى تفيدك فيما تريد
فارتعش الرجل وقال ماذا تعنين

قالت من محلول هذه الحبوب سم يقتل للرجال وهذه السبحة يستطيع
صاحبها أن يعبث بها قدر ما يشاء دون أن يصاب بأذى وأما اذا أذاب
حبة منها فى كأس من الحمر تستحيل الى سم صاعق ولكن هذا السم
غالى الثمن فان الحبة الواحدة تساوى خمسة وعشرين جنيها

قال اذن اعطنى حبتين

قالت لا أستطيع أن أبيعك غير حبة واحدة فاذا احتجت الى
سواها فعد الىّ

ففقدها ما طلبت وأخذ الحبة وانصرف

فقالت ألن هو ذا الرجل كان يحسبه الناس من الأموات وقد خرج
من بين القبور

ثم خرجت الى الهندية فقالت لها أصعى الىّ واعلمى يقيناً لك اذا
كنت لا تريدن أن يحكم عليك بالموت فى النار فاحذرى أن تبعى
أحدًا حبة أيضاً من هذه السبحة

- حتى هذا الرجل

- هو على الأخص

- ولكن ما أصنع اذا توعدننى بالشكوى

- أتذكرك كما أنفذتك من كنز الاله سيوا واعلمى أن هذا الرجل

سيقتل جان دى فرانس قبل أسبوع

- هل أنت واثقة مما تقولين

- كل الثقة فان هذا الرجل جبان وهو يعلم أن جان يحمى عدوه

فسيقتله قبل ذلك العدو

- اذن سأكون عبدة له

- أنسيت أنك عبدتى

- نعم نعم فمري أطمع

- أن هذا الرجل بعد أن يقتل عثمان يعود اليك كي يلتمس سماً

يقتل به عدوه فتوهمينه أنك ستبيعه ما أراد وتدخليه الى ما وراء
هذه الستارة

- لماذا

- لأن الصدفة قد تجعله يجلس على هذا المقعد وفيه ابرة مسمومة

تشك حله فاذا اتفق ذلك أعطيتك من الذهب قدر ما تكسبين في
مدة عشرة أعوام

- ليكن ما تريدن فأساعد هذه الصدفة

أما هذا الرجل فقد كان السير جيمس ابن أخى اللورد اسبرتهون
ذلك الذى القى نفسه من فوق الحصن فى أميركا ثم انقطعت أخباره
فتوهم الجميع انه مات

وقد عاد الى لندرا متكرراً فلم يعلم حقيقة أمره غير خادمه ويلس
وهو الآن يريد شراء السم كي يقتل به ابن عمه المركيز روجر

فلما عاد الى منزله فتح العلبة وقرأ الجملة التى كتبتها أن فأيقن أن له
شريكاً يعاونه بالسروانه مصيب بما أوصاه به فانه لا يستطيع أن يتمكن
من ابن عمه الا بعد أن يتخلص من عثمان

غير أن كيد أن لم يقتصر على هذا الحد فانها بعد أن مهدت للسير
جيمس سبيل قتل عثمان وبعد أن أصابت حبيته بجرح كاد أن يودى

بحياتها كمنت لاخته سينيتيا أم المركيز مع فريق من أعوانها فاحتطفتها
وهي خارحة من منزلها لغرض سوف يظهر



والآن لنعد الى السير روبرت فالدن فقد كان شديد التمسك بالسرف
كتير الحرص على مقام الأنسراف وقد رأينا منه كيف أبى أن يزوج
ر بيته بليونيل وهو يحبها كفته كى لا يؤنبه ضميره على تزويج نورية بشريف
وانما أراد تزويجها بالمركيز لا عنفاده أن المركيز ليس ابن اللورد الشرعى
فانه كان اصعب مرة بجرح فى كتفه أثر مبارزة كان السير روبرت أحد
متساعديه فيها فلما كسف الطبيب عن كتفه رأى روبرت هذا الوسم
على كتفه وهو يعلم انه خاص بالور فتولدت فى نفسه الشكوك من
ذلك العهد

وقد كثرت هواحسه واستد فلقة وأراد أن يعرف حقيقة هذا السر
الذى كاد يقتله فقال فى نفسه

لم يبق بد من أن أذهب الى روجر واستوضح منه جلية الأمر فاذا
برهن لى انه ابن اللورد اسبرتهون الشرعى اعتذر اليه واذا لم يستطع
البرهان لجأت الى مروتة فانه كريم الأخلاق عزيز النفس لا يرضى أن
يلقب بلقب سواه

وكان قد وعد ر بيته أن يأتيها بالخبر اليقين بعد ثلاثة أيام فبرح
منزله فى اليوم الثالث وذهب الى المركيز فلنى عنده الطبيب بلتون يعالج

كثفه فاتسم المركيز له وعاتبه لاقطاع رياراته فتمتم بعض كلمات اعتذار
وقال الطيب

أما أعرف السبب الذى دعا السير روبرت الى الاقطاع عنك منذ
عهد مباررتك مع الفائد مكسويل

فقال له المركيز اذا كنت تعرف السبب كما تقول فاسرع ناحبارى
عنه فانى لا أزال مندهساً من مراهج السير روبرت

قال تصور أيها المركيز أن السير روبرت والدن وهو صديقى منذ
تلاتين عاماً أراد يوماً أن يقتلى عند سريرك

فصاح المركيز قاتلاً ولكن هذا محال

قال سله يخبرك انى قلت الحقيقة

فهر السير روبرت رأسه اشارة الى الموافقة وقال الطيب

هل تعلم لماذا كان يريد قتلى . ذلك لأنى أبيت أن أبوح بسر ابيك
المرحوم .

فقال المركيز : هذا الذى اسمعه فانى أحسب نفسى حالمًا أحق ما يقوله
يا سير روبرت

- نعم أنه يقول الحق

- أأنت أردت قتله

فقال الطيب نعم وذلك لأنى أبيت أن اكشف له سبب وجود
الوشم على كتفك

ففقّقه المركيز ضاحكاً وقال اراهن على أن السير روبرت توهم انى
من النور

فقال الطبيب هو ذاك

وكان السير روبرت توقع أن يرى المركيز يضطرب فاذا به يضحك
ويقول له اطمئن اينها الصديق فانى حقيقة ابن اللورد اسبرتهون
وفال له الطبيب اعلم أيها الصديق انى اقسمت ميمناً للورد اسبرتهون
أن لا أبوح بهذا السر لأحد الا متى تمكنت من ازالة هذا الوشم عن
كتفه وقد وجدت اليوم الدواء الذى يزيله ولم أعد متقيداً باليمين فاسمع
ما حدث

وعند ذلك قص عليه الحكاية نفسها التى قصها على المركيز منذ
يومين فلما فرغ من حديثه احمر وجه السير روبرت من الخجل والتفت
الى المركيز فقال له

انى لا أعذر نفسى لظنوني السيئة فهل تفضل بمعذرتي أيها المركيز
فأجابه المركيز بأن مد له يده وصاحفه وزالت الظنون



وعاد السير روبرت الى منزله فوجد مس ألن تنتظره فقالت له أين
كنت يا عمي

قال انى قادم من عند المركيز وقد ثبت لى الآن أن ليونيل لا يمكن
أن يكون

- كيف ذلك

- ذلك اننا خدعنا فان المركيز هو حقيقة ابن اللورد اسبرتهون

- آنت واثق

- كل الثقة

- والوشم

- ان له حكاية قصوها على ووتقت بها

- انك تلبث واثقاً الى أن تجد البرهان الوافي على انهم كانوا يمثلون

أمامك رواية

- ماذا تقولين يا ابنتي أملك جنت

- وأنت ماذا قالوا لك عن أصل هذه العلامة . ولكن لا تقل شيئاً

فانى أعرف الحكاية كما عرقتها فهي من مخترعات جان دى فرانس

- جان دى فرانس

- نعم أى ملك الـوَر وهو أخو سنيتيا التى كانت خلية اللورد

اسبرتهون وأم المركيز روجر ألم يخبروك أن النور اختطفوا المركيز فى

عهد حدائه من سراى كلـكـوتا

- نعم ولكن كيف عرفت ذلك

فابتست ابتسامة السائد وقالت

اصغ الى يا عماء فاننا نسير وراء غاية واحدة ولكن الأسباب مختلفة

فانك تريد أن ترى ليونيل وهو ابن اللورد الشرعى فى مكان أياه

- ولكن كيف يكون ذلك اذا كانت الحكاية التى سمعتها اكيده

- بل انها مختلفة وأنا اتعهد بأن ابرهن لك عن احتلالها

- أنت

- نعم ولكن اسرط

- ما هو

- هو أن تدع لى حريقى التامة

- كيف ذلك

- انى استمهلك ثلاثة أيام على الأكثر ويوماً على الأقل فأتبت

لك أن المركيز روبرت هو أميركى ابن سننثيا الـوـرية واكره هذه الأم
على الاعتراف

- أنت تفعلين ذلك

- نعم اذا أردت ان اكون أنا الفكر المدبر وأنت اليد العاملة

- لقد رضيت

- اذن انى احتاج هذه الليلة الى اننين من رجالك لأستعين بهما

على اختطاف

فنظر اليها منذهلاً فقالت

أعلك نسيت يا عمى انى نورية . انك شريف حر الضمير فلا

تستطيع ان تتغلب على جان دى فرانس

- ولكن أين سمعت اسم هذا الرجل فانى اذكر انى سمعته من قبل

- تذكر يا عماء ألم تخبرني مرة أن الموردا سبرتهون كاد أن يقتسه
النمر فأقذه رجل نورى

- نعم

- أن هذا الموردي كان جان دي فراس ثم ألا تذكر أن المركيز
روحركاد يطنس به الوحش في العانة وإن رجلاً أسده

- نعم

- أن هذا الرجل كان جان دي فراس ثم ألا تذكر حين احتالوا
على المركيز يوم مبارزته مع الصائت مكسويل فعطوه حسماً سريع
الانكسار وإن رجلاً أذل السيف - واه - أن هذا الرجل كان جان
دي فراس

- إذن إنه سلطان في ربي اسنان

- هو ذاك ولكمه ملائكة يحمي روحه من كل الأخطار فقد أعذه
عشر مرات من الموت في تركا وهو يزعم زعم طائفة آيين ذهب

- وأن روحه سربكه لا محالة لأنه يعرف ثمنه

- كلا فإن روحه اعتد اعتدداً راسخاً به ابن انوردا النسي

- إذا كان ذلك تمكن أرجاعه إلى الصواب

- نعم ولكن نسب أنت الذي تستطيع أرجاعه

- كيف ذلك أنسك بكلامي

- أن الذين يخضعون لسلطان جان دي فراس لا يفنون إلا به أو بي

- أنت

- نعم فان روجر يحبني أعظم حب بحيث استطيع به مقاومة جان

دى فرانس فاذا أطلقت لى حريتى جعلت ليونيل يخلف المركيز دون
أن ادع الألسنة تلهج بهذا الانقلاب

- ولكن ماذا يكون مصيره

- ليتوارى معى عن العيون ويكفيه ثروة أن أحبه كما يحبني

- ولكن أية فائدة لجان دى فرانس من حماية المركيز

- أنه ابن أحتو ومن طائفته المضطهدة فهو يريد أن يتخذ سلاحاً

ضد مضطهدى تلك الطائفة

- وأنت تعتقدين أنك تستطيعين مقاومة جان دى فرانس

- بل انى واثقة من الفوز عليه اذا كنت تأذن لى أن أخرج من

المنزل حين أشاء

- انى أمنحك هذه الحرية فلا يهنا لى عيش قبل أن تنحل

هذه الرموز

- لقد قلت لك انى محتاجة الى رجلين يساعداننى على اختطاف

- من الذى تريدان اختطافه

سينتيا أم المركيز وأن عندك خادمين شديدين وهما نوح وبلاك

فمرهما أن يطيعانى وعلى البقية

ثم قرعت جرساً وأمرت أن يعدوا لها مركبة



وقد تقدم لنا القول أنها اختطفها وكان اختطافها بواسطة الرجلين الهندية فانهم كمنوا لها عند مدخل منزلها حتى اذا خرجت منه دنت منها الهندية وبسطت يدها تسألها الاحسان فينما كانت تحاول اعطاءها قطعة من النقود شعرت ان كيساً غطى رأسها وأنها حمت فوضعت في ركة ثم سمعت تلك المتسولة تقول لها

احذرى أن تصيحى اذا أردت السلامة لك ولولدك
وبعد أن سارت المركبة قليلاً قالت لها الهندية أن هذا الكيس
بزججك كثيراً فاذا أردت أن نعصب عييك نزعناه عن رأسك فتستطيعين
لتنفس بحرية

فأومأت برأسها إشارة الى القبول فنزعت الكيس عن رأسها وعصبت
عينها ثم قالت لها انا نستطيع الآن أن نتحدث

قالت ماذا تريد منى

قالت أريد أن أحدثك بشأن ولدك

- ليس لى بنون

- بل أنك تكذبين

- ثقي أنك مخطئة فليس لى ولد ولا زوج

- بل أنا واثقون أن لك ولداً وأنهم فرقوا بينك وبينه

- لقد قلت لك أنه ليس لى ولد فالى أين تذهبون بى

— الى هذا الولد الذى تنكرينه

— اذن سوف ترون أنكم مخطئون فان الولد يعرف أمه

فامتنت الهندية عن مباحثتها وبعد ساعة وصلت المركبة الى منزل
ألن الصيغى وهو ذلك المنزل الذى استقبلت فيه جان حين أرادت
محالفته فأخرجتها الهندية من المركبة وأدخلتها الى المنزل فسمعت سينتيا
الرجلين يتحدثان وسمعت من حلال حديثهما امم مس ألن فسرى
الرجاء الى قلبها اذ علمت أنها فى منزل مس ألن وأرأها جان يعرف
هذا المنزل

وعند ذلك نزعَت الهندية العصاية عن عبيها فوثقت أنها عد مس ألن
فان جان كان قد وصف لها تلك العرفة فوجدتها كما وصف
ثم مشت بها الهندية الى قاعه انكته فأدارت لولبًا فى الجدار فانفتح
باب حفى فدخلت واياها منه فأقفله وقالت لها وهى مجردة حنجرها
أنك ستريين ولدك ولكن احذرى أن تصيحى صيحة

وقد أراحت كتابين عن موضعهما فنفذ النور الى تلك العرفة من
ثقبين وراء الكتابين فقالت أنك تستطيعين أن ترى من هذين الثقبين
حين يأتى ولدك

قالت انى لا أفهم شيئًا مما نقولينه فلمد قلت لك أنه لبس لى ولد
قالت سوف نرى

— بعد هنيهة دخلت مس ألن الى القاعة فرأتها سينتيا وعرقها فانها

وقفت معها فى المركبة يوم عاد ابنها من أميركا
أما ألن فانها حلت على مقعد أمام الثقبين وجعلت تحدث نفسها
بصوت مرتفع فتقول

ترى آياتى . نعم أنه سيأتى . آه كم أطلبه . ولكنى أخاف أن يكون
تأخر وصول رسالتى إليه

ثم قامت ففتحت نافذة تشرف على النهر فأطلت منها وقالت
روجر أين أنت انى لا أرى قارباً فى النهر ولا أسمع صوت مركبة
فى الطريق . أواه ما أتد وقع الريب فى قلوب المحبين
وكانت سينتيا تسمع أقوالها وهى تذهل وتقول فى نفسها عجباً كيف
يقول أخى أنها عدوة روجر وهى تحبه هذا الحب

وعند ذلك صاحت ألن صيحة فرح وفالت هذا هو قد حضر ..
انى أسمع وقع المجازيف فى المياه .. نعم نعم هذا هو وافرجاه
وكانت الهندية ممسكة بيد سينتيا فقالت لها أرأيت كيف أن يدك
تضطرب فى يدى حين علمت بقدومه

فحكمت نفسها وفالت كلا ليس لى ولد وأتم واهمون
وبعد هنيهة دخل روجر فقبل يد ألن فقالت له
أول ما ابدأ به أيها الحبيب رجائى أن تغض الطرف عن دعوتى إليك
ولكنى فقدت صوابى للخطر المحدث
قال أى خطر هذا

- أنه خطر يحدق بى وبك فقد كدت أفترق عنك الى الأبد
- رباه ماذا أسمع
- أن عمى أراد أن يحول بيننا فقد علم بجبننا
- أنه كان عندى اليوم
- لا أعلم ولكن الذى أعلمه أنه تأمر علىّ مع والدته ليونيل
- فاصفر وجه المريكز وقال لقد بت أكره ليونيل بعد أن كنت
أحبه كأخى
- قالت أغفر له أيها الحبيب فهو يحبني ويتوهم انى أحبه
- وهذه المؤامرة
- أنهما يريدان أن يرسلاني الى قصر لعمى فى ايكوسيا وهناك
- يأتى ليونيل فيزوجانى به ولكن اطمئن فقد اكتشفت سر هذه المؤامرة
- ولذلك دعوتك
- اذن أنت لا تسافرين
- كلا
- ولا تتزوجين ليونيل
- ألم أقسم لك
- فقلت سينتيا فى نفسها لا شك ان أخى منخدع فكيف تكون عدوته
- وهى تحبه هذا الحب
- وعادت ألن الى الحديث فقالت
- أما وقد رأيتك الآن وأخبرتكم بما كان يحدق بك من الخطر فلا
- يجب أن أرتكب هفوة جديدة

— ماذا تعنين

— أعنى ان عمى علم انى زرتك فى منزلك والآن يجب أن أسرع
الى العودة الى لندرا فانى أخاف أن يعود عمى من النادي فلا يجدنى
فى المنزل

— كيف ذلك أأفارقك وأنا لم أكد أراك

— لا بد من ذلك ولكنى سأعود معك فيخفينا الظلام

فصاح صيحة فرح فقالت له

اسكت اذ يوجد هنا خادمة جديدة تحرس المنزل وأنا آتى الى هنا
من حين الى حين لافتقدها

وان قاربى يرسو عند الشاطئ وقد أطلقت سراح النوى الذى
أوصلنى لترجعنى أنت فلا تجزع لأمر وثق بى

— أواه من ليونيل

— لماذا تخافه وأنا لا أحبه

— انى أخاف ان يكرهك عمك الى الامثال

— لا توجد قوة تكرهنى فتق بى كما تثق بأملك

— أمى واأسفاه انى لم أعرف أمى

— اكننت تحبها اذا عرقها

— بل كنت اعبدها ومن هذا الذى لا يجب أمه

وعند ذلك سمعت الهندية تنهداً عميقاً تلاه سقوط جسم على الأرض
ذلك ان سينتيا كان قد أغمى عليها اما ألن فانها خرجت بسرعة
مع المركيز

القسم السابع الفشل بعد الفوز

عند ما استفاقت سينتيا من اغماؤها لم تكن فى تلك الغرفة التى سمعت الحديث منها فان الهندية كانت قد اخرجتها الى الفاعة وعالجتها حتى استفاقت فقالت لها هال تستطيعين الانكار انه ولدك ولكنها عادت اليها قواها فقالت بصوت أحس لقد فلت لك انه ليس لى ولد

- اذا كان ذلك فلماذا أغمى عليك حين سمعته يتكلم عن أمه
- لأنى تذكرت ولداً لى مات والآن ألا تطلقين سراحى
- كلا

- لماذا

- لأنه يجب أن ترى مس ألن

- من هى هذه الفتاة

- هى تلك الحسنة التى تحب ولدك

- وأنت تقولين أنها تريد ان ترانى

- نعم فانها تريد أن تجمعك بولدك

- لقد قلت لك انه ليس لى ولد فكيف اكون أنا الفقيرة أم هذا

السيد العظيم ثم اذا كانت تريد أن ترانى فلماذا ذهبت

— انها ستعود عدأً والآن أنصحك أن تنامى على هذا المقعد فان الليل قد انتصف وأنت فى حاجة الى الراحة

فامتأت وغطتها الهندية بغطاء ثم اضطجعت على مقعد آخر كأنها تريد أن تنام أبصاً فقالت سينتيا فى نفسها انى سأصبر عليها حتى تنام فأخفقها قبل أن تتمكن من الصياح واهرب

ولكن حدث عد ذلك ما لم تكن تتوقعه فان الباب فتح فجأة ودخل منه الخادمان فجالا للهنديه اسرعى فامهم فى أثرها وقد رأيناهم فى النهر

فجالت سينتيا هذا أخى فاده لانقاذها ثم صاحت قائلة إلى إلى
فأسرع الخادمان اليها فكهماها وفالت لهما الهديه اقبضا على يديها
وسأعمل لهما عمليه تمنعها عن الصراح

فقبضا عليها وأحرحت الهنديه زحاجه فيها رسائى اصفر فؤدنته من أنفها واكرهتها على ننتقه حتى تلاست قراها وسنطت يداها فحملوها الى الغرفة السريه وأحبتأوا جميعهم فيها فجعلت الهندية تنظر اليها ونمول

ليأتوا الآن وليجنوا عنك قدر ما يساؤون . انى أدعى دابى ناتها وما رلتِ أخت جان دى فرانس ذلك اللص الذى سرق كنز الهى فاعلمى انى شمتك رائحة تنقدين بعدها كل حس ما عدا النظر والسمع بحيث تصبحين حية شبه ميتة

وبعد هنيهة دخل جان وشمشون فقد كانا علما باختطاف سينتيا فان

شمشون كان قد رأى عن بعد رجلين يحملان امرأة الى مركبة وكانت المركبة بعيدة عنه فلم يستطع ادراكها فأيقن جان ان ألن قد اختطفتها وأسرع مع شمشون الى منزلها الصيفي فبحثا فيه بحثاً دقيقاً فلم يجدا لها أثراً فاقترح شمشون أن يحرق المنزل فمنعه جان قائلاً لا أريد مداخلته البوليس ولا بد لى الآن ان أبحث عنها فى منزل السير روبرت فهلم بنا نعد الى لندرا

ولما ابتعدا قال أحد الخادمين لرفيقه انهما لن يظفرا بالأسيرة هذه الليلة وما راعنى إلا خوفى ان يحرقا المنزل
أما جان فانه عاد مع شمشون بطريق النهر وهو يندر ويتوعد ويقول
انى سأقتل هذه الماكرة جلدًا بالسياط
فقال له شمشون انى عينت رجلاً كما أمرتى لمراقبة منزل السير روبرت
ولا بد ان يكون رأى ألن ليلة أمس
- من هذا الذى عينته

- جولد

- انه من الأذكاء فلماذا لم تره اليوم
- لقد كنت عازماً على الذهاب اليه فى الساعة الثامنة ولكن عرفت

ما جرى

- سنراه الآن

وقد ذهبا الى منزل السير روبرت ولقيا جولد فسأله جان قائلاً

ماذا رأيت

قال ان مس ألن خرجت امس فى مركبتها ولكنكم لم تأمرونى أن
اتبعها فلم أعلم الى أين ذهبت

- متى عادت

- عند انتصاف الليل

- ألم تخرج بعد ذلك

- كلا فقد زارها فى تلك الساعة فتى لم أتبين وجهه اذ كان ملتفًا
بوشاحه وقد دخل من باب الحديقة بفتح كان معه

فقال جان فى نفسه انه ليونيل ثم سأله قائلاً كم أقام معها

- نحو ساعة فقد كنت ملتصقًا بالباب وسمعتها تقول له حين خروجه:
الى اللقاء غدًا

- واليوم أخرجت من المنزل

- نعم عند الظاهر

- ومتى عادت

- منذ ساعة

- أعادت وحدها

- نعم

- حسنًا فعد الى منزلك

وقد نظر جان فى ساعته وقال ان السير روبرت لا يعود من النادى
قبل انتصاف الليل ولا يزال الوقت فسيحًا لى

ثم ذهب الى شمشون وقال اذهب واكن عند باب المنزل فاذا
رأيت السير روبرت عاد فاسرع وأخبرنى واذا لم تجدنى فى هذا الزقاق
فنادنى بصفيرنا الخاص

قال ألك تريد الدخول الى الحديقة يا سيدى

- ربما

- أتريد أن أكسر بابها

- كلا فسادخل اليها بطريقة أخرى

فذهب شمشون فمكن بجانب الباب ولبث جان وافقاً حيث كان
الرقيب وهو يقول فى نفسه

ان ألن تريد أن تتزوج بروجر ومع ذلك فانها تنتظر ليونيل فلماذا
تحتفظ بحب هذا الفتى أيضاً

وكان جان قد عرف كثيراً من الأسرار ولكنه لم يتصل الى معرفة
سر ولادة ليونيل

وفىما هو واقف ينتظر سمع خطوات ليونيل ثم رآه وصل الى باب
الحديقة فالتفت يمناً ويسرة ثم أخرج مفتاحاً من جيبه وحاول فتح الباب
فأسرع حان فخال ببه وبين الباب وقال له وقد وضع قناعاً على وجهه
لى كلمة أقولها لك أيها النبيل

وكان ليونيل باسلاً جريئاً فدهش لهذه المفاجئة وحسب جان من
الصصوص فانتهره قائلاً

سرفى سبيلك أيها الرجل

فلبت جان فى موقفه وقال له ألم أقل لك لى كلمة أقولها

— لى أنا

— نعم لك أنت الضابط ليونيل

— اذا كنت فى حاجة الى كيسى فليس فيه الليلة ما يذكر وليس

لى وقت للدواع عنه فخذ

ثم أخذ كبسه من جيبه وألقاه الى الأرض فقال له جان بلهجة الساخر

لا بأس من أن ننظرك مس أن ربع ساعة

فاضطرب وقال له معصباً من أنت فتكلمنى بهذه اللهجة

— انى رحل يريد أن يسدي اليك نصيحة

— ما تعودت ان أسمع نصائح من يبرقعون وحوهم

— انك مخطفء فالعافل لا يحتفر النصيحة كيف كان مصدرها

فسأم ليونيل من الجدل وقال له ما هى نصيحتك

فال هى أن نعطينى مفتاح هذه الحديقة وتعود الى منزلك فتسام وانى

أعدك أن أرده اليك مع خادمى فى الصباح

قال يعز على أن أخترف صدرك بحسامى لأنك غير مسلح ولكن...

وكان مع جان عصا حشوها حربة طويلة كالحسام فجردها وقال له

اذا كان لديك حسام فانى أشرفك بالمبارزة تحت هذا المصباح المعلق

فى الطريق أليس هذا الذى تريده

- هو ذاك ففضل بكشف برقعك كي أراك

يسوؤنى أنى لا أستطيع اجابة سؤالك

وقد اشتبك القتال بينهما فقال له جان

انى غير حاقد عليك وشهد الله أنى لولم أكن فى أشد الاحتياج الى
مذا المفتاح الموجود فى جييك لما قاتلتك ولذلك لا أقتلك بل أصيبك
صابة بسيطة لا يعرف سرها سوى فستسقط مغمياً عليك نصف ساعة
وهذا كل ما احتاج اليه من الوقت

فهاج ثائر ليونيل لهذا الكلام وانفض على خصمه انتفاض الصاعقة
ولكنه لم يكذب يتم هجمته حتى شعر أن سيفه سقط من يده وسقط هو
على الارض لا يعى

فقاده جان اشفاقاً عليه ثم أخذ مفتاح الحديقة من جيبه وسار الى
بابها وهو يقول لقد جاء الآن دور مس أن فلنر ما يكون



كانت مس أن قد عادت مع المركيز روجر فى طريق النهر فلما
وصلا الى لندرا أركبها مركبة وفارقها بعد أن واعدها على اللقاء فعادت
الى منزله قبل انتصاف الليل بنصف ساعة

وهماك غيرت ملابسها وتقلدت خنجراً صغيراً كانت الهندية أهده

اليها فكانت تتقلده دائماً بعد أن شمرت جربها على جان

ثم نزلت الى الحديقة لتجتمع بليونيل فيها حسب عاداتها فى كل ليلة

فسارت بين الأشجار حتى انتهت الى مغارة فى وسط الحديقة يوجد تحتها
دهليز خفى

وحكاية هذه المغارة أن القصر الذى كان يقيم فيه السير روبرت كان
قديمًا يتصل بعهد كرمويل والثورة الانجليزية وهو فى ذلك العهد للورد
شافستبورى من المتشيعين للملك فبنى هذه المغارة وبنى تحتها الدهليز
فكان يخفى فيه الأسلحة والأوراق ويختبئ هو فيه أحيانًا حين تشتد
به المخاوف

وكان يفصل بين المغارة والدهليز حجر كبير كان له شبه باب فلما
مرت ألن بهذه المغارة قالت فى نفسها انى سأسجن سينتيا فى هذا الدهليز
فأكون آمنة عليها فيه

ثم تجاوزت المغارة وسارت الى حيث كانت تلتقى بليونيل فلم تكد
تجلس على كرسى هناك حتى رأت رجلًا يدنو منها فقالت له بصوت
منخفض أهذا أنت يا ليونيل

فدنا منها وقال لها بل هذا أنا

فصاحت صيحة ذعر اذ عرفت جان من صوته وحاولت أن تهرب
وتستغيث ولكن خطر لها خاطر سريع فلبثت فى مكانها وقالت له تعال
فانى أنتظرك

وكان جان بعيداً عنها ثلاث خطوات فدنا حتى وصل اليها فقالت
له بلهجة الهازية

أنك اذا كنت قادماً لتقتلنى فقد عرفت أن تنتهز الفرص فان
السير روبرت لم يعد بعد وكل من فى القصر نيام
وكان حان يتوقع أن تندعر فاذا بها تهزأ به فأحاطها قاتلاً
لا أعلم فان حياتك وموتك منوطان بك
قالت اذا كنت متردداً فإلم تتباحث فهل حتمنى بأنباء عن اليسى
تلك المصرية الحسنة

فاتقدت عيناه ببارق من الغضب لهذه الدكرى وقال لها
انى عاهدت نفسى على أن لا أقتلك لأنك امرأة ولكن موتك منوط
بك فاذا سنئت حللت نفسى من هذا العهد
فقلت ألن فى نفسها أن ليونيل لا يلبث أن يحضر فينقذنى منه
فلا ماطل فى الحديث ثم أجابته قائلة
انى عرضت عليك الصلح فأببت الا الحرب
وقد قالت هذا القول ونظرت الى باب الحديقة فأدرك جان معنى
هذه النظرة وقال لها

أنك اذا كنت تنتظرين ليونيل فسيطول انتظارك لأنى دخلت الى
هنا بفتحاحه

فسال العرق البارد من جبينها وفالت ألعلك قتلتيه
- كلا ولكنى أقسم لك أنه لا يحضر فلا تعتمدى عليه
- والآن ماذا تريد منى

- أن تردى سينتيا

- من هي سينتيا

- لا يفيدك الانكار فاني مستعجل

- اذن وضح ما تقول

- أنك اختطفت أحتي في هذه الليلة

- أما

- نعم أنت وأن المركبة التي حملتها وقفت عند باب منزلك الصيفي

- وقد قنشت هذا المنزل

- أوجدت فيه أختك

- كلا فهي هنا

- لا أفهم ما تقول

فقبض جان على عنقها بيديه وقال لها سيان عندي أ كنت مخطئاً

أم مصيباً فان موتك لا يستحق الندم

ثم ضغط على عنقها فحاولت أن تجرد خنجرها فلم تستطع فقالت بصوت

مخفق كفى كفى ارحمني

- أتعرفين

- نعم

فأفلت عنقها وقال تكلمي

فقالت له بلهجة المتوسل أن العفو جميل عند المقدرة وأنا الآن في

قبضة يدك يا جان وسأخبرك أين هي أختك

- اذن أنت تعترفين أنك اختطفتها

- لست أنا بل السير روبرت

- وأنت شريكته

- نعم

- أتعلمين أين هي

- نعم

- قولى

- بشرط ان تنقذنى من غضب السير روبرت

فدهش جان وقال لها كيف ذلك

قالت اصغ الىّ فقد كنت مصممة أن أحاربكم جميعكم ولكنى أجد

الآن أن ذلك فوق قدرتي وأعترف اني مغلوبة غير اني أسأت الى

نفسى بقصد الاساءة اليك فأخبرت السير روبرت بكل الأمر وقلت له

انك نورى مثلى وان روجر من النور أيضاً فجعلنى آلة لكشف هذه

الأسرار فاذا أخبرتك أين هي غضب علىّ وطردي لا محالة

وكانت تتكلم والدموع تسيل من عينيها بحيث خدع جان بدموعها

بالرغم عن حذقه واختباره فهاجت في صدره عوامل المروءة وقال لها

انه اذا طردك اقمت بيننا وكنت على خير حال

فهزت رأسها وقالت

انك لا تعلم ما القاه من اليأس لهذا التبديل فقد تعودت أن أعيش
عيش الترف والنعيم وأن اكون من شريفات الانكليز ولذلك قاومتك
وأردت أن اكون زوجة المركيز غير انى ندمت لما بدا منى فلا تقذف
بى الى الحضيض . دعنى أعيش مع الذى جعلنى وريثته فلا أقاومك
بعد الآن

قال سوف نرى فقولى لى الآن أين هى اختى
- انها هنا وأنت لديك كثير من الجواسيس فاجمعهم وتسلقوا
الجدران بل هاجموا القصر فانك تجدها ولا يتهمنى السير روبرت انى
بجيت بسرهِ

- أين هى اختى ... قولى ... والويل لك اذا ماطلت
فتكلفت حياة الرعب الشديد وقالت
خير لى أن أعيش شقية مترددة من أن أموت فى العشرين مز
عمرى وسأرشدك الى المكان المسجونة فيه
- اذن سيرى امامى وثقى انك اذا صحت أقل صيحة انعمدت
خنجرى بين كتفيك قبل أن تصيحى صيحة ثانية
فقال بصوت يتهدج بالدموع ان الله عاقبنى بأثامى فلا أعود الى المقاوم
وقد مشيت الى المغارة ومشى جان فى أثرها على قيد خطوة حتى اذ
وصلت الى باب المغلقة وقفت وقالت له
انى لا التمس منك غير أمر واحد

- ما هو

- هو أن تقيد يدي ورجلي حين تنفذ اختك وتضع كلمة في فمي
كي يثق السير روبرت اني ما خنته

- اني أعدك بذلك والآن الى أين أنت ذاهبة بي

- اعلم أنه يوجد تحت هذه المغارة قاعة سرية لا يعلم سرها الا أنا
والسير روبرت فخذ يدي ولندخل اليها وهناك نضيئها أليك كبريت شمعي
- قال نعم ثم أخذ بيدها ولبث خنجره بيده الأخرى حتى اذا دخلا
المغارة أنار جان الكبريت فرأى مغارة متسعة لم يجد فيها باباً فقال لها
أين الغرفة السرية أهلك هزأت بي

قالت كلا فانظر الى هذا الحجر الكبير فانه يحجب بابها فاذا ازحته
عن موضعه ظهر لك من تحته لولب صغير تضغط عليه فينكشف الباب
ولكني لا استطيع ازاحة الحجر فهو ضخيم كما تراه

قال أنا ازيحه ثم انحنى وجعل يعالج ذلك الحجر الكبير حتى ازاحه
وظهر له اللولب كما قالت

فقات له اضغط عليه بقوة فوضع يده عليه وضغط بعنف شديد
فوثبت ألن مسرعة الى الورااء وانشقت الأرض حيث كان جان فهوى
الى جوف تلك الهوة وصاح صيحة هائلة سمعتها ألن فضحكت ضحك
الهازي وهى تقول

اذا لم يمت من السقطة فسيموت من الجوع



أما شمشون فانه انتظر الى أن عاد المسير و ربت فجاء الى باب الحديقة
كى يخبر جان فلم يجده فصهر الصفيـر الحاص وصبر فلم يأت فشى الى الزقاق
باحتـاً عنه فلقى ليونيل صريعاً والدم يسيل منه فحمله الى أقرب مخفر وعاد
الى موقفه فصبر الى أن أشرق الصباح دون أن يحضر جان قتال فى
نفسه لا شك انه عاد الى المنزل بينما كنت أوصل ليونيل الى المخفر

وقد ذهب الى المنزل فوجد الطبيب بولتون يعالج اليسى فسأل عن
جان فقالوا له انه لم يعد فاخبرهم بأمره واستد قلق الطبيب عليه

وفيا هم يتداولون دخل احد الخدم برسالة وقال ان احد الخدم جاء
بها وانصرف ففضها شمشون وعرف خط جان قرأها على مسمع من
الطبيب واليسى وهى تتضمن جملة واحدة وهى

لا تقلقوا لغيابى فسأغيب عنكم خمسة ايام فقط

وحكاية هذه الرسالة ان ألن حين القت جان فى الهاوية عادت الى
الموقف التى كانت فيه على رجاء ان تجد ليونيل فعثرت رجلها بدفتر
فالتقطته وهى موقنة انه سقط من جيب جان حين كان يحاول خنقها

وعند ذلك ذكرت ما قاله لها جان أن ليونيل لا يحضر وانه دخل
الى الحديقة بفتاحه فذهبت الى غرفتها وهى تطمع أن تتف على اسرار
جان من هذا الدفتر فلم تجد فيه غير مذكرات لا علاقة لها بالمركز

ولكنها استفادت من ذلك انها مرنت يدها على خط جان ثم نزعـت

ورقة من هذا الدفتر كتبت عليها تلك الجملة مقلدة خطه أتم التقليد
وعند الصباح أرسلت تلك الرسالة مع أحد خدمها الى منزل جان كي
يطمئن رجاله عليه فلا يبحثون عنه
وكانت قد لبثت في غرقها الى ان جاء السير روبرت فسألها قائلاً
ماذا فعلت

قالت لقد قبضت على المركيز وأنت ماذا فعلت
قال انى دعوت الأشراف الثلاثة الذين ذكرتهم لى للغداء عندى
غداً ولقيت المركيز روجر فى نادى الحسان ففعلت أيضاً ما أوصيتنى به
وجعلت المحادثة تدور على نادى هرمين السرى
قالت ماذا قال المركيز

قال انه انكر وجود مثل هذا النادى فى لندرا ثم قال تأييداً لحجته
انه اذا كان هذا النادى موجوداً كما تدعون فانى أتعهد أن اكون
من أعضائه

قالت اذن لقد تم لنا النصر
قالت وأنا قد فعلت كل ما أوصيتنى به فهل تريدن ان تخبرينى
الآن بماذا يكون

قالت كلا ولكنى وعدتك ان أبرهن لك على ان المركيز روجر هو
ابن النورية سينتيا وستقف غداً على هذا البرهان أنت وأشراف الانكليز
قال ألا يجمل بنا اثناء هذه الفضيحة

قالت كلا فان روجر لا يتنازل لأخيه إلا اذا افتضح الأمر لدى
جميع الأشراف



وفي الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى ذهب الطيب بولتون
الى المركز ليتم عملية ازالة الوشم فأخبره المركز بأمر هذه الجمعية السرية
وبما كان من تعهده بالانتظام فيها وأن غرض هذه الجمعية معاقبة كل
شريف يقدم على اعمال منكرة وأنه ينتظر أن يأتوا اليه في هذه الليلة
فيدخلونه في سلك هذه الجمعية

فأطرق الطيب مفكراً وقال أرى انك اندفعت اندفاعاً غير محمود
وانك مخطئ في ذهابك الى هذه الجمعية

قال ربما ولكن لم يبق سبيل الى الرجوع حذراً من ان اتهم بالخوف
وبعد هنيهة خرج الطيب وهو يقول في نفسه لقد أشغلت بالى هذه
الجمعية ولا شك ان هناك مكيدة تكيدها ألن

أما المركز فقد جاءه في ذلك اليوم رسول مقنع من قبل الجمعية واتفق
واياه على أن يأتى اليه في اليوم التالى للذهاب به اليها

وفي اليوم التالى جاءه ذلك الرسول عند انتصاف الليل فخرج واياه
وركبا مركبة حتى اذا سارت بهما قال له الرجل انى سأعصب عينيك
حسب قواعد جمعيتنا فهل تقسم لى أنك لا تنزع العصا

قال أقسم

فعصب عينيه وسارت بهما المركبة الى ان وقفت فخرج الرجل مع
المركيز ودخلا من باب فمشى واياہ بضع خطوات ثم قال له لك الآن
ان ترفع العصاة

فرفع المركيز العصاة ونظر الى ما حواليه فرأى على نور الفمرا انه فى
مقبرة فقال له أهنا تجتمعون
قال ألعك تخاف الأموات
قال لا أخاف الاموات ولا الأحياء
قال اذن اتبعنى

وسار الاثنان بين القبور حتى وصلا الى ضريح كبير من الرخام ففتح
الرجل باب الضريح وقال له الى مغارتك الآن فادخل من هذا الباب
تجد سلماً فانزل عليه حتى تبلغ الدرجة الاخيرة فتسير فى رواق صغير تجد
فى آخره باباً فقرعه ثلاث مرات وتذكر اسمك والآن اعطنى حسامك
فأعطاه حسامه ودخل المركيز غير هياب ونزل السلم حتى انتهى الى
الباب فقرعه فأجابه صوت من الداخل قائلاً من أنت
قال أنا الذى تنتظرونه

قال من أنت
قال أنا المركيز روجردى اسبرتهون
قال ادخل

ثم فتح الباب واتقدت الأنوار عند ذلك فأنارت المكان



ولنعد الى سينتيا فانها بعد ساعة ذهب عنها تأثير المخدر وحلت عقدة
لسانها فأخرجوها الى القاعة بعد وثوقهم من انصراف جان وإقاموا
يتناوبون الحراسة عليها

وفى اليوم التالى جاءت ألن فخنق قلب سينتيا ولم تعلم اتفق بهذه
الفئة بعد ما رآته من حبها لولدها أم تحذر منها وقد قال لها أخوها انها
عدوتهم اللدودة

اما ألن فانها دنت منها فأخذت يدها بين يديها وقالت
آه لو تعلمين كم يسوءنى أن اراك جازعة وأنت أم روجر الذى لأحب
سواه فى هذا الوجود

قالت لك واهمة فليس لى ولد
قالت انك تحذرين منى وحقت ان تحذرى فى الظاهر لأنهم لا بد
ان يكونوا قد احبروك بأنى عدوة ولدك والله يسهد انى أحبه
قالت لقد قلت لك انه ليس لى ولد ولا علاقة لى بهذا الفتى الذى
تذكرينه ولكن لنفترض انى أمه فكيف لا أحذر من امرأة اختطفتنى
فى الطريق وعهدت بحراستى الى امرأة سافلة تعذبنى

قالت ومن انباك أن الذى حدث هنا قد جرى بأمرى بل من انباك
انى لا أتعذب أشد مما تتعذبين ولكنى لا احاول اقناعك فان ذلك محال
كما يظهر ولم يبق لى الا أن أقول بأنك حرة

فصاحت سينيتيا صيحة فرح ومشت الى الباب ثم رجعت وقالت لها
ولكن لماذا حبستنى يومين ثم أطلقت سراحي اليوم

فأجابتها قائلة اذا أردت أن تعرفى السبب فلا بد من أن تدعيني افترض
انك أم روجر . ان روجر يحبني وأنا أحبه ولكن رجلا تعرفينه حال بيننا
وهذا الرجل هو جان دى فرانس فانه يحبني حباً فاسداً ويتعقبني منذ
ثلاثة أعوام وقد آلى على نفسه اهلاك خصمه إذ بات ألد عدو له فهو
يخدعك ويخدع المركيز اسبرتهون ويمثل هذه الرواية الشائنة أقبح تمثيل
والآن فاذهي الى أخيك الذى تحبينه وتأمري وياه دون أن تعملي على
اهلاك ولدك روجر أما أنا فساؤمكم بجملتكم وحدي لأنى أحبه

انى أحبه اسمعت وسأجد من حبي قوة تعينني على اتقاذه من مخالفكم
ولكن اذا كنت تحبين أخاك حقيقة فاجتهدي أن تهديه سواء السبيل

وعند ذلك دخل خادم من خدم المركيز روجر وهو يلهث من التعب
فناول مس ألن رسالة وقال لها هذه رسالة من سيدى المركيز

فأخذت الرسالة ولم تلبث ان قرأتها حتى شهقت وسقطت مغمياً عليها
بين يدي سينيتيا وأسرعت الهندية اليها فاغتمت سينيتيا هذه الفرصة
ونظرت الى الرسالة فقرأت فيها ما يأتى

« حبيبتي ألن

انى سقطت فى كمين وسأموت بعد ساعة اذا لم تسرعى الى نجاتى
فانى فى قبضة جمعية هرمين السرية »

وعند ذلك فتحت ألن عينيها وقالت هلموا الى انقاذه أنهم سيقتلونه
وصاحت سينيتيا قائلة ولدى ولدى

فقبضت ألن على يدها وقالت لها هلمى . . . اسرعى فان كل دقيقة
نفقدها تقربه من الموت

ثم خرجتا راكضتين الى المركبة فصعدنا اليها وأمرت ألن السائق أن
ينهب الأرض الى سانت حيل



والآن لندخل الى نادى تلك الجمعية السرية قبل وصول المركيز
روجر اليها يبضع دقائق وذلك فى قاعة مستديرة مفروشة بالحرير وفى
وسطها مائدة من البلاط الأبيض عليها نعش مكشوف وبجانبه مطرقة
ومسامير وقد وقف رجل بالقرب من تلك المائدة مقنع الوجه مرتدياً
بملابس حمراء وهو مستند الى حسام مجرد وكان وقوفه فى أناة كبيرة
مملوءة بالنخالة

وأمام هذه المائدة منصة من الخشب كان جالساً عليها اثنا عشر رجلاً
يلبسون فرو السمعور وعلى وجوههم براقع من الحرير الأبيض وهم جالسون
دون حراك كالأصنام

وكان بينهم رجل واقفاً فى الوسط وراء منضدة من البلور وهو يلبس

مثل رفاقه ولكنه كان يمتاز عنهم بعقد من الكهرباء في عنقه
وكان على تلك المنضدة كثير من الأوراق وقضيب قصير من العاج
فقرع المنضدة بالقضيب استرعاء للامعاج وقال
أيها اللوردية انى جمعتم الليلة للاحتفال بدخول عضو جديد بيننا
مشهود ببسالته وآدابه

وقال له أحد الأعضاء لقد علمنا بأمر هذا العضو ولكننا لم نعرف اسمه
قال أنه يدعى المركيز روجر دى اسبرتهون
فقال سواء اذا كان ذلك فلا فائدة من اضاءة الوقت فى امتحان
بسالته فانها مشهورة

فقال الرئيس لا أجد بداً قبل أن نخوض فى الحديث من أن أذكركم
بغايتنا من تأليف هذه الجمعية وهى معاينة كل شريف انكليزى يسىء
وكل جرىء يجسر على انتحال ألقاب الأشراف . إذن فأعلموا أنه
حدثت جريمة عظيمة من هذا القبيل أبسطها لكم بكلمتين وهى أن جريئاً
من طائفة النور تجاسر على انتحال لقب لورد

فظهرت علامة الاشمزاز على الجميع ومضى الرئيس فى حديثه فقال
انى بينما كنت أعد اليوم دعوة اجتماعكم لادخال المركيز اسبرتهون
فى جمعيتنا وردتنى هذه الرسالة التى أتلوها عليكم وهى

« أن نادى هرمين لم يهتم الى الآن إلا بأمور ثانوية مثل كشف
حيلة نبيل يمتال فى سباق الخيل كى يجعل سبق لجواده ومثل منع زواج

الشريف من غنية من عامة الشعب طمعاً بإلها الى غير ذلك من الأمور
التافهة التي لا تذكر بالقياس الى الجريمة التي بسطتها لكم
وانى أسأل جمعيتكم السرية أى عقاب يستحق من يخدع شعباً بأمره
وينتحل لقب سيد عظيم مات وهو فى المهد ويجسر على الجلوس فى
مجلس اللوردية »

فضج الأعضاء لما سمعوه وقال لهم الرئيس انى ألقى عليكم هذا السؤال
الذى سألته صاحب هذه الرسالة فأى عقاب يستحقه هذا الرجل
فوقف أحد الأعضاء وأجاب قائلاً

يجب أن ينزع عن كرسيه وهو فى مجلس اللوردية وان يحجره الكناسون
على الطرقات

وقال آخر وأنا اقترح نفيه الى احدى الجزر
وقال سواه أما أنا فأرتأى غير هذا الرأى
فقال الرئيس ماذا ترتأى

قال أن أول شرط من شروط جمعيتنا أن يكون أعضاؤها من النبلاء
وان يكون جميع الأعضاء متضامنين فاذا دخل ذئب الى قطع يقتلونه
وكذلك اذا دخل ذئب مزوراً بين النبلاء فقد وجب عليهم أنفسهم أن
يقتلوه وعلى ذلك فاذا ثبتت التهمة على المتهم اقترح أن يموت فارتعش
الحاضرون وجعلوا ينظرون الى النعش الموضوع على المائدة والى الجلاذ
فقال الرئيس

أن البرهان موجود إنما يجب قبل الحكم أن نعرض هذه الجريمة على العضو الجديد أى على المركيز روجر فمتى أبدى رأيه فتحت هذا الكتاب الثانى الذى ورد لى اليوم أيضاً فانه يتضمن اسم هذا المزور وهو موجود بين أعضائنا

فصاح الجميع قائلين هذا محال فاننا نعرف أنفسنا

قال لا تعجبوا فقد أنبأونى بوجود براهين

قالوا إذن ليصدر الحكم فى هذه الجلسة وليتأهب الجلاد لاعدام الجانى وعند ذلك طرق الباب ثلاث مرات وذكر الطارق اسمه ففتح الباب وكان هذا الداخل المركيز روجر نفسه فوقف ينظر الى تلك الوجوه

لمقنعة وابتسم حين رأى النعش والجلاد

فسأله الرئيس قائلاً من أنت

قال المركيز دى اسبرتهون وانى قائد فرقة الفرسان

- ماذا تريد

- أريد التشرف بالانتظام فى سلك جمعيتكم

- هل أنت نبيل

- نعم

- ألم تقدم فى حياتك على ما يمس الشرف

- على الاطلاق

- حسناً فأجب الآن على هذا السؤال وهو ما يستحق الرجل الذى

ينتحل لقب سواه ويعبث بأشراف الانكايز

- أن هذا الرجل لا يمكن أن يوجد

- بل هو موجود . وتلا عليه الرسالة فلما أتمها قال له روجر أن هذا

الرجل يستحق الموت

قال هو ذلك فان هذا النعش معد له وهذا الجلاد الذى تراه سيقطع رأسه والآن فاسمعوا الرسالة الثانية كى تعلموا اسم هذا المزور الذى حكمتم عليه

« منذ ثلاثة أيام عرضت امرأة نورية تدعى سينتيا شكواها الى مدير البوليس وادعت أنها بدلت طفلها بطفل ابن لورد انكليزى ذكرت اسمه فأصبح طفلها النورى ابن اللورد وهو اليوم يعد من كبار النبلاء وهنا أوقف الرئيس التلاوة وسأل روجر قائلاً ألا تزال مصراً أنها المركيز أن هذا المزور يستحق الموت

قال كل الاصرار

فعاد الرئيس الى تلاوة الكتاب وقال

أما هذا الطفل الذى أبدل بابن اللورد أى ابن سينتيا النورية فهو يدعى اليوم المركيز روجر دى اسبرتهون »

فصاح روجر قائلاً هذا زور وبهتان

وعند ذلك سمع الأعضاء صيحة أخرى وهى صيحة أم ثم فتح باب ودخلت منه امرأة منبوشة الشعر وقد جعظت عيناها فركضت الى روجر فطوقته بذراعيها وقالت للرئيس

رحماك رحماك اسفوق على ولدى . ارحم شبابه ولا تحكم عليه بالموت
فهو برى ، وأنا المجرمة . أنقتلون ولدى . . . ولدى اميرى الذى لا أحب
غيره فى الوجود . انظروا اليه ما أجمله

أما روحر فانه أبعدها عنه بعنف وخاطبهم قائلاً

أيها اللوردية أن هذه المرأة اذا كانت قالت الحق وأثبتت انى لست

ابن اللورد اسبرتهون أرحوكم أن تنفذوا بى حكم الاعدام فى الحال

ثم مشى الى النعش فركع أمامه وقال لسينيتيا أنت يا من تدعين أنك

أمى هات برهانك ان كنت صادقة وأنت أيها الجلاد تأهب

ولكنه قبل أن يتم حديثه سمع ضحيج فى الخارج ثم طرق الباب

بعنف وسمعوا صوتاً يقول افتحوا باسم الشرع

فأمر الرئيس بفتح الباب فدخل رجل بملابس البوليس كان يتبعه

رجل بالملابس المدنية وإثنان بملابس عمال المستشفيات فانحنى البوليس

مسلماً وقال لهم أسألكم المездеة أيها الأسياد لازعاجكم ولكننى ما أتيت

إلا بمهمة سامية ولا أسألكم عن هذا النعش فما أتيت إلا لاساعد الطبيب

ملتون وهو طبيب مستشفى المجانين فى بلدان فارس مجنونة هربت من

المستشفى وجنونها ينحصر فى كونها تدعى أنها أم فخامة اللورد اسبرتهون

فكان لهذا الكلام أصد وقع على الحاضرين ونظرت سينيتيا الى

ما حوالها وقد كاد يذهب صوابها ولكنها فهمت كل ما جرى فدنا الطبيب

من الرئيس وقال له

انى كنت طبيب اللورد اسبرتهون الخاص حين كان حاكم الهند
وقد شهدت ولادة ابنه ورأيتة يتزعزع حتى بلغ مبالغ الشباب فلما جاءونى
بهذه المنكودة ومسمتها تدعى أنها أم المركيز أيقنت من فورى أنها مجنونة
وأدخلتها الى المستشفى

ثم التفت الى أحد العاملين وقال احملها يا نبلى
فدنا العامل منها وعرفت سينيتيا أنه شمشون فتكلفت الجنون اثباتاً
لقول الطبيب وجعلت تضحك حين حملها شمشون وتقول
يا لورد اسبرتهون خير لك أن تعود من عالم الأموات كى تقنع هؤلاء
المجانين أن روحر ولدنا

فلم يبق سبيل للريب بانها مجنونة فلما انصرفوا بها اعتذر الرئيس الى
المركيز وقال

لقد ثبتت لنا شجاعتك أيها المركيز واننا نعترف بانك جدير أن
تكون منا فقد رضيناك عضواً عاملاً فى جمعيتنا

وعند ذلك أشار الرئيس اشارة فأريلت البراقع عن الوجوه ودهش
روجر دهشاً عظيماً إذ رأى أن جميع هؤلاء الأعضاء أصحابه فى نادى
الحسان فقال يخال لى انى حالم

فقال الرئيس لقد كان حلمك يكون كابوساً لو لم يحضر الطبيب ملتون
والآن فانى اقترح كتمان هذه الحادثة وموعد الجلسة القادمة بعد
ثلاثة أيام

القسم الثامن غرام الاخوين

عادت ألن بعد خيبتها الى المنزل وهي نائمة على أولئك الأشراف
الذين صدقوا رواية بولتون وأيقنت أن مساعيها لم تحب إلا بمكايد النور
ومع ذلك فإن جان لم يكن معهم فإنه قتل لا شك في البئر
وقد خطر لها أن تنفقه فأخذت مصباحاً فعلقته بمجل طويل ونزلت
الى الحديقة فدخلت الى المغارة وفتحت باب البئر وأدلت المصباح فرأت
جثة خامة في الأرض والجرذان من حولها فتراجعت منذرة لهذا المشهد
الفظيع إذ عرفت وشاح جان وأيقنت أنه مات
ثم عادت الى المنزل وهي تقول في نفسها لقد هلك عدوى الآن ولم يبق
لى إلا أن أختار بين روجر وليونيل وأجعله مركيزاً فان ذلك منوط
بالمحادثة التي ستجرى بينى وبين السير روبرت

وبعد هنيهة دخل السير روبرت وهو مصفر الوجه مضطرب

فقال له ما هذا الاضطراب

قال أظن أن النور قد عبثوا بنا

- كيف ذلك

- انى عائد من نادى الحسان وكنت فيه لالتقط أخبار الجمعية

السرية كما أوصيتنى إذ قلت لى أن النورية ستقول أمام أعضاء تلك

الجمعية أن المركيز روجر ولدها وكنت أتوقع أن الأعضاء يتهامسون حين عودة المركيز ولكن الأمر كان على الضد فقد عاد الأعضاء يصحبهم المركيز وصادقهم أمتن مما كانت من قبل

- اصغ الى يا عماء فسأخبرك بكل ما حدث

ثم أخبرته بكل ما جرى فقال لها إذن أن هذه المرأة مجنونة

- كلا ولكن هؤلاء النور كانوا أشد منا

- بل انى سأفوز عليهم ولو اضطرت الى أن أقول فى البرلمان أن

المركيز روجر مزور

- كيف السبيل الى اقناع البرلمان

- بالعلامة الموشوم بها

- لقد ذهب أثرها تماماً ولم يبق من البراهين الدالة على أصله غير

أمه التى أذاع الطبيب بولتون أنها مجنونة وهو قد أبعدنا الآن لا محالة

فضرب الأرض برجله مغضباً وقال ولكن لا بد من جلاء الحقيقة

قالت هذا صعب كما يظهر ولا بد لنا من التسليم وتصديق ما صدقه

سوانا

- كلا أن ذلك لا يكون

- انى أتزوج ليونيل ويبقى فى عيون الناس ابن ضابط فقير

- كلا كلا وسأقتل ابن النورية

فمنظرت اليه نظرة منكرة وقالت أملك نسيت انى أحبه

- إذن ماذا تريد أن تصنعى
 - اصغ الى جيداً يا عماء أثبت لك انى قادرة على مقاومة هذه الطائفة
 - هو ذاك ولكن حرباً كحربنا لا تنتهى بمعركة واحدة
 - أهلك تريد العود الى المعترك
 - دون شك فقد استعملت العنف والعنف ليس سلاح النساء ولذلك
- وضعت خطة أخرى

- ماهى

- ألم تقل لى أنك سافرت مرة الى الصين
 - نعم ولكن أية علاقة للصين بما نحن فيه
 - ألم تر الصينيين يبيعون بضائعهم للأوربيين فانهم يسيطون
 - بضائعهم فاذا أراد الأوربى شراء حاجة عد الصينى الثمن على أصابعه فاذا
 - أراد الأوربى المساومة أرحع الصينى بضاعته فلو أمره الأمبراطور أن يبيع
 - ذلك الذى ساومه لأبى وأنا مثل ذلك الصينى
- ماذا تعنين

أعنى انى أستطيع حمل المركيز عن التنازل عن لقبه و ثروته لليونيل
فلا تسألنى لماذا

- وماذا تريد منى مقابل ذلك
- أريد أن تسافر غداً للصيد فى حبال ايكوسيا
- انى أوافق على هذا السفر وأطلق لك الحرية فماذا تصنعين

فى غيابى

- أجعل ليونيل لوردًا

- إذن سأسافر غدًا

فعرضت له جبينها كى يقبأها حسب عادته ولكنه لم يفعل واكتفى بمصافحة يدها فلما ذهب الى غرفته نزع القفاز من يده التى صافحها بها والقاء فى النار ثم تنهد تنهداً طويلاً وقال
أنها فتاة مسترجلة متهتكة ولكنها ستجعل ليونيل لوردًا



ولنعد الآن الى الطبيب بولتون فليست هى الصدفة التى أوقفته على سر ألن وجعلته يضربها هذه الضربة القاضية

ولا بد لنا فى كشف هذا السر من أن نعود الى الليلة التى القت فيها ألن جان دى فرانس فى البئر فقد كانت واهمة فى اعتقادها أنه مات فانه لم يقتل حين سقوطه بل أصيب برضوض بسيطة لوقوعه على أرض رطبة وحرحت جبهته جرحاً خفيفاً

وقد نهض بعد سقوطه وامتنح أعضاءه بالتمرين فوجد أنها غير مصابة بكسر ولكنه قال فى نفسه لا شك أن هذه الشيطانة قد انتصرت على هذه المرة

وقد أقام نحو ربع ساعة دون حراك ثم جعل يفحص الأرض فعلم أنه فى جوف بئر فاستعان بعلمة الكبريت الشمعى وأثار ذلك المكان المظلم فرأى البئر مستديرة وان جدرانها ملساء وهى بعيدة الغور بحيث يستحيل

عليه الخروج منها بتسلق الجدران فقال في نفسه ترى أقضى على أن
أموت من الجوع

ثم جعل يفكر في أمره فقال في نفسه بعد الامعان لا شك أن هذه
البئر غير مخصصة لجمع المياه فانها محفورة في وسط مغارة ولها باب يفتح
بلول خفي وليس هذا شأن الأبار العادية فلا بد أن تكون حفرت
خصيصاً للالتجاء اليها في أيام المخاوف والثورات أى أنه لا بد أن يكون
فيها منفذ يخرجون منه الى خارج هذا القصر

وكانت أرض البئر ضيقة لا تتجاوز مترين وقد أصبح ترابها وحولاً
لشدة الرطوبة فأخذ يرفع تلك الوحول بمخنجره ويديه حتى انكشف له
بلاط الأرض فرأى حلقة من الحديد في وسط رخامة فرقص قلبه فرحاً
ونزع تلك البلاط فانكشفت له حفرة أخرى رأى على نور الشمعة أن
علوها لا يزيد عن مترين فألقى نفسه فيها وراء مدخل دهليز ضيق
لا يستطيع المسير فيه واقفاً فسار فيه نحو عشر دقائق فسمع صوت
عجلات مركبة فوق رأسه فأيقن أنه باب خارج القصر وانه تحت أحد
الشوارع

وما زال يسير في هذا الدهليز وهو كل ما توغل في السير شعر بهواء
بارد يهب على وجهه حتى بلغ سطح الأرض من منفذ كان مخفياً بين
أدغال كثيفة رآها على نور القمر

ولكنه لم يكذب يزمج هذه الأدغال حتى رأى مكاناً فسيحاً كثرت فيه

الأشجار والصليبان السود فعلم أنه في مقبرة وطاف فيها. فوجد أنها مسورة بسور عال لا يمكن تسلقه ونظر في مكان القمر من الأفق فعلم أن الساعة قد بلغت الثالثة بعد انتصاف الليل وقال في نفسه سأختبئ وراء هذه القبور الى أن يفتح الحفار باب المقبرة في الصباح فأخرج منه

وقد اختبأ وراء شجرة كبيرة وهو يبتسم ابتسام الظافر ويتوعد أن بالانتقام الفظيع

وفيما هو في مكانه رأى أن باب المقبرة قد فتح ثم رأى على نور القمر رجلين مقنعين دخلا الى التربة ودنوا من موقفه وهما يتحدثان فسمع أحدهما يقول لرفيقه لقد عزمت على قبول المركيز دى اسبرتهون بينكم قال نعم وهل يوجد في نادى هرمين من يفضله وغداً سيقابله رسولنا وبعد غد نحتفل بادخاله في الجمعية

وقد سمع جان هذا الحديث ثم رآهما وقفا عند ذلك القبر الذي دخل منه المركيز الى الجمعية كما تقدم بيانه ففتحاه ودخلا

أما جان فقد عرفهما من صوتهما وأيقن أنهما من أعضاء تلك الجمعية السرية التي لم يستطع الاندماج فيها لأنه لم يكن من أشرف الانكليز ثم أيقن أن حارس المقبرة متفق مع أعضاء الجمعية بدليل أنهم يدخلون اليها في ظلام الليل متى شاءوا

وقد مشى الى الباب وكان الخادم يهيم باقفاله فأشار اليه جان أن لا يقفله وانحج الحارس أمامه إذ حسبه من الأعضاء

أما جان فانه نظر الى وجهه الأسمر ثم وضع يده على كتفه وقال له
أرني كتفك الأيسر فانك من النور

فاضطرب الرجل وقال له رحماك يا مولاي لا تفضحنى فان كاهن
هذه الكنيسة اذا علم انى من النور طردنى
قال ماذا تدعى

قال ادعى فى لندرا باستر

- وفى المضارب

- رهامر

فتزع جان القناع عن وجهه وقال له أنظر الى أعترفى
فركم امامه وقال له كيف لا أعرف ملكنا

- إذن لقد وجبت عليك طاعتي فاذهب بى الى مكان يمكن أن
نتحدث به دون أن نسمعنا أحد

ثم دله على القبر الذى دخل منه الرجلان فارتعش النورى وقال له
أملك عارف يا مولاي

قال نعم لقد رأيت رجلين دخلا اليه فمضى يخرجان منه

- انهما لا يخرجان من هنا بل من طريق آخر

- إذن نحن وحدنا الآن

- نعم إذ لا يدخل أحد الى التربة قبل الساعة الثامنة من الصباح
والآن فاني مضطر الى حفر قبر

- لمن

- لرجل من العمال توفى فى المساء وسندفنه فى الصبح

- أريد جثته

فنظر اليه النورى بلى الانذهال وقال له جان هل تستطيع أن تخبأتى الى المساء

قال نعم فى هذه الغرفة التى نضع فيها الآلات

فقال جان فى نفسه انى سأرسل هذا الحفار الى شمشون عند الصبح

كى يطمئن على

ثم تبع الحفار الى تلك الغرفة فتداول وياه مدة طويلة وأطلق سراحه وأقام فى تلك الغرفة ينتظر الليلة التالية بجازع الصبر

وفى الليلة التالية جاءه الحفار فقال له ان الجثة حاضرة يا سيدى فماذا

تريد أن تصنع بها

قال انى أريد أن أدفنها فى المكان الذى أعد لدفى فاحملها واتبعنى

فحملها وعاد جان بها الى تلك البئر التى القته فيها ألن فوضعه فيها

وألقي وشاحه فوقها

وبعد ذلك بساعة كان جان عند الطبيب بلتون فقال له الطبيب

من أين أتيت

قال من عالم الأرواح وقد بعثت بعد الموت امامك وامام شمشون

ولكننى ميت امام جميع الناس

- ماذا تعنى

- اعنى انه يجب أن يعلم الجميع منذ اليوم انى ميت وهذه هى

الطريقة الوحيدة لانتقاذ روجر من براثن تلك النمرة التى يدعونها ألن
وقد قص عليه كل ما جرى وأقام عنده فوضعا تلك الخطة التى
نجحت كل النجاح وقضت على آمال ألن

وعلى ذلك فان انتقاذ سنيتيا فى الجمعية السرية وانتقاذ روجر اما كان
بفضل جان الذى كانت تحسبه ألن من الأموات



على أن الاخطار المحدقة بالمركيز روجر لم تقف عند هذا الحد فانه
اذا كان نجا من ألن فلا يزال له عدو أشد خطراً منها وهذا العدو انما
هو ابن عمه السير جيمس الذى كان يتوهم انه قتل فى أميركا حين ألقى
نفسه من شرفة الحصن الى البحر

ويذكر القراء ذلك الرجل الذى جاء الى داي ناتا الهندية واشترى
منها حبة من سبيحة اذا أذيت بكأس من الخمر كانت سماً زعافياً
أما هذا الرجل فانه كان السير جيمس فانه لم يكن يعلم أن ليونيل هو
ابن اللورد اسبرتهون الشرعى لاعتقاده انه مات وهو فى المهدي فلم يكن
له هم غير قتل المركيز روجر لأنه ورثه الوحيد فلما فرغت جعبة مكايده
عزم على قتله بالسم

وقد عاد الى لندرا متكرراً فيها باسم رجل من عظماء الاسبان وعلم أن

المركيز مشترك في نادى الحسان فدخل فيه وبات واحداً من أعضائه
وانما فعل ذلك كى يتمكن من دس السم للمركيز بحيلة سوف تظهر
وأما ألن فقد اعتقدت أن الجو خلا لها بعد موت جان وبعد سفر
السير روبرت فأخذت تمنع في أمرها وتقول في نفسها

ان هؤلاء النور قد ورثوا الحقد عن زعيمهم جان فاذا تزوجت
روجر لا آمن شرهم وخيرلى أن أغتصم فرصة غياب السير روبرت فاتزوج
ليونيل ثم أرى رأيى فى فضيحة روجر

وقد قمت من فورها فكتبت الى ليونيل رسالة موجزة قالت له
فيها انها تريد أن تراه لشأن خطير فأسرع الى موافقتها وقابلها بملء
البرود فجزعت لما رآته وقالت له لماذا تنظر الى هذه النظرات يا ليونيل
فأجابها بلهجة الساخر قائلاً

أخاف أن تكونى مع الذى تؤثرينه علىّ وأن اكون نغصت عليك
هذا اللقاء

- ليونيل . . ما هذا الذى أسمعه منك ألم تعد تحببى

- لماذا أحبك وأنت لا تحبيننى

- انك تكذب يا ليونيل فقد انتظرتك فى الحديقة فلم تحضر

وفى اليوم التالى علمت انك جرحت فى مبارزة

- نعم انى بارزت الرجل الذى تحبينه والذى دخل الى الحديقة
مكانى أى المركيز روجر

- أهلك جنت أن المركيز لم يأت الى هنا

- لا أثق بشيء مما تقولين

فوقفت وقد تكلفت الغضب وبرقت عيناها فقالت له أخرج من
هنا فانك تهيننى

وقد قالت له ذلك بلهجة الأمر فطاش صواب ليونيل وخرج خروج
القائطين وهو يقول

انى سأقتل المركيز وروحر



كان المركيز دائم الاضطراب بعد تلك المحادثة التى جرت له فى تلك
الجمعية السرية فكانت سنيتيا تتمثل له بكل مخيل ويسمع صوتها تقول
انه ولدى بلهجة لا تخرج إلا من أفواه الأمهات

وكان الطبيب بلتون كتب اليه فى اليوم التالى يخبره انه سافر الى
ارلندا لشأن عائلى مستعجل فخامر المركيز شك وأراد أن يستجلى
الحقيقة فركب مركبته وذهب الى مستشفى المجانين فى بلدام وهو يقول
فى نفسه انى أريد أن أرى هذه المرأة التى تدعى انها أمى

وهناك قابل المدير وقال له هل أستطيع مقابلة الطبيب بلتون أحد
أطباء المستشفى

قال انه ليس من أطبائه يا سيدى وليس له به أدنى اتصال
فذهل المركيز وقال له ألا يوجد عندكم امرأة مجنونة تدعى سنيتيا

قال لا اعلم إذ يوجد عندنا تسعة امرأة وسأراجع السجل . كم يبلغ عمرها

- نحو الأربعين

- ما هو نوع جنونها

- انها تتوهم كونها أمى

- هذا محال يا مولاي فلو دخلت الى المستشفى امرأة تدعى هذه

الدعوى على فخامتكم لعلمت بامرها فى الحال ومع ذلك فسأرى
وقد أخذ ينظر فى سجل ضخيم بينما كان المراكزيز يناجى نفسه فيقول ترى
ألعل هذه المرأة قالت الحق

وعند ذلك خطرت له بسرعة التصور كل حوادث حياته فذكر
الوشم الذى كان على كتفه واهتمام بلتون بأزالته ومخاطرة الناباب عثمان
بحياته فى سبيل حمايته واحتجاب بلتون بعد تلك الحادثة ونظرات تلك
المرأة الحنونة التى كانت تدعى انها أمه وصياحها تلك الصيحة المنكرة
حين سمعت الأعضاء يحكمون عليه بالموت فزاد به الشك ولا سيما بعد
أن أخبره المدير ان هذه المرأة لم تدخل الى المستشفى وعاد الى منزله
وهو فى أشد حالات اليأس وقد خجل من نفسه حتى انه لم يعد يجسر
على الذهاب الى الادى وكتب الى نائبه فى قيادة الفرقة أن يتولى عنه
شؤونها ويبحث ببحثاً دقيقاً عن عثمان فلم يجد

فبينما هو جالس فى غرفته فى تلك الليلة دخل اليه خادم ينبئه بقدم
ليونيل فقال له ليدخل

فدخل وعرف المركيز من اصفرار وجهه وتوهج عينيه انه قادم اليه
بزي عدو لا بزي صديق

أما ليونيل فانه انحنى امامه وقال له انى قادم لآلتبس من فخامتكم
اقالتى من الخدمة فى الفرقة

قال لماذا تريد الاستقالة

- لآنى أريد مبارزة قائد أرقى منى فى الفرقة ولا يحق لى مراقبته
مازلت خاضعاً لأمره

فقطب المركيز حاجبيه وقال اذا كان ذلك فقد رضيت استقالتك
والآن قل لى من هو هذا الذى تريد مبارزته

- هو أنت أيها المركيز

- أنا

- نعم أنت فانى أريد أن أأخذ بثأرى

- تأخذ بثأرك

- نعم ورجائى من فخامتك أن لا تنقنع بذلك القناع الذى أخفيت

فيه وجهك حين بارزتنى منذ عشرة أيام وتركتنى شبه ميت على بلاط لندرا

فجعل المركيز ينظر اليه بعين الاندهال ويقول اقسم بشرفى انك

فقدت صوابك

قال كلا أيها المركيز فما أنا بمجنون

- أتعنى انى بارزتك ثم تقول انك من العاقلين

— انى لا أعلم بأنك تذكر لتصون سمعة التى بارزتنى من أجلها والآن أرجوك أن تعين موعد مبارزتنا وان ترد لى ذلك المفتاح الذى سلبته منى كما يسلب لصوص الليل

فمد المركيز يده ليقرع الجرس وهو لم يبق شك ان هذا الفتى مجنون فقبض ليونيل على يده وقال كلا انك لن تقرع الجرس وسترد لى ذلك المفتاح الذى أعطتنى اياه مس ألن

وقد وقعت هذه الكلمة من فؤاد المركيز وقع شرارة فى برميل بارود فدفع ليونيل بعنف وقال له

انك مجنون ونذل لأنك تحاول تدنيس سيدة جديرة بالاحترام كانت تحبى وتشفق عليك "

ثم امشقى حسامه واقندى به ليونيل ولكنهما قبل أن يتقارعا فتح باب الغرفة ودخلت منه امرأة فحالت بينهما وهى تقول كلا انكما لن تنفقتا وكانت هذه المرأة اللادى سيسلى فصاح ليونيل قاتلا أُمى وانحنى المركيز امام هذه المرأة التى لم يكن يعرفها وقال لها شهد الله يا سيدتى انى تجاوزت مع ولدك حد الصبر ولكنه أهاننى كما يهينون المتشردين . قالت ألا يوجد فى القاعة الكبرى فى هذا القصر صورة اللادى سيسلى زوجة اللورد اسبرتهون الميتة منذ اثنى عشر عاماً

قال نعم

قالت إذن انظر الى

فخدق المركيز بها وقال ان الشبه عظيم
فأخذت بيده وذهبت به الى تلك القاعة ووقفت بجانب الصورة
وقالت انظر الىّ والى هذه الصورة
قال ماذا أرى أملك أمى

قالت لا أعلم اذا كنت أمك ولكنى أعلم انى أدعى اللادى اسبرتهون
زوجة أليك وان هذا الذى تقاتله انما هو ولدى الثانى أى ابن أليك
اللورد اسبرتهون

وكان روجر امام التى توهم انها أمه فلما علم أن ليونيل أخوه نهض
فمشى اليه وضمه الى صدره وهو يقول اغفر لى يا أخى
ثم عاد الى اللادى وأخذ يقبل يديها فسالت دمعتان من عينيها على
جبينه وقالت بصوت يتهدج

لا شك ان السير روبرت خدعنى فانه ولدى
ثم قبلت جبينه قبلة حادة أخص ما يقال فى وصفها انها قبلة أم



وفى اليوم التالى ذهب المركيز الى النادى وهو فرح القلب باسم
الشغرف تسابق الأعضاء للسلام عليه فاتهم لم يروه منذ أسبوع وقال له
واحد منهم انك لو أتيت أمس لرأيت عجباً
قال لماذا

قال لأنك كنت رأيت رجلاً عجيباً فى أطواره فان إحدى عجائبه

ان له خمسة عشر أسماً تبدئي بالدون رودرو بيدرو داتس الخ وهو من
عطاء الاسبان يلبس في أصبع من أصابعه خاتمين من الماس وغيره من
الحجارة الكريمة ولاشك ان له مناجم ذهب فقد خسر أمس الفين
وخمسمائة جنيه وهو يضحك كأنه من الراجحين أو كأنه الناباب عثمان

فارتعش المركيز لذكر عثمان وقال لهم هل لكم أيها السادة أن
تخبروني عما تعلمونه عن الناباب عثمان

فقال أحدهم يقال انه يتنزه في أراضيه في ايكوسيا وقال آخر ان
هذا الرجل عجيب أيضاً في أطواره فانه بينما نراه هنا وهو مرتد بملابس
الأعيان نراه يتجول في أقبح أزقة لندرا وهو بملابس البحارة
فأجابه أحدهما قائلًا ألعلمها حكاية تقصها

قال بل حقيقة رأيتهما فقد رأيته في الليل داخلًا الى وبنغ وهو يحدث
رجلا من عامة الشعب ويحدثه الرجل دون كلفة كأنهما صديقان
فارتعش المركيز لذكر النورى وأراد أن يغير الحديث فقال لقد كنتم
تتحدثون عن هذا الاسباني فمن أين أتى

فقال واحد منهم انه قادم من أميركا وهو يقول انه لقي ابن عمك
السير جيمس فيها

- متى

- منذ ثلاثة أشهر

- هذا محال أيها السادة فان ابن عمى سقط من أعلى الحصن منذ ستة أشهر

- هذا الذى قلناه له ولكنه أثبت مدعاه وفوق ذلك فهذا هو قد حضر وستقف منه على الحقيقة

وبعد هنية دخل الاسبانى فعرفوه بالمركيز فقال انى عرفت رجلا من أسرة اسبرتهون كان أسيراً لدى الجنرال جاكسون زعيم الثائرين فى أميركا وهو يدعى السير جيمس فقال له المركيز متى كان ذلك قال منذ ثلاثة أشهر تقريباً

قال إذن لقد عرفت رجلاً انتحل هذا الاسم فان السير جيمس قد مات

فابتسم الاسبانى وقال تريد انهم حسبوه ميتاً قال ان من يسقط من علو خمسين متراً ويصاب برصاصتين لا يعود الى التنزه فى أرضنا

قال هو ما تقول ولكن السير جيمس أصيب بجراح وقد التقطه الاميركيون وحملوه على قارب الى معسكر العصاة فشفى وبات أسيرهم ودليل صدقى انه عهد الى بهممة لدى فخامتكم

- أهى خطية أم شفاهية

- شفاهية وانى ما دخلت الى هذا النادى إلا على رجاء فيه فقد

عهد الى السير جيمس ان أخبرك بشأن خطير
قال اذا لم يكن ذلك مما يقال أمام الحاضرين فعين موعد لاجتماعنا
قال اذا شئت فاقترح علىّ عند انتصاف الليل أن نلعب بالشطرنج
فاننا نحتلى في غرفة ونتمحدث

قال هو ذاك وسنجتمع في الساعة الأولى بعد انتصاف الليل فاني
مضطّر الى الذهاب الآن في بعض الشؤون
وقد أقام المركيز ساعة بينهم ثم خرج من النادي فركب مركبته على
أن يعود بعد ساعة



عند ما دخلت اللادى سيسلى الى الغرفة التى كان المركيز وليونيل
يتبارزان فيها لم يكن قدوما من قبيل الصدفة والاتفاق بل كان من تدبير
مس ألن فانها حين رأت ليونيل خرج من عندها وهو يتوعد المركيز
قالت في نفسها

أنه ذاهب الآن لمقابلة المركيز وقد دنت النتيجة التى انتظرها فلاحق
باخبار أمه

وكان منزل اللادى بجوار منزلها فخرجت مسرعة من الحديقة وسارت
اركضى ياسيدتى الى قصر اسبرتهون ولا تتأخرى لحظة فان
ولديك يقتتلان

وقد عرف القراء ما جرى فان اللادى سيسلى وصلت قبل فوات

الأوان ومنعت حدوث المبارزة وكان ما تقدم لنا يبانه من أنها باتت تعتقد أن المركيز ولدها حقيقة فإن السير روبرت كان قد قال لها قولاً مبهماً مفاده أن المركيز روجر ابن غير شرعي للورد اسبرتهون ولكنه لم يقل هذا القول بصفة جازمة فلما رأت ما كان من مروءة المركيز حين قابلها وحين رأى صورتها وقال لها أنك أمي لم تتمالك عن أن تصيح قائلة نعم أنك ولدي

وعند ذلك نسى المركيز ما جرى له في الجمعية السرية وما كان من صياح سنيتيا حتى أنه نسى تلك الحماية الحفية التي كان يتولاه بها الناباب عثمان وعاد الى الاعتقاد بانه ابن اللورد اسبرتهون الحقيقي الشرعي وقد أقام ساعة بين أمه وأخيه لم يجد أهنأ منها في حياته فكان يسأل أمه أسئلة مختلفة وهو يعجب كيف أنها أذاعت خبر موتها بحيث اضطرت الى أن تخبره بكل التفاصيل عن حياتها المحزنة وما كانت تلقاه من ظنون زوجها وعنفه وكيف أن أخاه السير جاك وشى بها وشايات سافلة حتى بات يعتقد أن ليونيل ليس ولده بحيث اضطرت أن توهمه أيضاً أن ولده ليونيل قد مات كي تنقذه من غضبه

فقال لها المركيز ولكن أبي قد مات فلماذا لم تأت الى بعد موته فتقولى لى أنا هى أمك وهذا هو أخوك

قالت ذلك لأنى كنت أخاف هذه الشرائع الانكليزية الظالمة التى تخص كل شىء بالابن الكبير وتحرم بقية الأولاد فأثرت أن يبق ليونيل

كما هو على أن يظهر وأثير عوامل التحاسد بينكما
قال أن هذه الشرائع التي تخافينها لا تسرى إلا على الأشراف الذين
يريدون أن يلجأوا اليها أما أنا فلا فرق عندي بين الأولاد ولا أميز بين
البكر عنهم في شئ

ثم مد يده الى ليونيل وقال له اننا سنقتسم أرث أهلك يا أخى بالسواء
وسألتهم من الملك فى أول مقابلة أن يأذن لنا بالاشتراك
فضمت اللادى روحا الى صدرها وقالت أنك شريف كريم يا بنى
وقد اتفقوا على أن يكتبوا هذا الأمر الى أن يعقد مجلس اللوردات
أول جلسة

ثم أوصلها المركز الى منزلها وقبل أن يفارقهما همس فى أذن
ليونيل قائلاً

انى تخليت لك عن مس ألن فأنت الذى تزوجها وقد تركه وانصرف
مسرعاً الى منزله فبكى بكاءً ألماً لهذه التضحية التى ضحّاها

وفى اليوم التالى كتب الى مس ألن يقول
« انى مضطر الى مقابلتك اليوم لشأن تتعلق عليه راحتى فى حياتى »
فأجابته مس ألن قائلة

« فى الساعة العاشرة من هذه الليلة فى منزلى الصيفى »
وبعد أن تلقى هذا الجواب ذهب الى النادى وجرت تلك المحادثة
التى بسطناها بينه وبين السير جيمس المتنكر بشكل اسبانى ثم برح النادى

فى الساعة التاسعة على أن يعود اليه فى الساعة الأولى بعد انتصاف الليل
كى يجتمع بالاسبانى

وقد خرج فى مركبته فذكر ما سمعه فى النادى بشأن الباب عثمان
فعاوده الشك وجعل يحدث نفسه فيقول

ترى لماذا هذا الرجل يحمينى وما هذه العلائق السرية التى له مع النور
وقد عاد الى التفكير بالطبيب بولتون وبذلك الوشم الذى محاه عن
كتفه وبسنييتيا وعلى الجملة فقد عاوده الشك القديم ولكنه لم ينجل هذه
المرّة بل قال فى نفسه

اذا ثبت لى انى ابن النورية فانى أسافر سافراً لا أرجع منه واجعل
ليونيل ورثى

وما زالت المركبة تسير به حتى وقفت عند باب منزل ألن الصبغى
فدخل وهو خافق القلب فانه سيضحى أعظم تضحية يضحيها قلب انسان
ولما دخل اليها ضبط نفسه وقال لها

أسألك المَعذرة يا سيدتي فقد مضى عشرة أيام دون أن أخبرك بشيء
من أمرى

فأطرقت رأسها الى الأرض وقالت وأسفاه لقد فهمت أيها المركيز
فارتعش وقال ماذا فهمت

فأجابته بصوت منخفض متقطع قائلة
لقد فهمت أنك لا تحبني

قال انك مخطئة فالى أحبك اليوم كما كنت أحبك من قبل . واذا
كنت اليوم أضحى هذه التضحية العظمى فلأن رحلا أخلق منى بحبك
وهنا توقف إذ رأى ان ألن تكاد أن تسقط عن كرسيها ثم تجلد
وقال لها

أن ليونيل يحبك

قالت انى أعلم

- وانه يحبك حباً لا يوصف

- ولكنى أحبك

- وان لونيل أخى

فتكلفت الانذهال العظيم كأنها لم تكن عارفة بشيء من هذا وقالت
له ليونيل أخوك

قال نعم انه ابن اللورد اسبرتهمون الأصغر وهو فتى جميل وسيكون
غنياً لأنى سأقاسمه ثروتي فلا بد أن تكونى امرأته وسيعقد قرانكما بعد
ثلاثة أيام فى كنيسة قصرنا

فصاحت ألن صيحة قنوط وألقت نفسها بين زراعى المريكيز كأنها
أغنى عليها

وعند ذلك فتح الباب ودخلت خادماتها فقال لها المريكيز بصوت يتهدج
احملها الى غرقها وعالجها حتى تستفيق فان قواى قد تلاشت
ولا أستطيع الوقوف امامها

وخرج وهو يشهق بالبكاء ويقول
رباه لقد تمت التضحية فهبني من لدنك قوة تعينني على التجلد فان
الانتحار حرام

حتى اذا سارت به المركبة استفاقت ألن من اغماؤها فأطلقت سراح
الخادمة ثم جعلت تبسم وتقول
أظن الآن ان المهمة قضى معظمها فان السير روبرت حين يعود
يجدني زوجة ليونيل

أما اللادى سيسل فستكون معي لا على لأنها تعتقد الآن ان روجر
ولدها وهي لا ترى رأى ولدها من أن النورية لا يجب أن تكون امرأة
لورد فلا تعترض في زواج تتوقف عليه حياة ولدها

ومتى تم عقد الزواج يسهل على اقناع روجر انه ابن سنيتيا وهو من
أهل المروءة والكبرياء فلا يرضى بعد ذلك أن يتمتع ساعة للغيب وثروته
هما لسواء ويتنازل عن حقه لليونيل فأصبح المركيزة دى اسبرتهون
وفيا هي تناجى نفسها بهذه المطامع أنصت مصغية إذ خيل لها أنها
تسمع وقع خطوات ففتحت النافذة بسرعة وأطلت منها ولكن الظلام
كان حالكا فلم تر أحداً فقالت في نفسها

لا شك ان الذى سمعته كان جفيف الشجر أو صوت مسير قارب
في النهر

وبعد فما هذا الجنون ومما أخاف اذا كان جان دى فرانس قدمات

القسم التاسع الاعتراف

عاد المركيز روجر الى نادى الحسان فوجد الاسبانى ينتظره فاتفقا على اللعب بالشطرنج وتراهن أعضاء النادى واقترح الاسبانى أن لا يحضر لعهما أحد ثم دخل مع المركيز الى غرفة فأقفلا بابها وجلسا بجوار نافذة مقفلة تطل على مشرف يشبه الرواق

وقد وضع الشطرنج بينهما على مائدة وقال له الاسبانى
لقد تعودت ان أشرب كأساً من الخمر خلال اللعب فهل توافقتنى
على ذلك

قال دون شك وملأ كأسين من زجاجة امامهما فشرب كل منهما
نصف كأسه وبدأ اللعب

وكان الاسبانى متخماً بخاتم من الياقوت بخنصر يده اليمنى
فيما هو ينقل رقاع الشطرنج سقط خاتمه الى الجهة التى كان فيها
المركيز فانحنى المركيز ليلتقطه واغتم الاسبانى هذه الفرصة فألقى في
كأس خصمه حبة سوداء لم تلبث ان امتزجت بالخمر حتى ذابت فيها
ثم أخذ الخاتم شاكراً فقال له المركيز أعلم لماذا رضىت ان ألعبك
بالشطرنج

قال دون شك فاننا سنتحدث بشأن السير جيمس ابن عمك فاعلم
ان الاميركيين اتقذوه

قال لقد اخبرتنى بذلك

- واني لقيته حين كنت بمعسكر الجنرال جاكسون فتعرفت به وعهد
الىّ بمهمة لديك

- ما هي هذه المهمة

- انه يريد أن يعود الى انكلترا

- انها جرأة نادرة من هذا الأفعى

- ولكنه نادم أشد الندامة لاساءته اليك

- وانا آسف لأنى لم أقتله كما يقتلون الذئاب

فهم ان يحبيه وعند ذلك فتحت النافذة فجأة وهب هواء شديد

أطفأ المصباح فقام الاسباني لينير المصباح من المستوقد ونهض المركيز

يحاول اقفال النافذة فلم ينتبه أحد منهما الى يد مدت من تلك النافذة

فأبدلت موضعى الكأسين بحيث وضعت كأس المركيز امام الاسباني

وكأس الاسباني امام المركيز

ثم أضىء المصباح وأقفلت النافذة وعادا الى الحديث فقال المركيز

لقد قلت لى ان السير جيمس ندم على ذنوبه وانه يريد العودة

الى وطنه

قال نعم واني اكفل صدق توبته وندمه

قل لا أشير عليك أن تكفل شيئاً فإنه اذا عاد الى لندرا حاكمته
فحكم عليه بالاعدام وانى أشرب الآن نخب هذه الساعة

ثم أخذ كأسه وشرب ما فيه جرعة واحدة واقتدى به الاسبانى
فشرب كل كأسه جرعة واحدة وعادا الى اللعب

وكان الاسبانى ماهراً فى الشطرنج فغلب المركيز وقام المركيز ففتح
باب الغرفة وقال للذين راهنوا معه يسونى أن أخبركم بأنكم خسرتم معى
فدفع الخاسرون وقبض الراجحون وأعجب الحاضرون بمهارة الاسبانى
وعند ذلك دخل عضو جديد الى النادى فقال واحد من الحضور
هو ذا الناباب عثمان عاد الينا بعد الهجر الطويل فحياهم عثمان وقال لهم
لقد علمت انه جرت مراهنه عظيمة فى الشطرنج

فأشاروا الى الاسبانى وقالوا نعم هذا هو الراجح
فقال عثمان أحق ما تقولون أهو الدون بيدرو فقال له الاسبانى
أتعرف اسمى

قال لا يوجد فى لندرا من لا يعرفك فهل تريد أن تشرفنى بملاعبتى
بالشطرنج

وكان الاسبانى يود الانصراف وهو ينظر من حين الى حين نظره
الفاحص الى المركيز فأجاب عثمان قائلاً لقد فات الأوان يا سيلى فاننا
فى ساعة متأخرة من الليل

فقال له عثمان ان من كان من سلالة فرنند كورتس لا يخاف ملاعبة
هندى مسكين مثلى

فقال الجميع نعم هذا محال فان الدون بيدرو من أعظم اللاعبين
وقد ألحوا عليه بالقبول فلم يجد بداً من الامتثال وقال لعمان انى
رهين أمرك يا سيدى

فقال عثمان انك لا عبت خصمك منذ هنيهة دون شهود قال هوذاك
قال أما أنا فأوثر أن يكون لكل منا شاهد فاختر شاهدك من بين
الحضور

فاختار الاسبانى الصراف مكسويل وهو الذى أدخله الى النادى
واختار عثمان المركيز روجر فتراهن الحاضرون ودخل الأربعة الى قاعة
اللعب فقال الاسبانى فى نفسه .

يخال لى ان هذا النورى الذى خيب كل آمالى قد عرفنى وقد شعر
بدوار خفيف حمله على محمل الاضطراب من مقابلة جان

أما جان فانه أقفل الباب بالمفتاح من الداخل وجلس فى المكان
الذى كان المركيز جالساً فيه وبدأ اللعب

فقال جان مخاطباً الصراف انه اذا رضى الدون بيدرو ان يلاعبنى
كل ليلة فلا يمضى زمن وحيز حتى ينفذ ماله فى مصرفكم من المال

فابتسم الاسبانى وقال سوف نرى

فقال جان ولكن الوقت لا يتسع له لسوء الحظ

فاضطرب الاسبانى وقال كيف ذلك

قال ذلك ان المرء لا يعلم كم يفسح الله فى أجله وفوق ذلك فقد

درست شيئاً من الطب

- فاشدد اضطرابه وقال أتعنى انى مريض
- بل أعنى انك فى أشد حالات الخطر من مرضك
- وأنا أرى انك تلاعبنى على الطريقة الهندية
- كيف ذلك
- ذلك انك تحاول اخافتى
- كلا فانى أراهن انك تشعر الآن بحرارة شديدة فى صدرك لا تعلم
أسبابها
- للنلعب يا سيدى
- كما تريد ولكنى أخاف أن لا تستطيع اتمام اللعب فقد بدأ
وجهك يصفر وهذا الاصفرار من تأثير الخمر التى شربتها فهل هى جيدة
- انها من أفضل الخمر
- أحسبها جيدة بالرغم عن تلك الحبة السوداء التى وضعتها فى الكأس
- أرى انك تشبه المجانين
- ما أنا المجنون بل أنت فانك غلطت فى الكأس أيها السيد العزيز
ولم يكد جان يتم حملته حتى صاح الاسبانى صيحة ألم فاصفرت
شفته وحاول أن ينهض فمنعه جان عن النهوض وقال أبق فى مكانك
فان الموت على هذا الكرسي خير لك من الموت فى الطريق
فصعق الاسبانى وجعل ينظر الى جان نظرة المأخوذ والصراف
والمركزيز ينظران الى الاثنين منذهلين وهما لا يفهمان شيئاً من هذا
الحديث

وعند ذلك التفت جان الى المركيز وقال له اعلم يا سيدى ان هذا
الرجل الذى تراه اراد تسميمك وهو يلاعبك فوضع فى كأسك سمًا
هنديًا يقتل شاربه بساعة
قال ماذا تقول

قال أقول الحق فانظر الى هذا الاسبانى الكاذب كيف ان أعضاءه
تتشنج من الألم ولكن أتفق لحسن الحظ انه بينما كان ينير المصباح الذى
أطفأه هواء النافذة مدت يد من وراء تلك النافذة فوضعت كأسك
موضع كأسه بحيث شرب الدون بيدرو كأسك المسمومة

فاصفر وجهه ووجع وقد رأى تأثير السم بدأ على وجه الاسبانى فقال
ولكن أية فائدة لهذا الرجل من قتلى وأنا لا أعرفه ولم أسىء اليه
فلم يجبه جان بل التفت الى الصراف وقال له ان المال المودع فى
مصارفكم باسم الدون بيدرو قد دفعتموه لهذا الرجل أليس كذلك
قال نعم

قال إذن فاعلم ان الدون بيدرو قتل منذ شهرين وان الذى قتله
وانتحل اسمه انما هو هذا الرجل

فحاول الاسبانى أن ينهض ولكنه لم يستطع إذ كان قد دخل فى
دور النزع فدنا جان منه فتنزع الشعر المستعار عن رأسه ولحيته وقال
للصراف أنظر

فبهت الصراف وصاح المركيز قائلاً السير جيمس

فقال له جان ان الموت قدم بك أيضاً أيها المركيز
ثم فتح تلك النافذة التي مر منها الهواء فاطفأ المصباح ونادى قائلاً
تعال يا ويلس

فدخل من النافذة ويلس خادم السير جيمس ودنا من سيده وهو
يحتضر فقال له بلاء البساطة

يسؤنى يا سيدى أن أراك تموت ولكن الخسائنة جنية التي قبضتها
من هذا الهندي الكريم أفضل منك فانها تضمن لى العيش بسلام
ولذلك بحث له بسررك

غير أن السير جيمس لم يفقه كلمة من حديثه فقد كان يحتضر وبعد
هنيهة فاضت روحه وسقط الى الأرض فانحنى جان امام الصراف
والمركيز وحاول الانصراف فقبض المركيز على ذراعه وقال له أما هي
يدك التي غيرت موضع الكاسين

قال ربما

— إذن لقد أنقذتنى أيضاً من الموت
فانحنى جان ولم يجب فقال له المركيز أنك ستجيبنى اذن على أسئلتى
قال كلا

— أريد أن أعلم على الأقل لمن أنا مدين بهذه الحماية السرية الى
أريد أفهمت

— واذا أبيت أن أقول

- انى أعرف عند ذلك كيف اكرهك على التصريح

فابتسم جان ابتسام المطمئن وقال له

لقد كان ابن عمك السير جيمس يزاحنى فى امرأة أهواها وقد اختطفها

منى فانتقمت منه بانقاذك

ثم أفلت منه وخرج من النافذة مقتنياً أثر الخادم فتوارى فى الظلمات

أما روجر فانه وضع يده على جبينه وقال أنه كذب نعم أنه كاذب

فى ما قال



قبل ذلك بساعة كانت مس ألن قد استفاقت من اغماؤها الكاذب

فجعلت تبتسم هازئة بمرؤة المريكيز الذى ضحى نفسه من أجل أخيه وقد

سمعت وقع خطوات كما تقدم ففتحت النافذة وأطلت منها فلم ترى ما يحمل

على الرية فمادت وهى تلوم نفسها وتقول

ترى ممن أخاف وقد مات جان دى فرانس

ولكنها لم تكذب تم جملتها حتى فتح الباب فذعرت ذعراً عظيماً إذ رأت

شمشون يصحبه نورى آخر وسينيتيا أخت جان وحاولت أن تأخذ غدارة

معلقة بالجدار ولكن شمشون كان أسرع إليها منها الى الغدارة فقبض عليها

وكم النورى الآخر فها وأوثقت سينيتيا يديها لحملها شمشون وخرج

الجميع بها وهى شبه مغمى عليها لاضطرابها لا تدرى الى أين يذهبون بها

وأما ليونيل فقد كان تأثره شديداً من مرؤة أخيه حين قال له أنك

تحب مس ألن وستزوجها وكان سروره عظيما حين عرف حقيقة نسبه وأيقن أنه من عظماء الاشراف

وفي اليوم التالى ذهب الى أخيه فلم يجدده ولكنه كان قد ترك له رسالة يقول له فيها انى مهم بتحقيق سعادتك فلا تجزع وكن من الصابرين وقد عاد فى الليل الى أخيه فلم يجدده وفى صباح اليوم التالى ضاق صدره ولم يعد يطيق الصبر فذهب الى منزل السير روبرت فطرق الباب وجاءه خادم فقال له سل مس ألن اذا كانت تريد أن تقابلنى فقال له الخادم أنها لو كانت هنا يا سيدى لما كانت استفاقت الآن - ماذا تقول أما هى هنا

- كلا ياسيدى

- إذن أين هى

- لقد وردت اليها رسالة مساء أمس فركبت مركبة وذهبت بها

- من أين أتت هذه الرسالة

- لا أدرى ولكن الذى جاء بها كان أحد خدم المركيزدى اسبرتهون

فقطب ليونيل حاجبيه وقال الى أين ذهبت

- أظن أنها ذهبت الى منزلها الصيفى

فاضطرب ليونيل حتى أنه لم يعد يدرى ما يصنع وقبض على ذراع

الخادم فقال له أنك ستذهب بى الى هذا المنزل فانى لا أعرف مكانه

فلم يسع الخادم مخالفته اذ كان يعلم أن له منزلة سامية عند السير

روبرت وذهب وإياه الى ذلك المنزل فأخبرته الخادمة أن رجلين وامرأة قد اختطفوها في الليل فهاج ليونيل هياج المجانين إذ أيقن أن أخاه قد اختطفها بدليل الرسالة التي أرسلها اليها وعاد مسرعاً الى أخيه فقال له وهو يتوهج من الغضب

أنك خدعتني شر خداع

فترجع المركيز منذهلاً وقال له ليونيل نعم أنك اختطفت مس ألن لتجعلها خليلتك

فصاح المركيز وقد بلغ منه الانذهال أشده قائلاً مس ألن هل اختطفوا مس ألن

قال أنك تعلم من ذلك فوق ما أعلم فأنت الذي . . .

فقبض المركيز على ذراعه وقال له أنك تتكلم من غير عقل وأنا أمنعك عن أن تهجنى هذه التهمات الشائنة

وكانت لهجة المزكيز تدل دلالة واضحة على صدقه فقال له ولكن من الذي اختطفها

قال أوضح لي أيها المنكود ما جرى بدلاً من أن تهجنى قل . . . ماذا جرى

قال جرى أنهم في الليلة الماضية اختطفوا مس ألن من منزلها الصيفي - من الذي اختطفها

- رجلان وامرأة وسمعت الخادمة ذينك الرجلين يدعوان المرأة

باسم سينييتيا

فارتعش المركيز حين سماعه هذا الاسم وقال لأخيه اذهب فساءجدها
وكان الخادم الذى دل ليونيل على منزل آلن الصيفى قد دخل معه
الى غرفة المركيز فارتعش أيضاً حين سمع اسم سينيتيا وقال اذا كانت
هى تلك المرأة التى عرقها فانى أعرف أين توجد

- أتعرف أين هى سينيتيا

- نعم بشرط أن تكون تلك النورية التى عرقها
فلبس المركيز قبعته وتقلد حسامه وحاول ليونيل أن يتبعه فأوقفه
وقال له

انى أقسم لك يا أخى بِتَذْكَارِ أَيْنَا انى رجعت عن حب مس آلن
ولم أعد أحبها إلا كأخت وسأفرغ كل مجهودى لتكون امرأتك
قال لقد وثقت بك فدعنى أذهب معك

قال انى لا أجدها إلا اذا كنت وحدى فتق بى وانى أتوسل اليك
أن لا تتبعنى

فتردد ليونيل وقال له المركيز استحلفك بالله أن لا تتبعنى فأطرق
برأسه وقال ليكن ما تريد

وسار المركيز يصحبه الخادم وكان يسير مستعجلاً والخادم فى أثره
لا ينبس بمحرف حتى اذا وصلا الى زقاق ضيق كثرت فيه الوحول قال
الخادم يخال لى أن الليلة التى اختطفنا فيها سينيتيا
فقاطعه المركيز قائلاً أأنت اختطفتها

فاحمر وجه الخادم ولم يجب فقال له المركيز بلهجة المتوعد : - قل
قال انى اخاف يا مولاي أن تطردنى مس ألن اذا تكلمت
- لا خوف عليك فانى استخدمك

- اذا كان ذلك فاعلم يا مولاي انى اختطففت سينيتيا النورية بمشاركة
زميلي نوح وامرأة هندية تبيع السموم
- متى

- منذ ثلاثة عشر يوماً . قد اختطفناها بينما كانت تسير فى هذا الزقاق
- لماذا اختطفتموها

- لا أعلم فقد كان ذلك بأمر السير روبرت ومس ألن
- مس ألن . . . أهى التى أمرتكم باختطافها

- نعم يا مولاي

- الى أين ذهبتم بها

- الى منزل السير روبرت الصيفى وحين قبضنا عليها كانت خارجة

من منزل الطبيب بولتون

فقال المركيز فى نفسه . بولتون . . . مس ألن . ما هذه الأسرار ثم

قال للخادم

أَمْضِ فى حديثك واخبرنى بكل ما تعلم

قال اننا حبسنا سينيتيا فى منزل مس ألن مدة يومين وفى المساء

جاءت مس ألن وقالت لها تعالى فان حياة ابنك فى خطر

فجمل العرق يسيل من جبين المركيز وقال له هل تبعتها قال نعم فقد ركبنا واياها مركبة ولم أدر الى أين ذهبنا فان زهيلي نوح كان يقود المركبة .

- والآن كيف ترجو أن تجد سينيتيا

- لظنى انها عادت الى منزلها

- هذا المنزل

- يجب أن يكون هنا في زاوية هذا الزقاق . نعم لقد عرفته فهذا فهو

وقد سار به حتى أوصله الى المنزل فقال له المركيز اذهب الآن فلم

يعد لي بك شأن

ثم طرق الباب ففتحت له فتاة حسناء تبلغ السادسة عشرة من العمر

فخياها المركيز وسألها قائلاً هل سينيتيا هنا

ف نظرت الفتاة نظرة حذر الى الشارع وأجابته قائلة انك واهم ياسيدى

فلست أعرف سينيتيا

وكان المركيز قد رأى ما كان من حذرهما فقال لها وهو يتسهم لا تخافى

يا ابنتى فانى صديق وان عثمان أرسلنى

ففتحت الباب وقالت ادخل يا سيدى فان سينيتيا فى الغرفة العليا

مع أختى

قل يجب أن أقابلها وحدها

قالت إذن تفضل بالانتظار الى أن أخبرها

وبعد هنيهة جاءته سينيتيا فحقق قلبها حين رأت ولدها وبادرها
المركيز بقوله هل أنت التى تدعين سينيتيا

قالت نعم

قال أأنت التى تقولين انك أمى

فاصفر وجهها ولكنها تمكنت من ضبط نفسها فقالت له التمس من
فخامتك معذرتى إذ يظهر انى كنت مجنونة فقد كنت فى الطريق حين
رأيتك عائداً من أميركا فذكرت حين رأيتك ولداً فقدته كان يشبهك
أتم الشبه فاشتد بى الحزن حتى أصبت بذلك الجنون

وكانت تكلمه بلهجة المتوسل ويرى المركيز من اضطرابها ان عوامل
خفية تتنازع فى قلبها فقال لها

اقسمى لى بالهك وبأرواح آبائك انك تقولين الحق وانك لست أمى
فتراجعت منذرة كأنها رأت هوة قد فتحت امامها فقال لها اقسمى
فرفعت يدها الى السماء وفتحت فيها كى تقسم ولكن يدها سقطت
على ركبته وأطبق فيها دون أن تستطيع الكلام

فصاح روجر قائلاً نعم امك أمى . أتكرينى وأنا ولدك

ففسيت المنكودة عند ذلك ايمانها ونسيت عهودها لأخيها ولم تعد
تذكر غير أمر واحد وهو ان هذا الفتى الجميل الذى يملأ العين قررة وهذا
القائد الباسل الذى لا يتحدثون الا ببسالته انما هو ثمرة احشائها فصاحت
صيحة حب لا تدرىها غير الأمهات وألقت نفسها بين يديه وهى تقول
ولدى ولدى



ولنعد الآن الى مس ألن فانهم بعد أن قيدوها وكموها خرجوا بها
الى قارب كان راسياً عند الشاطئ ، فمخر في المياه الى سفينة كبيرة وهناك
أصعدوا الأسيرة اليها ونزعوا الكمامة عن فمها فقالت لها سيديتيا
لقد دنت ساعة عتابك يا مس ألن وأنت التي ستتولين الحكم
على نفسك

قالت أن هذا الكلام مبهم لا أفهمه

قالت سوف تفهمينه فانك أنت هنا الآن في سفينة ستسافر بعد غد
صباحاً فاخترى بين أن تسافرى فيها وبين أن تعودى الى لندرا
قالت انى لا أجد الاختيار صعباً
- اتحسبن

- دون شك فانى لا أريد السفر الآن

- أنك اذا بقيت في هذه السفينة تسافرك الى اميركا وهناك يضمنون
لك عيشاً رخياً شريعاً

فأجابتها بلهجة الساخر قائلة هذا هو اقتراحك الأول قد عرفناه فلننظر
في اقتراحك الثانى

قالت واذا أبيت أن تسافرى نعود بك الى لندرا

- وبعد ذلك

- يحاكمونك أمام محكمتنا الخاصة وينفذ فيك العقاب الذى يحكمون

به فتمعنى

- لا حاجة الى التمعن

- اذن تسافرين

- كلا

- أتؤثرين المحاكمة

- والعقاب

فتنهدت سينيتيا وأشارت الى ربان السفينة فدنا من ألن وقال لها

أنك أسيرتى أيتها السيدة الى مساء غد فتفضلى واتبعينى

قالت سر اتبعك . ثم قالت فى نفسها انى لا أعدم وسيلة

لالقاء نفسى فى النهر فانى أجيد السباحة

وقد سجنوها فى غرفة لا نافذة فيها الى البحر فلم تياس وقالت سنرى

فى الغد ما يكون

ونامت ليلتها وعند الصباح دخل اليها غلام بحرى بالطعام فطمعت

باغوائه لما رآته من ظواهر بساطته وقالت له

هل تريد أن تكون من الأغنياء

فابتسم وقال دون شك فماذا يجب أن أصنع

قالت لا شىء سوى أن تساعدنى على الخروج من هذه السفينة

فضحك الغلام وقال أن الربان تشقنى فى صارى السفينة بالسلام

عليك أيتها اللادى

ثم وضع صينية الطعام أمامها وخرج فأقفل الباب فلم تجزع ولم تقنط

وكان مثلها مثل المريض لا يزال يرجو الشفاء ويعد معدات المستقبل
ولو رأى الموت ماثلاً لدى عينيه ولذلك فأنها أكلت بلبء الشهية ثم
وجدت كتاباً فى تلك الغرفة فجعلت تتلهى بالقراءة فيه كأنها آمنة مطمئنة
فى منزلها

ولبثت على ذلك الى أن حان وقت العشاء فجاءها البحار بالطعام
ولكنه لم يكن وحده هذه المرة فارتعشت ألن حين رآته وقالت له لاشك
أنك قادم الى بنبأ جديد فأجابها بلهجة الحزين قائلاً انى قادم لأرى
رأيك الأخير فقد كنت عازماً على الرحيل صباح غد ولكنى وجدت
الرياح موافقة للسفر وستقلع السفينة بعد نصف ساعة

فاصفر وجهها وقالت أنك ستنزلى الى البر فيما أظن

قال ذلك منوط بك فقد تركوا لك الخيار

قالت وأنا اخترت البقاء فى لدرا

— أنك مخطئة فانى نورى مثل تمشون وجان دى فرانس الذى
قتلته ومثلك . أريد انى عارف بتاريخك فانك عدوتنا اللدودة ولكن
مجلس طائفتنا أشفق على شبابيك فاذا سئت ذهبت بك الى الانثيل أو
الى لويزيانا

— كلا كلا لا أريد الذهاب

— يظهر أنك لا تعلمين ما ستلاقيه من العقاب اذا بقيت

— بل انى عالمة فان النورير يدون حبسى فى أحد السجون المظلمة

— ربما

- ولكن يوجد رجلان يحباني وكلاهما غنى باسل وسيعرفان كيف
يخرجاني من سجنى

فهب الربان رأسه وقال إذن لا تريدن السفر
- كلا

- لم يبق لك غير ربع ساعة للتمعن فان رجالنا قادمون الى السفينة
- ليعودوا بى الى لندرا أليس كذلك
- أظن

- إذن سأستفيد من هذه المهلة لأنعشى
فخرج الربان وهو يقول فى نفسه انى لم أجد أجراً من هذه الفتاة
وجلست وهى تأكل وتقول

أن روجر وليونيل يبحثان عنى وجان دى فرانس قد مات فلا أقنط
ولو أجلسونى على النطع

وبعد أن فرغت من طعامها عاد اليها الربان فقال لها ماذا ارتأيت
فقد دنا وقت السفر

قالت لم أرجع عن عزمى وانى أدعو لك بالسفر السعيد
قال أنك مخطئة يا توبسى فاعلمى انى لك من الناصحين
فألقت وشاحها على كتفها وقالت لقد حضر الجلادون دون شك
فسر بى اليهم

فاصعدها الربان من جوف العنبر الى سطح السفينة
فرأت رجلين بملابس السواد وهما مقنعان فضحكك ضحك الساخر

وقالت آية فائدة من التمتع العلى لا أعرفكم فأين القارب هلموا بنا اليه
فدنا منها الربان وقال لها انى أتوسل اليك يا توبسى أن تسافرى
فذلك خير لك

قالت كلا فانى أريد العودة الى لندرا
فتنهذ وقال لقد فعلت ما علىّ فليفعل الله ما يشاء
وعند ذلك عصبوا عينيها وأنزلوها الى القارب فساروا بها نحو نصف
ساعة ثم نزعوا العصابة عن عينيها ونظرت الى البر فلم تجد أثر المنازل
ولكنها رأت على الشاطئ رجالا يمسك أعمة أربعة جياد فقالت فى نفسها
يظهر اننا سنركب الجياد فالى أين يريدون أن يذهبوا بي
وقد أخرجوها من القارب الى الشاطئ حيث كانت الجياد فناداه أحد
الرجال المقتنعين وقال له هل لك ما تقوله لى

قال نعم فسنجد اخوانا لنا فى الطريق
فاضطربت ألن وقالت ألا نعود الى لندرا
قال اننا ثلاثة رجال سنصحبك وقد تلقينا الأمر بقتلك اذا حاولت
الفرار وقد كان بوسعنا أن نقيّدك فوق ظهر الجواد ونربطك الى السرج
كالأكياس ولكننا نؤثر أن تركبى مثلنا فاركبى
فلم تجد بداً من الامتثال فركبت الجواد وركب الثلاثة يخفرونها
فلم يسيروا بضع خطوات حتى يأسّت ألن من الفرار إذ وجدت جوادها
يشبه البغال

وبعد ساعة من سيرهم وصلوا الى غابة وهناك صفر أحد الثلاثة فأجيب

بصغير مثله ثم أقبل ثلاثة فرسان من الغابة فانضموا اليهم واستأنفوا السير فساروا ساعة ثم التقوا بثلاثة فرسان آخرين فانضموا اليهم وكانوا كل ما التقوا بكوكة من أولئك الفرسان يتبادلون أقوالاً مبهمه لم تكن ألن تفهم شيئاً من معانيها فاشتد خوفها على بسالتها حتى أنها ندمت لمغادرتها السفينة وما زالوا يسرون الى أن صاح الذي كان يتقدمهم قائلاً قفوا وترجلوا عن الجياد ودنا اثنان من ألن فأمسك كل منهما باحدى يديها فسارا بها في زقاق ضيق والرفاق في أثرهم ربع ساعة حتى انتهوا الى مكان رأوا فيه نوراً بضئ فقال زعيمهم لقد دخلنا

فوجف قلب ألن وقالت هنا

قال نعم فاننا فقراء كما تعلمين وليس لنا قصور نجعل فيها محالنا
فاشتد رعبها وقالت محكمة

قال دون شك أتحسبين اننا نعاقبك دون محاكمة ثم جرها بعنف الى مكان ذلك النور فرأت ناراً مشبوبة عند باب مغارة ودخلوا بها الى هذه المغارة فرأت كثيراً من الرجال متربعين على الأرض وكلهم مقنعين ثم رأت رجلاً وقف وقال لقد تكامل عددنا الآن

فارتعدت ألن حين سمعت هذا الصوت كأنها عرفتة واستأنف الرجل حديثه فقال مخاطباً الفتاة

أن صبر الذين خنتهم يا مس ألن قد نفذ وانتزعت الرحمة من قلوبهم ومع ذلك فقد عرضنا عليك الحرية ولورضيت أن تسافري الى اميركا لأعطيناك ثروة ولكنك لم تقبلي

فصاحت بصوت ملؤه اليأس قائلة رباه أنشر من في القبور
وعند ذلك كشف الرجل قناعه وسقطت ألن على ركبتيها إذ رأت
جان دى فرانس فقال لها

لا حاجة الى تعداد جرائمك يا توبسى فانك تعرفينها وقد أتت ساعة
عقابك فاننا اخترنا أربعة وعشرين رجلاً منا لمحاكمتك وسينفذ حكمهم
لا محالة فلا تطمعى بالعفو

ثم نظر الى أعضاء المحكمة وسأل رجلاً كان واقفاً على يمينه فقال أى
عقاب تستحقه هذه المرأة

فأجاب الرجل دون تردد قائلاً

أنها تستحق الموت

فصاحت ألن قائلة أأموت وأنا فى العشرين من عمرى

فقال لها جان أترضين أن نشوه وجهك وتعيشين

قالت كلا فاقتلوني . . . اقتلوني

وعند ذلك سمع صوت عند باب المغارة يقول بلهجة ملؤها السيادة

بل أنك تعيشين ويبقى جمالك عقاباً لك

فالتفت الجميع الى هذا الرجل فلم يعرفوه إذ كان مقنعاً وصاح جان

قائلاً ألهم خانونا فمن هذا الرجل

فمشى الرجل اليه فوضع يده على كتفه وقال له بصوت منخفض انى

أدعى اميرى ويحق لى أن أحكم عليكم فانى ملككم

ثم كشف قناعه ورده الى وجهه مسرعاً بحيث لم يره غير جان فانحنى

أمامه بجلء الاحترام وقال مر أطلع فقال له مر رجالك أن يبتعدوا
قال كلهم

قال ما خلاك وهذا الرجل الضخم مشيراً الى شمشون
فنظر جان اليهم وقال لهم أيها الاخوان أن أميرنا الأكبر يأمركم
أن تخرجوا

فخرج الجميع ممثلين ولم يبق في المعارة غير جان وشمشون والن
وهذا الرجل

وعند ذلك كشف الرجل قناعه فصاحت ألن قائلة روجر
وقال شمشون المركيز دى اسبرتهون

فقال المركيز كلا بل اميرى النورى ابن سينينيا وزعيم الطائفة الأكبر
ثم التفت الى ألن وقال لها أن هؤلاء الرجال أرادوا قتلك وأنا عفوت
عنك ولكنى ما عفوت إلا بشرط أن تبرحى لندرا فى هذه الليلة وان
تذهبى الى السير روبرت فى ايكوسيا وان ترجعى عن فكرة الزواج بليونيل
فأطرقت رأسها دون أن تجيب والتفت روجر الى شمشون فقال له
وأنت فأذهب بهذه الفتاة ولا تفارقها عند باب منزل السير روبرت
والويل لك اذا أصيبت بسوء

فأخذ شمشون بيد ألن وخرج بها من المغارة ونظر روجر الى جان
بفتور وقال له

لنتحدث الآن

القسم العاشر

الفرار

قال المركيز لجان حين خلا به في المغارة هلم نتحدث أيها الناباب عثمان فقد عرفت الآن كل شيء فانت جان دي فرانس وانك خالي أي أخو أمي سينيتيا

ان أمي أخبرتني بكل أمري وكيف انك تجاسرت وجعلتني من أعظم أشراف الانكليز وانك وبلتون كنتما كاذبين حين أوهمتما الأعيان في الجمعية السرية ان سينيتيا مجنونة بل انك كذبت عليّ حين قلت لي اني ابن اللورد اسبرتهون الشرعي فلماذا

قال انك ما زلت عرفت سر مولدك فلا بد لي من أن أخبرك بتفصيل ما جرى

ثم قص عليه كل حكايته وكيف انه كان ابناً غير شرعي للورد اسبرتهون وكيف ان السير جيمس قتل ولده وهو في مهبه بسم الأفعى وكيف ان أباه اللورد سرقه كي لا تعود ثروته الى ابن أخيه جيمس لأنه كان يعتقد ان ولده الثاني ليونيل ميت وكيف انه كان يراقبه الليل والنهار في لندن وأميركا وفي كل مكان ذهب اليه كي يحميه من السير جيمس الى آخر ما عرفه القراء من أمره

فلما فرغ من حديثه قال له المركيز انك اذا كنت قد أسأت الى

فقد كان شفيعك حسن القصد وانى أغفر لك ولبتوت هذه الأساءة
التي لا تعتفر فانك لو علمت ما أقاسيه الآن من العذاب لعذرتنى على
هذا القول وكفى انى كنت لورداً وقائد فرقة الملك ومن أعظم نبلاء
الانكليز ثم وجدت نفسى نورياً لقيطاً لا فرق بينى وبين الخدم

- ولكنك ابن اللورد اسبرتهون

- هل أنا ولده الشرعى

- كلا ولكن فات الأوان الآن ولم يعد فى وسعك ان تدوس
تاج المركيزية وتخضع وتتاح اللوردية فقد لقينا فى هذا السبيل أتمد
ما يلقاه بشر من العناء واذا كنت ترى ان وجودنا فى لندرا يثقل عليك
فقل كلمة نبرحها بمجملتنا وبقى شرك محفوظاً مدى الحياة

فهز روجر رأسه وقال لا تسافرون واذا أردتم السفر سافرت معكم
واعلم انه لو كان السير جيمس باقياً فى قيد الحياة لخشيت ان يعود القلب
والثروة اليه ولبثت على تنكرى

فقاطعه جان قائلاً ولكن ماذا يحدث بهذه الثروة اذا تركتها فانها
تعود الى بيت المال

قال انك واهم بل انها تعود الى وريثها الشرعى أى الى ليونيل ابن
اللورد اسبرتهون الثانى فانه لم يمت كما تتوهمون

فغطى جان وجهه بيديه وقال وأسفاه لقد قضى على آمالى

وعند ذلك ظهر رجل فى باب المغارة فصاح الاثنان قائلين هو ذا

الطبيب بولتون

أما بولتون فانه دنا منهما وقال انى اجتزت خمسين ميلاً بست
ساعات ولكنى وصلت قبل فوات الأوان
فقال روجر ماذا حدث

قال حدث ان عدونا السير روبرت واقف على كل أمرنا
- السير روبرت ألم يكن صديق والدى

- نعم ولكنّه الآن عدوك الألد بل انه عدو طائفتك بأسرها فانى
أرى انك عرفت الآن حقيقة أمرك فلم يبق سبيل الى التكتّم فاعلم ان
السير روبرت يشغل نملء الجهد منذ أسبوعين وقد زار جميع اللوردية
فى ايكوسيا ولندرا وسيتكلم فى المجلس الأعلى بعد أسبوع حين افتتاحه
- ماذا يريد أن يتكلم

- يريد أن يطلب نفى النور من جميع انكلترا وأنت ترى اذا كان
يوافق ان تنازل الآن عن لقبك لأخيك وتدع هذا الرجل يقضى
القضاء المبرم على طائفتك
فأطرق المريكيز مفكراً ثم قال

كلا ان الجندى لا يعتزل الخدمة فى يوم القتال وسيرى السير
روبرت انى سأكون خير كفوء له فى ذلك المجلس فاطمثنوا أيها الرفاق
فسأبقى المريكيز دى اسبرتهون وقائد فرقة الملك الى أن تزول هذه
الاضطار .



ولنعد الآن الى ألن فقد أوصلها شمشون الى منزل السير روبرت ثم
تركها وانصرف فدخلت وهي تقول فى نفسها
لقد نجوت الآن وبات روجر يحترقنى ولكن بقى لى ليونيل بشرط
ان اجتمع به قبل ان يلقاه روجر
ولما دخلت الى المنزل وجدت السير روبرت فيه وعلائم القسوة
بادية فى وجهه فقالت له متى عدت يا عماء
فأجابها بلهجة ملؤها الاحتقار قائلاً
لقد وقفت على كل مكائيدك وعلمت انك تجتمعين برجال طائفتك
وبذلك المزور المحتال الذى انتحل لقب المركيز دى اسبرتهون
ولقد قرأت فى الأمثال العربية ان اعرابية اختيرت جرو ذئب
وربته مع شاة لها فلما أصبح الجرو ذئباً نسى التربية وافترس الشاة
فقالت فيه

بقرت شويتهى وفجعت قلبى فمن أنباك ان أباك ذيب
وهكذا أنت فقد ربيتك خير تربية وجعلتك من شريفات الانكليز
فلما تكامل هداك نسيت التربية ولم تذكرى الا أن أملك نورية فاعلمى
انى لا أريد أن تقيى فى منزلى بعد الآن وسيعطيك الصراف مكسويل
مبلغاً من المال فى كل شهر تنفقينه لأنى لا أريد أن تعيشى عيش
المتسولين والآن خذى هذا

ثم دفع اليها محفظة فيها أوراق مالية فأخذتها من يده وألقها عند قدميه وهى تقول

انى لا أريد صدقتك ولا سفقة أحد

وقد خرجت من ذلك المنزل الذى قضت فيه كل أيام حياتها وهى تأنف ان تلتفت الى الوراء



وقد وجدت نفسها على بلاط لندرا لا نصير لها ولا معين ولو أصيبت امرأة ببعض ما أصيبت به لبكت بكاء التكللى ولكن قلبها كان قد صنع من الحديد فكان عزاؤها عن طردها من منزل السير روبرت قولها ان هذا الرجل قد حلى من قيود الامتان فبت قادرة على أن أنهج مع ليونيل كما أشاء.

وكان البرد شديداً فى تلك الليلة والهواء زمهريراً فمن كان فى موقفها التجأ الى أحد الفنادق فقد كان لديها شئ من المقود فى كيسها ولكنها كانت مجربة تعلم ان الوقت ثمين وان الدقيقة الواحدة قد تغير مستقبل الانسان بجملمته

ثم انها كانت قد رأت السير روبرت لا يزال فى ثياب السفر فأيقنت انه لم يجتمع بعد بليونيل فذهبت مسرعة الى مكان تجتمع فيه المركبات فركبت مركبة وأمرت سائقها أن يذهب بها الى التكنة التى تقيم فيها فرسان الملك وهى تعلم أن ليونيل يبيت اكثر لياليه فى التكنة

وهناك لقيت حارس الباب وقالت له انى أريد مقابلة الضابط ليونيل
فى شأن خطير

قال ان الدخول محظور يا سيدتى ولكنك تستطعين أن تكتبى اليه
قالت لا حاجة الى الكتابة اذ يكفى أن تذكر له اسمى
فنادى الحارس أحد الجنود فقالت له

قل للقائد ليونيل ان مس ألن فالدن تريد أن تراه فى الحال
فانطلق الجندى وبعد هنيهة أقبل ليونيل فصاح صيحة فرح حين
رآها وقالت فى نفسها انه لم يعلم شيئاً بعد

وكان ليونيل قد لقي عذاباً شديداً فى ذلك اليوم فانه ذهب الى أخيه
مرتين فلم يجده ولكن المركيز أرسل له رسالة يقول فيها انى وقفت على
أثر مس ألن فأقام كل يومه وهو يسير سير الهائمين بين منزل السير روبرت
ومنزل أخيه وأقبل المساء فلم تعد ألن الى منزلها ولم يعد أخوه فبات
تسبه المجانين

وكانت واجباته تقضى عليه أن يبيت فى التكنة تلك الليلة فعاد اليها
وجعل يتمعن فى أمره فتارة يثق بأخيه فيطمئن وتارة يعاوده الشك
فنفقته الغيرة

وما زال على ذلك الى أن جاءه الجندى وأخبره بأن مس ألن تريد
أن تراه فذهب الى لقائها وقلبه يكاد أن يخرج من صدره لفرحه وقال لها
أهذا أنت

فمدت اليه يدها وهى فى المركبة فقطعها تقبيلاً وقالت له
نعم أنا هى وانك اذا لم تبادر الى نجدي كنت من الهالكات فهل
تستطيع التغيب عن التكنة

قال نعم فانى أنيب عنى أحد زملائى

قالت اذن افعل أيها الحبيب وأسرع فان الوقت لا يتسع للامهال
فعاد ليونيل الى التكنة فكتب رسالة الى صديق له من الضباط يسأله
فيها أن ينوب عنه ورجع الى مس ألن فصعد الى المركبة بجانبها وقال لها
ماذا حدث أيتها الحبيبة فانك لا تعلمين مقدار ما لقيت من العذاب
فقبضت على ذراعه وقالت ليونيل أتجنى

قال أتسأليننى اذا كنت أحبك

— ماذا تفعل من أجلى

— خير ما عندى دى وانى أسفكه فى سبيلك

— اذن فاعلم ان عمى وروجر قد تأمرا على اهلاكك فان عمى هو

الذى اختطفنى كي يبعدنى عنك الى الأبد ويزوجنى بروجر

فاصفر وجهه من الغضب وقال انها خيانة سافلة

قالت أتريد أن اكون امرأتك يا ليونيل

— كيف تسأليننى وأنت تعلمين ان هذا كل ما أرجوه فى الحياة

— اذن لنهرب ولنبرح لندرا فى هذه الليلة الى احدى القرى وهناك

لا نعدم كاهناً يعقد زواجنا أو أزوجونى بالرغم بروجر . . . ليونيل انى

أموت اذا اكهرت على الزواج . . . ليونيل انى لا أحب سواك
وكانت تضغط على يده وهى تقول له هذا القول ضغطاً على قلبه
حتى سحرته ووافقها على الهرب
فأمرت السائق أن يسير فانطلق بالعاشقين وخرجت المركبة من لندرا
بينما كان السير روبرت قد دخل الى غرفة رقاده وعزم على أن يجتمع
غداً بليونيل ويشفيه من حب ألن



مضى على ذلك ثلاثة أيام والسير روبرت مضطرب أشد الاضطراب
فان ليونيل لم يظهر فى خلالها
وكان قد سأل عنه فى التكنة فعلم انه خرج بعد انتصاف الليل مع
امراة كانت تنتظره فى مركبة وان هذه المرأة تدعى مس ألن فالدن وانها
سارت واياه فى تلك المركبة فلم يبق لديه شك انه هرب مع النورية
وكان قد أنبأ البوليس بأمرهما ولكن البوليس على مهارته فى لندرا لم
يقف على أثر الهاربين فكاد يحن من يأسه لوثوقه ان ألن لا تعود الى
لندرا إلا وهى زوجة ليونيل

وذلك ان فى انكلترا ولا سيما فى ذلك العهد كان الزواج سهلاً
فلو ذهب عاشقان الى دير كاهن وسألاه أن يعقد زواجهما لفعل دون
اعتراض فكان هذا الحاضر يعذب السير روبرت عذاباً شديداً لأنه
كان قد آلى على نفسه قضاء أمرين أحدهما ان لا يدع ربييته تتزوج

بليونيل لأنه من الأشراف وثانيهما أن يكره روجر على أن يرد ثروته
لأخيه ليونيل ابن اللورد الشرعى

وفىما هو فى منزله يتأهب للذهاب الى مدير البوليس دخل اليه خادم
قال له ان رجلا يلبس ملابس التجارى يريد ان يقابلك
فأذن له فدخل فقال روبرت فى نفسه يخال لى انى عرفت
هذا الرجل

أما الرجل فانه انحنى أمامه مسلماً وقال له ألا ان سيدى يعرفنى
دون شك

قال اذكر انى رأيتك ولكن لا أذكر أين
قال لقد تشرفت بلقائك يا سيدى فى الهند
- فى الهند

- نعم وكان ذلك مرتين أحدهما فى الطريق من شاندرناجور الى
كلكتوتا والثانية فى خمارة عند باب تلك العاصمة
- أنت هو

- نعم أنا هو ناثانيال والد توبسى الذى جلدوه خمسين سوطاً لأنه
طلب أن ترد اليه ابنته

فقطب حاجبيه وقال له والآن ماذا تريد أتريد مالاً

قال ان تجارتى رابحة باذن الله وأنا اشتغل هنا منذ خمسة عشر عاماً
ما شكوت فيها إلا يوم جلدونى فان هذا الشعب الخامل لا يفتأ ينتصر

للظالم على المظلوم وقد أبوا ان يصدقوا ان مس أُن الحسناء انما هي ابنتي

- أظن انك لم تأت الى هنا الا لتقص على تاريخ حياتك

- كلا دون شك

- اذن ماذا تريد

- اني أصبحت شيخاً كما ترى وأنا الآن غني وليس لي وريث

فاريد أن ترد إلي ابنتي

- اني لا أعترضك فان ابنتك قد أساءت اليّ بعد احساني

- لا عجب فقد كانت أمها على شاكلتها

- وقد طردتها من عندي

- لقد عرفت ذلك أيضاً من سيدي

- اذا كنت قد عرفت ذلك فلماذا أتيت اليّ

- اصغ إليّ يا سيدي فاني أعرف أموراً أخرى أيضاً

- أملكك تعرف أين هي

- نعم

- تكلم

- رفقاً يا سيدي ولنبدأ بوضع شروطنا اذا أردت

فأدرك أن لهجة العنف لا تفيد مع هذا الرجل فقال له برفق قل فاني

مصغ اليك

قال أن توبسى ليست فى لندرا فقد هربت مع فتى جميل يهملك
أمره وهى ستتزوج به

- كلا أن هذا لا يكون

- أنك تستطيع منع هذا الزواج اذا تدخلت فى شأنه وأما اذا لم تتنازل
الى التدخل فان الزواج كائن لا محالة

- أرى أيها الرجل أنك تعلم أين هما وانك تريد أن تدعىنى هذا السر

- لقد قلت لك يا سيدى أنى لست فى حاجة الى المال

- إذن ماذا تريد

- أن ليونيل أحب بنتى حباً عظيماً حتى أنه لم يعد يصغى إلا لصوت

قلبه ولا يستطيع منع هذا الزواج غير رجل واحد

- وهذا الرجل

- هو أنا ولكنك أنكرت ولا تزال تنكر لسوء الحظ أنى ابو توبسى

- سأعترف بهذه الحقيقة

- أن اعترافك وحده لم يعد كافياً الآن

- ماذا يجب أن أفعل أيضاً

- يجب أن تذهب بى الى الملك

فلم يتمالك السير روبرت عن الضحك فقال له النورى نعم يجب أن

تذهب بى الى القصر فتقدمنى للملك وتعترف أمامه بانى والد توبسى

ثم تلمس من جلالتة أن يصدر أمراً برد ابنتى الى ومتى صار هذا

الأمر فى يدي منعت الزواج

فكره السير روبرت أن يقول أمام الملك بانه جعل فتاة نورية ابن
أخيه وقال له أن هذا محال
قال اذا كان ذلك فليفضل مولاي بمعذرتي لازعاجه ويأذن لى
بالانصراف

- بل ابق وقل لى أين هى الفتاة
- انى لا أخبرك إلا بهذا الشرط فاما أن ترضى به واما أن ترضى
بأن تتزوج ليوئيل
- كلا أن ذلك لا يكون وأنا فى قيد الحياة

وقد أدرك السير روبرت أنه لم يبق له حيلة مع هذا الرجل وانه اذا
أبى موافقته تزوجت تلك النورية بليوئيل أى بالمركبز اسبرتهمون الحقيقى
فرأى أنه لا بد له من الامتثال وقال ليكن فسأذهب بك الى الملك
ثم أمر الخادم أن يعد مركبته فقال له ناثائيل لقد أصبت يا سيدى
فان توبسى لا تعرف أن تكون سيدة عظيمة وهى ستكون فى مخزنى
على خير حال



كان السير روبرت فالدن يعد من عظماء الرجال فى لندرا وطلما اهتز
منبر البرلمان لبلاغته ومن كانت له هذه الميزة بين قومه على ما هو فيه
من شرف النسب لا يطول وقوفه فى أبواب الملوك
قد وصل الى سراى الملك فوجد كثيرين من الناس فى الردهة

ينتظرون بمجازع الصبر صدور الاذن لهم بمقابلة جلالة فلم يكدر يذكر
اسمه للحاجب حتى صدر الأمر بادخاله قبل جميع المنتظرين
وكان الملك جالساً وحده في قاعته فلما دخل اليه السير روبرت
دهش إذ رأى وراءه رجلاً بملابس التجار
فأدرك سر دهشته وبدأ الحديث فقال
أن ملوك الانكليز من بدء عهدهم الى عهد جلالتم لم يرق لهم مثل
أن يقضوا بأنفسهم بالحق
قال هو ذاك

قال مولاي أن هذا الرجل الذي تراه يضطرب بمحضرة جلالتم
إنما هو أب منكود أنكرته ابنته وهو يلتمس من جلالتم ردها اليه
وعند ذلك بسط له حكاية توبسى بالتفصيل وكيف أنه أخذها ورأها
الى أن رأى ما كان من فساد أخلاقها فاضطر الى التخلي عنها وان أباه
يطلبها الآن ولكنها تنكره وتبى أن تعود اليه وانه يلتمس من جلالة
الملك أن يصدر أمره الكريم برد الفتاة الى أبيها
وقد وجد الملك هذا الملتمس حقاً فنادى رئيس حراسه وأراه ثنائيل
ثم قال له

اذهب مع هذا الرجل ورد ابنته اليه باسم الملك واذا أصرت على
الانكار بانها ليست بنته فقل لها ان السير روبرت فالدن شهد بذلك وان
الملك وثق بهذه الشهادة

فانحنى رئيس الحراس وبينما كان السير روبرت يحاول الانصراف دخل الى القاعة الملكية المركيز روجر من باب آخر غير الباب العام فان الملك كان قد أذن له بالدخول اليه متى شاء بصفته قائد فرقته الأكبر ولم يظهر على المركيز شيء من علائم الاندهال حين رأى ناثانيل في قاعة الملك خلافاً للسير روبرت فانه ارتعش حين رأى المركيز يحويه بيده أما المركيز فانه انحنى أمام الملك وقال مولاي أن فرقة الفرسان معسكرة في السراى وقد جئت أسأل مولاي أن يعين كلمة السر التي يعينها بنفسه كل يوم

فأشار اليه الملك اشارة مفادها اصبر الى أن تكون وحدنا وحاول السير روبرت الانصراف ولكن المركيز أوقفه باتساره وقال للملك

مولاي انى أعد نفسى سعيداً بلقاء السير روبرت في حضرة جلالتك لأننى سألتبس أن أقول لكم أقوالاً تهمة قال قل أيها المركيز

قال مولاي يوجد في فرقتي ضابط يدعى ليونيل أظن أن السير روبرت وصيه

وان هذا الضابط يا سيدى قد ارتكب خطأ عظيماً فانه ترك الفرقة دون اذن وهرب مع فتاة أفاقة محتالة خدع بها وسيتزوجها اذا لم يحل أمر جلالتك دون هذا الزواج

وظهرت على الملك علامة الاشتمزاز ومضى المركيز في حديثه فقال
أن هذه الفتاة كانت تدعونفسها مس ألن فالدن والحقيقة أنها بنت هذا
الرجل الواقف بمحضرة جلالكم ويدعى ناثانيال
فجمل الملك ينظر اليهما وقال المركيز
أن وجودهما فى قاعة جلالكم يدل على أن جلالكم قد أصدرتم
أمركم بهذا الشأن
قال هو ذاك

قال اذا خرج ناثانيال التمت من جلالكم أن تأذنوا لى بمقابلة
بمحضور السير روبرت

فقطب السير روبرت حاجبيه اذ لم يكن يعلم مراد المركيز وأشار
الملك الى رئيس حراسه فأخرج ناثانيال ونقى روبرت والمركيز
وكان الملك مصاباً بمرض قصى عليه بأن يكون ضيق الأخلاق فلو لم
يكن يعطف عطفاً خاصاً على روجر لما صبر على بطئه فى بيان مراده الى
هذا الحد ولكنه نظر اليه وقال له برفق

قل أيتها المركيز ما تريد قوله

قال مولاي انى مخبر جلالكم ستدهشون له لو لم يكن السير روبرت
حاضراً فيثبته

ثم التفت الى روبرت وقال ألم تكن يا سيدى صديق والدى المرحوم
اللورد اسبرتهون

قال نعم

قال وانك تعلم أن ابى صدق بامرأته اللادى سيسل وشايات كاذبة
فأبعدها عنه مع ولدها الثانى وان خوفها كان عظيماً على ولدها إذ كانت
تخشى أن ينتقم منهما فأوهمته ان ولده الثانى ميت

فقال الملك كيف ذلك أهو حى ألك أخ

قال نعم يا مولاي فهو ضابط فى فرقتي وانى التمس له العفو من جلالتك

فهو ذلك العاشق المفتون الذى هام بتلك المحتالة وهرب واياها

قال انه ما زال أخاك أيها المركيز فقد عفونا عنه وأعطيناه أجازة

ثلاثة أشهر

ثم رفع يده مسلماً اشارة الى انتهاء المقابلة فانحنى الاثنان وانصرفا

فلما وصلا الى الردهة قال له السير روبرت لى كلمة أقولها لك

أيها المركيز

قال لك ان تقول أربعاً اذا أردت

قال انى أريد محادثتك اليوم ملياً فهل تريد ان تعين لى موعداً للقاء

فأشار المركيز الى الحديقة وقال له انها خالية وليس فيها أحد

فهل بنا اليها

قال ليكن ما تريد

ونزل الاثنان الى الحديقة وجلسا تحت شجرة غضة فبدأ السير روبرت

الحديث فقال

انى تغيبت عن لندرا أيها المركيز مدة اسبوعين
فأجابه بجفاء قائلاً نعم وقد عرفت ايضاً انك سافرت على اثر جلسة
سرية عقدت فى نادى هرمين كما اظن
قال أعرفت ذلك

فأجابه بعظمة قائلاً نعم وقد عرفت انك اتفقت مع مس الن على
اختطاف امرأة نورية تدعى سينتيا وكانت تقول انها أمى
- انك ما زلت قد بدأت أنت سرد هذه الحوادث فقد هانت
على مهتى

- كيف ذلك

- ان هذه المرأة التى تقول انها أمك والتى أخذها عمال مستشفى
بلدام بحجة انها هاربة منه لم توحد فيه
- انى اعرف ذلك فقد عهدت الى الطبيب بلتون معالجتها
- أهلك تعتقد انها مجنونة

- نعم وانك سافرت منذ اسبوعين الى ايكوسيا واجتمعت بكثيرين
من اعضاء مجلس اللوردية . . . خابرتهم بشأن نفى طائفة النور
- هو ذاك فانى أريد طرد النور من اكلترا وهى خير طريقة
لا كراه الموزرين على الجلاء

- ولكن هذه الطائفة لا تنكر أصلها

- أنت تعلم

- اصغ الى يا سير روبرت فلا حاجة الى المعميات بيننا فاني اعلم
ماذا تفتكر

- ماذا

- انك تحسبني ابناً غير شرعي للورد اسبرتهون وان أمي هي سينتيا
ولكني في عيون الملك والنبلاء والناس المركيز روحر وقائد فرقة فرسان
الملك واني لا أقول لك اذا كنت مخطئاً أو مصيباً في اعتقادك فان من
كان مثلي لا يتداني الى تبرئة نفسه

- ولكن ماذا تقول اذا أثبت اعتقادي بالبراهين

- ان براهينك ضرب من المحال ولكن اصغ الى فالك معروف
باخلاصك للادي سيسل وبأنك تحب ولدها كأنه ولدك

- هو ذاك ولذلك أردت أن ارد له ميراث أبيه فابتسم روجر وقال
أليس من العجيب أن تكون شيخاً وان اكون فتى فتشور حدثك
واسكن ألا تريد أن تصغى الى بسكينة

- اني مصغ

- أقول انك اذا كنت تحب ليونيل حقيقة فلا تخاطر بمستقبله فقد
شاطرته أموالى

فقاطعه قائلاً انك لو كنت ابن اللورد الشرعى

فبرقت عينا المركيز وقال اني أمنعك عن أن تشك ببولدى الى أن
تبرهن لانسكلترا بجملتها على صحة ما تقول

فهاج ثأره وقال انى أعلم كيف اكرك على الاعتراف
فأجابه قائلاً كفك هياجاً فاننا اذا تبارزنا قتلتك لا محالة فنحرم
يونيل من وصيه وحاميه الوحيد واعلم انى فتى ويقال بأنى باسل وان
نكلترا على وشك اثاره الحرب ألا يجوز ان أقتل فى غمارها وأنا فى
عليمة فرقتى

- ولكنى لا أستير على ليونيل أن ينتظر هذه الصدفة
- وأنا أرى انه لا سبيل الى الاتفاق بيننا وانك تريد الخصام
فليكن ما أردت

- ليكن

- ولكنك مخطئ يا سير روبرت
- لا يخطئ من يعمل بما يوحى اليه الواجب
- اذن أنت تريد الخصام
- نعم

- وستطلب الى البرلمان نفى طائفة النور

- هذا لا ريب فيه

- وأنا سأدافع عنها... الى اللقاء

ثم حياه وانصرف

فوقف روبرت مطرقاً مفكراً يقول فى نفسه ان هذا الرجل شديد
فكيف السبيل الى اكراهه على الاعتراف ومع ذلك فلا بد للحقيقة أن
تظهر وأن يحل الولد الشرعى محل اللقيط

وقد ترك الحديقة وانصرف فلم يسر بضع خطوات حتى النقي بالطبيب
بولتون فحياء الطبيب وقال له

انى كنت أحسبك فى ايكوسيا أيها الصديق
قال لقد كنت فيها وعدت أمس

- انى رأيتك خارجاً من قاعة الملك فهل أصبحت من الحاشية
- كلا ولكنى أدخل الى الملك حين احتاج الى مقابلته واسأل العدل
- ألعلم أساءوا اليك

- كلا بل أساءوا الى رجل كانوا يحسبونه ميتاً وهو حى يرزق
- انى أعلم ما تعنيه فانك تريد بهذا الرجل ليونيل ابن اللورد
اسبرتهون الثانى

- بل وريثه الوحيد بعد موت أخيه المركيز
- أيها الصديق أسألك المذرة لأنى لم أتنبه الى حالتك العقلية حين
رأيتك وأنت تعلم انى طبيب
فقبض روبرت على ذراعه فهرزه بعنف وقال له انك تعلم يقيناً بأنى
لست من المجانين

- وأنا أريد أن أعتقد هذا الاعتقاد إلا اذا عدت الى مباحثتى فى
هذه الشؤون فانى التقيت الآن بالمركيز روجر وأنت تقول أنه ميت
- ليس هو بالمركيز روجر بل هو ابن سينيتيا
- أأنت تصدق وشايات توبسى التى جعلتها ابنة أخيك

فنظر اليه محققاً وقال له أنه يجب أن تكون وفقاً على هذه الحقيقة
أكثر من سواك فقد كنت طبيب اللورد الخاص

— لا شك أنى أعرفها

— إذن تتكلم

— أتريد

— بل التمس منك أن تقول الحقيقة

— إذن فاعلم أيها الصديق أنك على وشك الجنون وان خير ما تفعله
هو أن تعد أمتعتك وتسافر الى اوربا فان السفر مفيد في هذه الحالات
ثم حياه وانصرف فضرب السير ووبرت الأرض برجله مغضباً وقال
أن جميع الناس من حزه فليس لى به حيلة



ولنعد الآن الى ألن وليونيل فانهما خرجا من لندرا الى إحدى القرى
فياتا فيها وعند الصباح سأها ليونيل قائلاً الى أين نذهب

قالت أن عمى وروجر سيطوفان انكلترا للبحث عنا وخير ما أراه
أن نذهب الى منزل أمك في ايكوسيا وهناك ندعو كاهناً من إحدى
القرى فيعقد زواجنا ثم نعود ولا خوف علينا من أحد

فوافقها الى ما أرادت وسافرا الى هوتغور فأقاما كل يومهما مختبئين
في أحد فنادقها

وفي اليوم التالى أرادا استئناف السفر فقال له صاحب الفندق أن

الخليل لا تعود قبل ساعتين فاضطر العاشقان الى الصبر ساعتين مرت بهما مرور عامين وكان ليونيل يخرج من حين الى حين الى الطريق مفتقداً قدوم الخليل

وفي خلال ذلك كانت ألن مختلية في الغرفة تسمع حديث الخدم في الردهة فسمعت أحدهما يقول للآخر انى لم أرَ لورداً كهذا اللورد الذى مرّ بنا

فأجابه رفيقه الحق أنه أشبه بالاسبانيين منه بالهنود فان شعره الأسود يشبه جانح الغراب ولون وجهه يشبه الزيتون

فاضطربت ألن لهذا القول إذ ذكرت جان دى فرانس وعاد ليونيل اليها فأخبرها بقدوم الجياد وسافرا الى ايكوسيا

وهناك دعا ليونيل اليه أحد الكهنة وسأله أن يزوجهما فى الغد فوافقهما الكاهن ولكنه اعترض على أن يكون الزواج فى الغد بحجة أن ذلك اليوم يوم جمعة أى اليوم الذى صلب فيه المسيح واتفقوا على أن يكون الزواج يوم السبت

وفي ذلك اليوم ذهب ليونيل وألن الى الكنيسة فى الساعة المعينة وكان فيها بعض أهل القرية حضروا للصلاة ودخل فى أثرهما ثمانية رجال غرباء كان أربعة منهم بملابس التجار وأربعة متشحون بوشاحات تخفى ملابسهم

حتى اذا انتهت الصلاة وأراد الكاهن أن يبدأ حفلة الأكليل وقف فى باب الهيكل وقال

أيها الناس اى سأروج ليونيل دى اسبرتهمون من مس ألن فالدن
لهل يوجد من يعترض على هذا الزواج
فأجابه صوت قائلاً أنا

وقد دنا هذا الرجل من الكاهن فاضطربت ألن إذ عرفت أن هذا
الرجل أبوها ناثايل وقال له الكاهن لماذا تريد الاعتراض ومن أنت
قال اى والد هذه الفتاة وهؤلاء هم شهودى

وعند ذلك دنا الثلاثة الذين كانوا معه فقالوا نعم نشهد أنه أبوها
فصاحت ألن صيحة قنوط إذ رأت أن هؤلاء الثلاثة كانوا
جان دى فرانس وشمشون والمركيز روجر وصاح ليونيل بصوت يتهدج
بالغضب قائلاً روجر

فقلت مس ألن أن هؤلاء الشهود كاذبون

فتقدم عندئذ واحد من الأربعة الذين كانوا يخفون ملابسهم وأزاح
الوشاح وظهرت ملابسه العسكرية وقال انى اعترض باسم الملك على هذا
الزواج وأدعو توبسى باسم الملك أن تذهب مع أيها ناثايل
فهمجم ليونيل على أخيه وقال أيها الشقى ماذا فعلت
فوضع المركيز يده على كتف أخيه وقال له بلاء السكينة

انى أنقذتك من العار فان مس ألن تدعى توبسى وهى نورية وابنة
هذا النورى وقد طردها السير روبرت فعادت لك حتى كادت أن ترميك
فى فخها

فأطرق ليونيل برأسه وسقطت دمعتان من عينيه الى الأرض

القسم الحادى عشر

عثمان والبرنس دى غال

بعد شهر من الحوادث التى تقدم بيانها خرج رحلان من سراى سانت جيمس أى القصر الملكى وحملًا يسيران فى سوارع لندرا وكانت الليلة حالكة والضباب كثيفًا والبرد قارسًا فقال أحد الرجلين لرفيقه

أظن يا مولاي أننا نستطيع المخاطرة هذه الليلة

قال وأنا أرى رأيك يا دلتون فان مدائنى لا يفتكرون بى هذه الليلة

— ولكنى أرجوك أن تكون حكيمًا فلا تلقبنى بقلب السمى ولا تدعى

بيا مولاي بل أدعى جورج

ثم تأبط ذراعه دون كلفة وقال له

انى لا أجد مناخًا أقبح من مناخ بلادنا فما هذا الضباب الدائم وما هذا

البرد الذى لا يحتمل

قال الحق أن مناخها شديد

قال وان شرائعها أشد فانى لا أرى هؤلاء الناس يحترموننى وينحنون

أما حتى أحمل احترامهم على محمل التهمك وأى احترام هذا فان الملك

لا يحق له الخروج من لندرا إلا باذن خاص من البرلمان وولى عهده

لا تحفظ له خدمة إلا حين يكون فى سانت جيمس أو فى البرلمان فمتى

خرج منهما بات فرداً من أفراد الرعية يحق لدائنيه أن يقبضوا عليه

إنما وجدوه

قال انى اعترف أن هذه الشرائع شديدة على الأسرة المالكة
فتنهذ وقال هل يسمح ملك فرنسا ان تسرى هذه الشرائع على أسرته
ولكن أبى شديد الضعف كثير الميل الى العامة فانه ما تقاضى عنده شريف
وعامى الا حكم على الشريف

وهو يقول أنه يقتدى بذلك باجداده حين كانوا فى هولندا فانه يدعى
أنهم كانوا يخضعون لشرائع البلاد قبل رعاياهم

قال أية فائدة يا مولاي من التكموى فلا دواء لهذا الداء إلا الصبر
فاصبر الى أن تتيج الأقدار لسموك أن تجلس على عرش أليك
قال اسكت وكفى تدعونى بهذه الألقاب أتريد أن أيت الليلة
فى السجن



كان هذان الرجلان البرنس دى غال ولى العهد فى ذلك الحين
وسكرتيره

ولا بد لنا أن نوضح بالايجاز سبب هذه المحادثة الغريبة بينهما وذلك
أن البرنس دى غال كان معروفًا بفساد السيرة وله عيوب كثيرة أخصها
المقامرة فكان يلعب حتى خسر كل ما لديه فلجأ الى المراهبين وقد كثرت
ديونه وكثر مطله حتى وصلت شكوى الدائنين الى أبيه الملك

واتفق أن جريئًا من أعضاء البرلمان وضع على منضدة الرئيس كثيرًا
من العرائض

وكانت هذه العرائض شكاوى قدمها نحو ثلاثين مرابياً. يشكون من سمو ولى العهد أنه لم يفر ديونهم وأنه طردهم أقبح طرد حين طالبوه بالسداد

فتلا الرئيس هذه العرائض على الأعضاء واضطرب المجلس فقدم عريضة بهذا الصدد الى الملك

وعند ذلك أمر الملك المجلس أن يصدر قراراً مفاده أن ولى العهد يعتبر لدى دائنيه كسائر أفراد الرعية وأنه يحق لكل دائن أن يحاكمه وان يسجنه اذا امتنع عن وفاء دينه كما يعاملون سائر الناس ثم نظر الى ولده وقال له

أنتك عضو فى مجلس اللوردية بحق ولادتك وانك تقيم فى قصر سانت جيمس بصفتك ولى عهدى فاذا استندت ديوناً جديدة فان مدائليك لا يستطيعون القبض عليك فى سانت جيمس ولا فى مجلس اللوردية ولكنهم اذا لقوك خارجهما حق لهم أن يقبضوا عليك وقد أنذرتك فتدبر

فوعد البرنس أباه أن يسير سير العاقلين وأنه لا يتجاوز بنفقاته الميزانية المعينة له

ولكن وعده لم يقترن بالوفاء فلم يمض عام حتى تراكت عليه الديون وقد أبى أبوه أن يفي دينه وأمر المجلس بتنفيذ قراره فلم يعد ولى العهد يستطيع الخروج من قصر سانت جيمس إلا متحذراً متكرراً ولا يذهب

الى البرلمان لا فى مركبة ملكية يخفرها الفرسان
والآن فقد عرف القراء سبب شكوى ولى العهد من البرد والضباب
فانه لم يكن يستطيع الخروج فى راحة النهار والتمتع بنور الشمس
وكان يسير مع كاتم أسرارہ دلتون فى تلك الليلة وكلاهما يشكوان
فقال له دلتون

أف لهذا البرد ما أثقله

قال أنه مهما يكن من ثقله فهو أخف عندي من الدائنين وأرجو أن
يكونوا الليلة فى أسرهم فلا يخطر لهم أن يتبعونى
- هذا ممكن

- أظن أنه لم يرنا أحد حين خروجنا من القصر

- انى لم أر أحداً يا مولاي

- أنك تطمئننى

- أأذن لى يا مولاي أن أسألك سؤالاً

- قل

- أخرجت فى هذه الليلة الباردة لاستنشاق الهواء أم أن لك

غاية أخرى

- بل لغاية أخرى فقد أصبحت من العشاق

- ومتى كنت من أهل الزهد يا مولاي فانك كل يوم من الغرام

فى شأن

- ولكن غرامى اليوم لا يقاس به غرام
- أعلننا ذاهبان لانشاد الاهازيج تحت مشرف منزل التى تحبها
- ليس هناك مشرف
- أن لجميع القصور فى لندرا مشارف
- وهى ليس لها قصر
- إذن أنها من نساء التجار
- بل هى دونهن مقاماً
- أنك تدهشنى يا مولاي فمن هى هذه الساحرة
- لا شك أنها ساحرة كما تقول بدليل أنها فتنتنى بنظرة . أترى بد أن
- أصفها لك
- تفضل يا مولاي
- أنها شقراء الشعر سوداء العينين لا تتجاوز ثمانية عشر ربيعاً وهى
- تلبس ملابس أهل القرى ولكنها خلقت كما اشتهيت فلورأتها دوقة لسرى
- الى قلبها الحسد وتمنت أن تكون فى مكانها وعلى الجملة فهى جوهرة مكنونة
- أين وجدت هذه الجوهرة يا مولاي
- ان لهذا اللقاء حكاية
- دون شك فقد كنت ذاهباً منذ ثلاثة أيام الى البرلمان فمرت
- من هنا حيث نحن الآن
- وأنت تعلم انى حين اكون ذاهباً الى البرلمان لا اكثرث للدائنين
- إذ لا يستطيعون ايقاف مركبتى والحراس محدقون بها

وقد فتحت النافذة وجعلت ابتسم للناس الذين كانوا يحيوننى من
الجانبيين

وفيما أنا على ذلك رأيت تلك الفتاة التى وصفتها لك وقد وقفت تنظر
الىّ والى مركبتى فابتسمت لها وأرسلت اليها قبلة فى الهواء بيدي فاحمر
وجهها حياء وانصرفت مسرعة

وكان يصحبني خادم ذكى رأى ما كان فاندفع فى أثرها وأخبرنى فى
هذا الصباح عن كل ما عرفه من شأنها

- أين تقيم يا مولاي

- أنها تقيم فى شارع لا يخطر لأحد انى أذهب اليه ثم ضحك وقال

أنها تقيم فى وينغ

- هو ذاك يا مولاي فان دائيك لا يمكن أن يخطر لهم انك تتجول

عند انتصاف الليل وفى مثل هذه الليلة الباردة فى شارع لا يقيم فيه غير

الرعاى واللصوص

- إذن اسرع الخطى فانى أريد أن أصل الى هذه الحسنة التى فتننى

فحك دلتون أذنه ووقف موقف المتردد فقال له البرنس وهو يضحك

أعلك تأنف من الذهاب الى وينغ

قال كلا يا مولاي ولكنى لا أرى من الحكمة أن تخاطر بنفسك فى

هذا الشارع الذى لا يقيم فيه غير قطاع الطرق والبحارة السكارى وفوق

ذلك فان هذه الفتاة لا بد أن يكون لها أب أو اخوة أو عشيق

- كلا فانها تقيم فى بيت صغير مع أختها المريضة وعمتها المعجوز
كما أنبأنى خادمى وأنى متقلد حسامى تحت وشاحى وأظن أنى أحسن
استخدامه عند مسيس الحاجة

- اسكت اسكت يا مولاى

- ماذا

- أظن أنهم يتبعوننا

- ماذا تقول

- أنى أسمع منذ بضع دقائق وقع خطوات من ورائنا وهى متناسبة
مع خطواتنا

فوضع البرنس يده على قبضة حسامه ووقف مصغياً فسمع حديثاً
لم يتبينه إذ كان يصل الى مسمعه شبه الهمس فقال

أنهما رجلان يتحدثان فى شؤونهما فلنهتم نحن فى شأننا

ومشى فتبعه دلتون وهما يصغيان فيسمعان وقع خطوات الرجلين
فقال البرنس

لقد بدأت أن أضجر منهما فقف الى أن يرا ورنى ما يكون

ولكنهما حين وقفا وقف الرجلان فمشى البرنس اليهما وهو لا يراها

لتلبد الضباب الى أن لاح له أشباح سوداء فصاح بهم دلتون قائلاً

أنكم اذا كنتم من قطاع الطرق فقد اخطأتم بتعقبنا فأننا لا نملك غير
سيفين صقيابين

فأجيب بضحك الساخر ورأى أن الاثنين أصبحا ستة فتراجع الى
الوراء وقال للبرنس

جرد حسامك يا مولاي فقد طوقونا

فامتشق حسامه وصاح بهم قائلاً الى الوراء

ولكنهم أجابوه بالضحك ثم سمع صفيراً خاصاً ورأى الأشباح محدقة به
فعاد الى الانذار والوعيد

وعند ذلك قال له واحد منهم بلهجة المتهمك لقد عرفناك يا مولاي
ونحن كثيرون فخير لك التسليم اذا كفت من العاقلين

فانقض البرنس بحسامه على الرجل الذي كلمه وتراجع الأشباح كأنهم
ذعروا فاندفع البرنس في أثرهم

ولكنه لم يسر ثلاث خطوات حتى عثرت رجله بشيء لم يره فوقه على
الأرض وأفلت الحسام من يده

وكان دلتون سقط مثله فانقضوا عليهما وقيدوا أيديهما

وعند ذلك أدرك البرنس أن هذا الرجل الذي كان يتهمك عليه
إنما كان من ضباط البوليس التجارى الذى كان يمهّد اليه الدائنون
القبض على المديونين وارسالهم الى السجن

وقد توهج البرنس من الغضب وقال لهم ويلكم أيها الأشقياء فسنقطع
رؤوسكم جزاء لكم

فأجابه الضابط قائلاً أن رأسى يا صاحب السمو الملكى ثابت بين كتفى
لا خوف عليه

قال ويحك أيها الوقح أتعرفنى وتجسر . . .

قال لست أنا الذى يجسر يامولاي على هذه الجراءة القبيحة وانما هو
البرلمان أما أنا فأنى من أخلص رعايا جلالة الملك
فحسب البرنس أنه يستطيع اغواءه بالمال فدفع اليه كيسه وقال
خذ هذا

فهز الضابط الكيس كأنه يريد أن يعلم مقدار ما فيه من الدنانير
ثم قال له

إن سموك مخطيء يا مولاي

قال ماذا تعنى

— أعنى أن هذا الكيس لا يوجد فيه أكثر من عشرين دينار ومقدار
الدين الذى على سموكم يبلغ ستة آلاف جنيه وهو المبلغ الذى اضطرتت
من أجله أن أكن لكم قرب السراى واقبض عليكم بالرغم عنى
— تباً لك من خائن

— كلا لست بخائن يا مولاي فقد كنت عالماً أنكم عازمون على

الخروج فى هذه الليلة من السراى

— انى سأشتقك أيها الوقح

— أن الحبل المعد لشتقى لم ينسج بعد

— ومتى صرت ملكاً

— أن جلالة أليك فى أتم عافية وهو أصغر منى سنأفتى ارتقيت الى

العرش كنت أنا من أهل القبور فلا خوف على من عقابك
- والآن فلأذن لى مولاي أن أقول له أن البرد قارص وانه
يجدر به أن يعود

- عد بى الى سانت جيمس

- كلا يا مولاي

- إذن الى أين

- الى السجن التجارى يا مولاي

فارتعد البرنس لهذه الالهانة ومضى الضابط فى حديثه فقال
انى كنت واثقاً من القبض على سموكم فى هذه الليلة فأنبات مدير
السجن فأعد لكم غرفة جديدة بسموكم
فطاش صوابه من الغضب وقال أيها اللص أنك لم تظفر بى بعد
ثم حاول أن يقطع وثاقه فلم يستطع
وعند ذلك سمع وقع خطوات عسكرية فجعل يصيح مستغيثاً ويقول
الى . . . الى

فأسرع صاحب الخطوات وقال من هذا الذى يستنجد
فقال البرنس أنا هو البرنس دى غال تجاسروا على أن يدوا
أيديهم الى

فدنا الرجل وظهرت علائم الدهشة على الضابط حين رأى هذا الرجل
فقد كان طويل القامة يلبس ملابس البحارة ولكن نبل هيأته كان يدل
على انه متكرر بهذه الملابس

أما هذا الرجل فإنه انحنى بجلء الاحترام أمام البرنس ثم نظر الى الضابط وقال له

ويحك كيف جرأت هذه الجرأة على ولى العهد
فتمتم الضابط قائلاً الرئيس ثم أجاب الرجل قائلاً
أرجو معذرتى فقد امتثلت للأمر الصادر الى
قل ليس لك أن تتلقى الأوامر إلا منى وانى أأمرك الآن أن تترك
عند قدمى سموه فإنه قد يعفو عنك بعد رجائى
فركع الضابط ممتثلاً وجعل يعتذر بلسان يتلعثم والبرنس مندهش
مما يراه

ثم أمره الرجل أن ينصرف برجاله فأسرع بالامثال وانحنى الرجل
أمام البرنس وقال له
ما كنت أتمنى يا مولاي ألا ان اكون مررت بهذا المكان قبل أن
يتجاسر هؤلاء الأتقياء

وكان البرنس قد ثاب من دهشته الأولى ولكنه لبث معجباً بهذا
الرجل فقال له

من أنت أيها السيد فقد رأيت ضابط البوليس التجارى يضطرب
أمامك وهو لا يضطرب أمام أحد
قال ذلك انه مدين لى بجميل
فقال له دلتون

واكنك كنت تكلمه بلهجة السيادة وسمعه يناديك متمما
بلقب الرئيس

قال ذلك انى كنت شبه رئيسه

فقال له البرنس

انى لا أدعك تنصرف قبل أن أعرف اسمك فانى أريد ان اظهر
لك امتنانى فى الغد على مشهد من النبلاء

قال لا حاجة الى ذلك يا مولاي فانى ما عملت إلا ما يجب على
ويكفينى رضاك

انما التمس من سموكم أن يأذن لى بمرفقته الى سراى سانت جيمس
ولكن البرنس ذكر حين رال عنه هذا الخطر الغرض الذى كان
قادماً من أجله فقال له

انى لا أريد العودة الى السراى

قال ان سموكم قد يكون مخطئاً

قال انى عاشق وأريد أن أرى من أحب

فابتسم الرجل وقال انى عارف بذلك يا مولاي

فزاد اندهاش البرنس ومضى الرجل فى حديثه فقال

انكم رأيتم يا مولاي منذ يومين فتاة شقراء تلبس ملابس عامة الشعب

— هو ذاك

— وان هذه الفتاة هى أخت المرأة التى أحبها فاذا كنتم تريدون

يا مولاي مراعاة من أتقدم من هذا الموقف ...

فلم يدعه البرنس يتم حديثه وقال له

كفى فاني لا أعود الى التفكير بها مهما كلفني ذلك من العناء فاني
مدين لك وأنا من دم ملكي فاعلم اني اتعهد لك بأنى لا أحاول اغواء
هذه الفتاة

- اشكركم يا مولاي

- والآن ولم يبق لى غاية من مواصلة السير فقد رضيت اقتراحك
فعد بي الى السراى

- انى ممثل لأوامر سموكم

وسار الثلاثة عائدين الى القصر الملكى فقال له البرنس

أتعلم أيها الصديق ان لك من السلطة النافذة ما لم ينل بعضه ابن الملك
فابتسم الرجل وقال

أتحسب يا مولاي ان لى هذه السلطة

- دون شك

- ليس على سموكم إلا أن يثق بى فيستطيع بعد ذلك الطواف فى

الشوارع حين يشاء وكما يشاء

- أحق ما تقول

- نعم يا مولاي

- كيف ذلك والدائنون يراقبوننى ليل نهار أيدعوننى أسير

دون اعتراض

- نعم يا مولاي

- اذن أنت من السحرة

- ربما

- اذا كان ذلك فهبني شيئاً من القوة وثق انى لست ممن

ينكرون الجميل

- أثق بى يا مولاي

- كل الثقة

- اذن تفضل بالذهاب معى

وكانوا قد اجتاروا فى تلك الساعة جسر لندرا وعطفوا الى الشوارع
الكبرى الجميلة فكان الرجل يسير فى الطليعة مسرعاً والبرنس
ودلتون يتبعانه

وبعد ربع ساعة وصلوا الى منزل جميل حسن الرواء فوقف الرجل
وقال لقد وصلنا

ثم قرع الباب ففتحته امرأة عجوز وانحنت أمام الرجل بلاء الاحترام
وقال البرنس فى نفسه

لا شك انه نبيل متنكر

ثم دخل دلتون فى أثره الى المنزل فاجتازوا رواقاً ثم صعدوا سلماً
ففتح الرجل الباب وادخاها الى قاعة كان يدل فرشها انها غرفة اشغال
وقد قدم كرسياً للبرنس ولبث واقفاً أمامه باحترام فضحك البرنس
وقال له

لقد قلت لنا انك ساحر ولكنى لا أجد فى هذه الغرفة ما يحمل
على الرعب

قال ان الطريقة التى سأرشد مولاي اليها تشبه السحر لبساطتها
قال ما هى

قال ان الدائن يشبه الكلب الهائج فاذا أعطيته لقمة سكت هياجه
قال ان الطريقة سهلة كما تقول ولكن تنفيذها صعب فانى لا أستطيع

ان أعطى الدائنين شيئاً

ففتح الرجل درجاً وأخرج منه غلافاً محشواً بالأوراق فقال له
هذه هى قوائم حسابك يا مولاي

فوقف البرنس منذهلاً وقال له الرجل

وان هذه القوائم معلم عليها بالوصول من أصحابها

- ولكن . . .

- هذه هى يا مولاي فتفضل وانظر فيها

فافتقدها فوجد عليها توابع أصحابها فخيل له انه فى حلم وقال له

هل لك ان توضح لى هذا المعنى

قال ان حله سهل يا مولاي فقد وفوا جميع دائتيك ما خلا الذى

كان يطالبك هذه الليلة وسيوفى حقه غداً

- من الذى وفى هذا الدين

- المخلصون لسموك يا مولاي

- ربما كنت أنت
- نعم يا مولاي
- اذن من أنت
- ان اسمي لا يدل على شيء يا مولاي
- ولكنني أريد ان أعرفه
- فانحنى الرجل وقال
- اني أدعى عثمان
- أأنت هو الناباب عثمان الذي جعلك جاك روجر وريثه الوحيد
- نعم يا مولاي
- وأنت الذي وفيت ديني
- فانحنى عثمان وقال له البرنس اذن أنت من كبار الأغنياء
- لست أنا الغني يا مولاي بل طائفة أتولى زعامتها
- ما هي هذه الطائفة
- هذا الذي يستحيل ان أقوله لسموكم
- ولكنني أريد أن أعلم
- ليس هذا بسر يا مولاي
- أعلم اني مدين لك بستة آلاف جنيه
- كلا يا مولاي فلست مدينًا لي بشيء
- فوقف البرنس وقد بدت عليه علامم الأنفة

انه لو وفى البرلمان ديونى لقبلت وأما ان تفيتها طائفة سرية فلا
- إذا أتيت يامولاي الى سراى سانت جيمس والتمست مقابلة
سموكم أتأذن لى بالمقابلة
- دون شك

- اذن سأزور سموكم فى يوم لا أستطيع أن أعينه الآن وأطلب
مكافأتى عن هذه الخدمة اليسيرة التى تشرفت بتقديمها لمولاي
فقطب البرنس حاجبيه وأدرك عثمان خوفه من هذا القيد فقال
اطمئن يا مولاي فلا اطلب ما عيس بالشرف والواجب
قال اذن ابق هذه القوائم عندك فانى أريد ان أبقى مدينك الى ان
أفى هذا الوعد الذى أعدك به اليوم
فانحنى عثمان وقال

لم يبق لى يا مولاي غير ملتبس التمسه من سموكم
- ما هو

- هو أن تفضلوا بكتمان ما كان بيننا
- إنى أعدك بالكتمان

ثم التفت الى كاتم أسراراه وقال له أسمعت يا دلتون
فانحنى دلتون وقال عثمان مخاطبًا البرنس
والآن هل يريد مولاي أن يعود الى السراى
قال نعم

فقرع عثمان جرساً ودخل شمشون فقال للبرنس أن هذا الرجل
يمتلى يا مولاي في شوارع لندرا وانكم تستطيعون أن تسيروا الى حيث
تشاؤون حين يكون في خدمتكم

ولما وصل البرنس الى السراى ودخل الى غرفته دهش دهشاً عظيماً
إذ رأى على منضدة جميع قوائم الحساب التى رآها عند عثمان فقد وصلت
قبله الى غرفته مع أنه لم يقف فى الطريق حين خروجه من منزل عثمان
وقال فى نفسه لم يبق شك فى أن هذا الرجل من السحرة
وقد صعد الى سريره وحاول الرقاد ولكنه لم يغمض له جفن الى
الصباح وهو يناجى نفسه بهذا السؤال ويقول

ترى ماذا يريد منى هذا الرجل مقابل الدين الذى وفاه عنى وهو
سته آلاف جنيه

ولما أشرق الصباح قام الى منضدة وكتب ما يأتى
من البرنس دى غال الى الناباب عثمان
« أيها السيد

أنك أنقذتنى من الدائنين ورددت الى القوائم ولكنى لا أزال مدينًا لك
فاعتبر هذا الاعتراف سنداً علىّ بذلك الدين »

ثم نادى دلتون وأمره أن يذهب بالرسالة الى المنزل الذى اجتمع فيه
بعثمان وانتزع من أصبعه خاتماً كان منقوشاً عليه شعار الأسرة المائكة وقال له
أعطه الرسالة وهذا الخاتم على سبيل التذكار

فخرج دلتون وعاد بعد ساعة وهو يحمل الرسالة والخاتم

فقال له البرنس ما هذا

قال أملكك واثق يا مولاي اننا لم نكن أمس حالمين وان ما جرى لنا

كان في اليقظة

- وأنت

- لست واثقاً

- كيف ذلك

- ذلك انى بحثت أدق بحث فى ذلك الشارع عن المنزل وعن

الناباب عثمان فلم أقف على أثر

- أن الرجل قد يختفى وأما المنزل . . .

- لم أجدهما

- أنا أجدهما

ثم تأبط ذراع دلتون وخرج واياه فى رائعة النهار فطاف جميع شوارع

لندرا دون أن يقف على أثر لذلك المنزل فجعل دلتون يضحك ويقول

أرأيت يا مولاي اننا كنا حالمين

قال أريد أن أوافقك على اعتقادك ولكن ذلك محال فقد لقيت فى

طريقى كثيراً من الدائنين فكانوا ينحنون أمامى بلاء الاحترام مما يدل

أنهم قبضوا ديونهم

وعاد البرنس الى السراى فلبث بضعة أيام وهو منذهل أشد الانذهال

مما اتفق له

ثم تناسى هذه الحادثة وكاد أن ينسى عثمان
وبعد اسبوع دعاه أبوه الملك اليه وقال له يظهر أنك نصائحى قد
أثرت فيك

قال ماذا تعنى جلالتك

قال لقد علمت أنك وفيت ديونك

قل نعم يا مولاي

فمد اليه يده فصافحه وهو يقول

إذا كان ذلك فاني أعود الى صداقتك وأزيد راتبك أربعة آلاف
جنيه في العام

فانحنى البرنس أمامه شاكرًا وهو يقول فى نفسه لا تنك ان عثمان
سحر أبى فأنعم علىّ هذا الانعام

ثم قال له الملك أنك ما زلت أصبحت من العاقلين فاني أأذن لك
بمحضور المجلس الخاص الذى حرمتك من حضور جلساته

قال لقد أغدقت علىّ نعمك يا مولاي فأنك تسمح لى أن اهتم
بشؤون المملكة

قال أنك تعرف السير روبرت فالدن أحد أعضاء مجلس البرلمان
أليس كذلك

قال نعم

قال خذ هذه الورقة التى قدمها الينا وأقرأها فأخذ البرنس الورقة
وقرأ ما يأتى

مولاي

التمس من جلالته أن تأذنوا لي بمقابلة خاصة يحضرها سمو البرنس
دي غال واثنان من أعظم النبلاء لشأن خطير يمس شرف جميع نبلاء
الانكليز

فلما قرأها قال له أبوه ما عساه يريد السير روبرت
قال أنه يا مولاي مشهور بغرابة اطواره واظن انه يهتم بالصيد
والاسفار اكثر من اهتمامه بالسياسة
ومع ذلك فإن جلالته قد عودتم الاشراف ان لا ترفضوا لهم مقابلة
وسنرى ما يريد

قال اذن اكتب له اننا سنستقبله غداً في الساعة التاسعة من المساء
في قاعتنا الخاصة وسيحضر هذه المقابلة ولي عهدنا واثنان من الاشراف
كما قال

فأخذ البرنس قلماً وكتب ما يأتي :

ان جلالة الملك جورج الثالث قد تفضل واذن للسير روبرت فالدن
أن يتشرف بمقابلته في الساعة التاسعة من مساء غد في القاعة الخاصة

جورج

برنس دي غال

وقد أقام البرنس مدة يتحدث مع أبيه ثم دعاه أبوه الى مناولة الطعام
معه فذهب البرنس الى قاعاته الخاصة كي يتأهب للجلوس على مائدة

الملك فقد كان من مصطلحاتهم أن لا يجلس ولى العهد على مائدة الملك
إلا وهو مرتد بملابس قائد الفرسان العام

وبينما كان غلماناه يعطرونه ويلبسونه حانت منه التفاتة الى المنضدة
فراى رسالة مختومة ففضها وقرأ فيها ما يأتى :

« نلتمس من البرنس دى غال أن يمر بقاعة أشغاله حين ينتهى من
لبس ثيابه »

فألقي هذه الرسالة فى النار وبعد أن فرغ من لباسه ذهب الى قاعة
أشغاله فصاح صيحة دهش

ذلك انه رأى الناباب عثمان بجانب المستوقد وهو على أتم السكينة

القسم الثانى عشر

الرحيل

فى اليوم التالى أى فى اليوم الذى عينه الملك لمقابلة السير روبرت فالدن ركب روبرت مركبته وذهب لزيارة اللادى سيسلى قبل موعد الملك بساعة فانها لم تكن أشهرت أمرها بعد

وكان ليونيل قد برح به الوجد فنه على أنفته ونفوره من الزواج بنورية كان لا يزال يحب توبسى وقد أمرضه هذا الحب حتى أوشك أن يشرف على الموت

فلما دخل روبرت كان ليونيل نائماً فسأل أمه عنه فقالت له ان الطبيب يبشرنا بقرب شفائه ولكنه أول من أمس كاد أن ينتحر

- كيف ذلك

- انه أراد أن يلقي بنفسه من النافذة ولو لم يتفق دخول روجر فى تلك الساعة ويمنعه عن قصده لقضى عليه ولكنه سكن بعد ذلك وذهب يأسه بذهاب الحى

فقطب روبرت حاجبيه عند ذكر روجر وقال انى أتيتك لأحدثك بشأن المركيز روجر

- ولدى

- المركيز روجر

- انى مصغية اليك

- انى لم أرك بعد ذهابى الى قصر اسبرتهون وقد اتصل بى ان
المركيز روجر يريد أن يعترف علناً بأن ليونيل اخوه وان يشاطره ثروته
هو ذاك فكيف تشكك الآن بولده

- بل لم يبق سبيل الى الشك

- تريد انه ولدى أليس كذلك

- كلا انه ليس ولدك وقد ثبت لى ذلك بالبرهان

- ما هو برهانك

- لقد لقيت العبد الذى كان يحرس ولدك روجر حين كان خادماً

عند اللورد اسبرتهون وهو يثبت ان ولدك لسعته حية وهو فى مهبه
فمات وكان ذلك فى اليوم الذى قتلت فيه السير جاك

- رباه ماذا أسمع ألا يمكن ان يكون هذا الرجل كاذباً

- كلا بل انه يقول الحق

- واذا لم يكن ولدى فعلى ماذا عزمت

- على أن أتمس من الملك أن يجعل ليونيل مركيزاً بدلاً منه

- وروجر

- يعود الى طائفة النور التى خرج منها

- كلا ان ذلك لا يكون فانه اذا لم يكن ولدى فانى أحبه كأنه

ولدى وكفى انه كاد ان يقتل ليونيل فلما سمع صوتى ألقى حيسامه
الى الأرض

- تمنى فانك تسيثين الى ليونيل وتحرمينه من لقيه
 - ان ليونيل نفسه لا يريد حرمان من يدعوه بأخيه
 - ولكنه ليس كذلك بل هو مزور
 - ليس هو الذى ارتكب هذا التزوير وفوق ذلك فانه اذا لم يكن
- لدى فهو ابن اللورد

فنظر اليها بحزن وقال فى نفسه لا أرى أحداً غيرى يسمع صوت
لواجب ثم نهض فودعها وقال
أرى يا سيدتى انه يجب أن أعمل قصدى
قالت ماذا تريد أن تعمل
قال واجباتى

وقد تركها وانصرف الى دكان كان يجتمع فيه العبيد الذين يطلبون
الاستخدام فنادى واحداً منهم وهو أحد العبدین اللذين كانا فى خدمة
اللورد اسبرتهون فى الهند وقال له هل أنت متأهب

قال نعم يا مولاي

- أقول ما قلته لى أمام الملك

- نعم يا مولاي

- اذن أنت واثق ان المركيز الحقيقى قد مات

- كل الثقة فقد أخبرتك كيف أن الطبيب بولتون أخذه من مهبه

وهو ميت بموافقة اللورد وكيف أنه عاد فى الليلة نفسها بطفل حى يشبهه

فوضعه في مهده وكيف أن هذا الطبيب رشاني بمبلغ عظيم من المال حين
علم بأنى رأيته وأمرنى أن أسافر الى سنجاور
- أتعيد كل هذه الأقوال أمام الملك

- نعم

- اذن تعال معى

فصعد العبد الى جانب السائق وسارت المركبة الى قصر الملك فلما
أراد السير روبرت الدخول اعترضه حاجب قائلاً الدخول ممنوع
قال ان الملك أرسل الى كتاباً يأمرنى فيه بالحضور
- أملك لم تعلم يا مولاي بماذا حدث

- ماذا

- ان الملك أصيب بالليل بعارض جنون وقد تولى البرنس دى
غال مكانه ادارة المملكة

فأغتم السير روبرت وحاول الانصراف وعند ذلك جاءه ضابط فقال
له أنت السير روبرت يا مولاي

قال نعم

قال تعال فقد أمر سمو البرنس ان ندخلك اليه

فأمر العبد أن ينتظر في الردهة ودخل وحده الى القاعة الملكية
فأبتسم له البرنس دى غال وقال انك التمت مقابلة جلالة الملك فأمرنى
ان أتولى مقابلتك عنه لأنه مريض

ثم انك التمتست ان تكون هذه المقابلة بحضور شاهدين من أشرف
المملكة فاخترت شريفيين من خيرة رجال بلاطنا
ثم قرع جرساً فدخل كاتم أسرار دلتون فأشار اليرنس اليه وقال
مخاطباً السير روبرت

هذا أحد الشاهدين وهو اللورد ارشيبالد دلتون كاتم أسرار وان
أحد أجداده قاتل بجانب الملك غيليوم الفاتح
فأنحني السير روبرت امامه وقرع الملك الجرس أيضاً وقال وهذا
شريف آخر لا سبيل الى الشك بشرفه وبسالته

وعند ذلك فتح الباب ودخل المركيز وروح دي اسبرتمون وهو
بملايس التشريفات الكبرى

فتراجع السير روبرت كأنما هوة قد فنتحت امامه
أما المركيز فانه حياه وجلس الى يمين اليرنس كما جلس دلتون عن
يساره فنظر اليرنس الى السير روبرت وقال له تكلم فاننا مصغون اليك
فبذل السير روبرت جهداً عنيفاً حتى تمكن من ضبط نفسه ونظر
نظرة منكرة الى المركيز ثم انحني امام اليرنس وقال

ان طائفة يامولاي قد جاءت الى اسكترا منذ عشرين عاماً وهي
طامعة بالمناصب وتندر بأن تحل محل ابناء البلاد فيها
قال أوضح ما تقول فمن هذه الطائفة

قال انها طائفة النور يا مولاي

فضحك البرنس وقال

لقد كنت أحسب ان أعمال هذه الطائفة مقصورة على التجول في

الشوارع والرقص في الطرقات

- كلا يا مولاي إذ يوجد واحد منهم من كبار الجوهريين

- حسنًا

- ويوجد واحد منهم من الصيارفة

- وبعد ذلك

- وآخر من القضاة

- لم أجد الى الآن موضع الضرر

- وأخيراً فان واحداً منهم يجلس مع النواب في مجلس اللوردية

- ما هذا القول أملك فقدت صوابك

- كلا يا مولاي بل انى أقول الحق

- أليدك برهان على ما تقول

- دون شك

- إذن أنت تعتقد انه يوجد نوري بين أعضاء اللوردية

- هو ذاك

- انك تروى لنا حادثاً جليلاً فكيف يكون هذا الانتحار

- انه ابن أحد اللوردية ولكن أمه النورية ولدته سفاحاً فخل محل

ولده الشرعى

- انك اذا استطعت أن تبرهن لى عن ذلك طردت جميع النورية
من المملكة

- وانى التمس منك ان تأذن لى بتقديم هذا البرهان

- ولكنى أريد قبل ذلك أن تذكر لى اسم هذا المنتحل

- انه يدعى روجر دى اسبرتهون وهو على يمينك يا مولاي

أما روجر فانه لم يبد عليه شىء من علائم الاضطراب بل انه نظر
الى البرنس وقال له بلاء السكينة

انى أرى يا مولاي ما يراه سموكم وهو ان السير روبرت فالدن قد
فقد صوابه

ومع ذلك فانه اذا استطاع ان يبرهن انى نورى رضيت أن أترد
مع طائفتى

فأجابه البرنس قائلا

لا شك ان السير روبرت اغتر بأقوال تلك النورية المجنونة التى
أتتك يوم عودتك من أميركا فذكرت ولدها الميت وادعت انها أمك
فقال السير روبرت انها كانت تقول الحق يا مولاي

- هات برهانك

- أتأذن لى يا مولاي ان أدخل رجلا كان فى خدمة اللورد
اسبرتهون حين كان حاكم الهند فهو يثبت انه روجر الحقيقى أى ان ابن
اللورد الشرعى قد مات

- أين هو هذا الرجل

- فى الردهة يا مولاى

فاصدر البرنس أمره بادخال العبد ولكنه قبل أن يدخل أزمحت
ستارة بجانب الباب وظهر رجل كان مختبئاً وراءها وهو بلباس فرسان
الملاك فنظر الى العبد نظرة منكرة ثم رفع سبابته على فمه يأمره بالتكتم
ودخل وراء الستارة

وقد ارتجف العبد حين رأى هذا الرجل واصفر وجهه الاسود ثم
أطرق برأسه اطراق المستسلم للقضاء ودخل فقال له البرنس
ماذا تدعى أيها الرجل

- ألينيو

- أ كنت فى خدمة اللورد اسبرتهون فى الهند

- نعم يا مولاى

- أ كان له ولد

- نعم يا مولاى

- وهذا الولد مات

- لا أعلم

فتوهجت عينا السير روبرت من الغضب لهذا الجواب غير المنتظر
وقال له

ويحك أيها الشقى ألم تقل لى انه . . .

قال لقد قلت لك يا سيدى أن حية لسعته وأنه كان مريضاً

- بل قلت لى أنه مات

- لا أعلم ياسيدى اذا كان قد مات فقد طردونى من القصر فى

اليوم نفسه وكان الطفل لا يزال فى قيد الحياة

فاصفر وجه السير روبرت ووضع يده على جبهته فابتسم البرنس

وقال لروجر

اطمئن أيها المركيز فقد ثبت لنا الآن جنون السير روبرت فالدن

ولما خرج العبد من القاعة الملكية انصرف وهو يقول

لقد كذبت ولكنى اضطررت الى الكذب فان هذا الرجل الذى

أمرنى بالكتمان قد أنقذنى مرة فى الهند من الخناقين فلم أجد بداً من طاعته

أما هذا الرجل فقد كان جان دى فرانس



بعد ذلك بأسبوعين كان المركيز روجر مريضاً فى سريره وقد اشتد

به المرض حتى خشى عليه من الموت

وذلك أنه بينما كان ساهراً ذات ليلة فى نادى الحسان أصيب بدوار

شديد فجئى وسقط بين يدى الناباب عثمان

وقد حملوه الى قصره وجاؤوه بالطبيب بولتون فتولى معالجته

وكان قبل ذلك بأسبوع أعلن أن ليونيل أخوه واستأذن البرنس

دى غال واستصدر أمراً من البرلمان فاشرك أخاه بثروته ولقبه فانتقل مع

أمه الى قصر المركيز

فلما جاء الطبيب بولتون ونخص المركيز قال انه مصاب بحمى هندية
وانها حمى خطيرة ولكنه غير قانط من شفائها
وقد اضطربت لندرا لمرض المركيز فان انتصاراته الأخيرة حبيته
الى جمع الناس ولا سيما حين ذاع بينهم انه لم يجر على نظام اللوردية
وانه ساوى نفسه

ففى تلك الليلة أى بعد أسبوعين من مرضه كان مرضه يحول الى
غيبوبة فلم يكن يعود اليه صوابه الا فى النادر
وكان الطبيب بولتون واللادى سيدلى وليونيل واقفين بجانب سريره
وقد فتح عينيه ونظر اليهم فأسرت اللادى اليه وأخذت يده بين
يديها وقالت له بلاء الحنو

ولدى . . . كيف أنت . . . ألم تعرفنى
وقبل ليونيل حبيته وقال له وأنا أأست بأخيك
فبرقت عينا روجر وفتح فمه يحاول الكلام ولكنه ما لبث أن سقط
برأسه على الوسادة وعاد الى الغيبوبة
فصاحت أم ليونيل قائلة رباہ انقذه مما هو فيه
وأمسك ليونيل يده وجعل يغسلها بدموعه فنظر الطبيب الى اللادى
وقال لها بصوت منخفض
أن مرضه شديد

قالت انك ستشفيه أليس كذلك
قال لا أستطيع أن أجزم بشفائه واأسفاه

فجعلت تشهق بالبكاء فقال الطبيب
أن الموقف خطير يا سيدتى ولا بد لى من أن أقول لك الحقيقة فى
هذا الموقف

- رباه ماذا تريد أن تقول لى

- أن روجر ليس بولدك

- انى عارفة بذلك ولكنى أحبه كأنه ولى فانه كريم شريف

ثم بسطت يديها الى السماء وقالت رباه خذ حياتى واجعلنى فداء هذا
الفتى الكريم فقد كان يحبنى ويحترمنى حب الأبناء للأمهات

وركم ليونيل وقال أيها الأخ العزيز انى لا أعلم اذا كان بطن واحد
قد حملنا ولكنى أعلم أن أبانا واحد وانك أليق منى بارث لقبة المجيد

فانهضه بولتون وقال له اذن أتوافق اذا قدرت السلامة لروجر أن
يكون هو المركيز الحقيقى وتكون أنت ثانى أنجال اللورد اسبرتهون

قال اتقذه أيها الطبيب وانى اقسم بالله أن لا أقول كلمة فى حياتى تدل
انى واقف على الحقيقة

قال اذن سافرغ مجهودى فى سبيل شفائه فدعونى ابقى وحدى معه
فخرج ليونيل وأمه وعيونهما غارقة بالدموع وذهب بولتون فاقلع الباب
من الداخل وعاد الى المركيز وقد فتح عينيه واستوى جالساً فى سريره
وعاد اليه هداه فقال له بولتون أسمعت الحديث

قال نعم وقد أيقنت الآن أنهما جديران بفضيحتى

ثم نظر الى شعار اسرة اسبرتهون المقوش فوق المستوقد والى صور
أعضاء تلك الأسرة المعلقة على الجدران فقال مخاطبها

أيها الرسوم الكريمة اصفحى عن ابن النورية اللقيط لحلوله زمناً محل
الابن الشرعى ولاقامته فى قصر لا يحق له الاقامة فيه

يا آل اسبرتهون انى لا يحق لى أن أنسمى باسمكم وان كانت دماؤكم
تجول فى عروقى فسأرجع سيفكم القديم الى من يعرف أن يتقلده وسأرجع
ثروتكم العظيمة الى من يعرف كيف ينفقها فى سبيل مجدكم
ثم التفت الى الطبيب وقال له

أيها الصديق القديم انى فعلت الآن واجباتى فهات الشراب الذى
أعددت فانى أشربه بملء الارتياح ودون خوف

فذهب بولتون الى منضدته فأخذ كأساً من الفضة وأخرج من جيبه
زجاجة صغيرة فافرج ما كان فيها فى تلك الكأس وجاء بها الى روجر

فأخذ روجر الكأس وهو يتبسم وشرب ما فيها جرعة واحدة وقال
ما هذه النهاية فليحفظ الله المركيز ليونيل دى اسبرتهون من كل كيد
ثم انقلب على سريره وقد أطبقت عيناه واصفر وجهه وبردت يده
وذهب بولتون ففتح الباب وخرج الى حيث كان ليونيل وأمه فقال

له بصوت يتهدج من الحزن

أن قضاء الله لا يرد يا سيدى الكولونيل فانت الآن المركيز

دى اسبرتهون وستجلس فى مجلس اللوردية

وفي اليوم التالي غصت ردهات قصر اسبرتهون بالمرکبات وغصت قاعاته الرحبة باللوردية واشراف الانكليز فان المركيز روجر دى اسبرتهون وقائد فرسان الملك قد ادركته الوفاة

وكانوا قد وضعوه فى القاعة الكبرى وأقبل الأشراف يودعون جثته وكان البرنس دى غال نفسه قد حضر مع جميع بطانته وسمعه الناس يقول حين انصرافه

أن الملك فقد بفقده أبسل قواده وأنا فقدت خير صديق
وبعد انصراف البرنس أفقلت أبواب القصر فقد انتهى عرض الجثة
وعند ذلك قال الناباب عثمان ليونيل
يجب أن تخرج من هذه القاعة يا سيدى المركيز
قال أترك أخى كلا... كلا

قال ان هذا لا بد منه فقد دنا وضع الجثة فى التابوت وعادة الانكليز أنهم لا يدعون أهل الميت يحضرون هذا المشهد الذريع
فأكب ليونيل على وجه روجر ليعانقه ويفسله بدموعه فنهض عثمان وأخرجه من القاعة

وعاد اليها فأشار الى الكاهن أن ينصرف فخرج ولبث عثمان وحده أمام روجر وهو يتحقق فى وجهه ويقول
انى أعددت لك مستقبلاً عظيماً ولكنك أبيت
وعند ذلك فتح الباب ودخل منه الطبيب بولتون ووراءه رجلان

يحملان التابوت وهما شمشون وذلك النورى حارس مقبرة سانت جيل
فوضع عثمان أصبعه على فمه اشارة الى السكوت وسأله بصوت
منخفض قائلاً

أ أعددت المعدات

قال نعم فان تشييع الجنازة سيكون عند هبوط الليل وسندخل
التابوت الى مدفن العائلة وجميع حراس المقبرة من رجالنا

— أنت واثق من الدواء الذى أعددتَه

— نعم ولكن لا يستطيع سوى استعماله

— واذا اتفق أنك مت هذه الليلة

— يلبث روجر ميتاً الى أن يستفيق يوم الحشر فى وادى يهوشافاط
فارتعد عثمان وقال له الطبيب

ولكن المحنى فسأبقى حياً الى انتصاف الليل وان أبواب القبر المقفلة
على المركيز روجر ستفتح فيخرج منها أميرى ملك النور وهو فى أتم عافية
قال اذن افعل فعالك واذا كر أنك ضمننت حياته

قال لا تحف واذهب فى شأنك

فذهب جان وتقل شمشون ورفيقه روجر الى التابوت وأقفلاه

فقال لهما الطبيب

اذهبا الآن الى المقبرة ولا تبرحاهما واذا كرا

فقال شمشون اطمئن فاننا لا ننسى

ثم انصرفا فأخرج بولتون زجاجة صغيرة من جيبه وقال
انى أرتعد حين أفكر أن حياة روجر فى هذه الزجاجة وانى اذا امت ...
ولكنه قبل أن يتم جملة اضطرب وجعل العرق البارد يسيل من
وجهه فانه رأى وجه رجل قد ارتسم فى مرآة كانت بجانبه ولم يدر من
أين دخل فان الباب كان مقفلاً

أما الرجل فانه مشى الى بولتون وقال له
انك أخطأت أيها الطبيب بابعادك الخدم وأهل الميت وجان
دى فرانس عنك

فتوقع بولتون خطراً عظيماً وقال
السير روبرت فالدين
قال نعم أنا هو فانك اتخذت كل أسباب الاحتياط . لكنك نسيت
أن تقفل بالمفتاح هذا الباب
فوضع الطبيب يده على قبضة حسامه وجرد السير روبرت حسامه
ببطء وقال

لك الخيار الآن بين أن تعطينى هذه الزجاجة وبين ان تموت فانى
لا أريد أن يعود روجر الى الحياة فى هذه الليلة
وقد مشى بحسامه الى الطبيب فجرى بينهما قتال عنيف لم تكبر سمه
فى خلاله غير صوت أنفاسهما

وكان بولتون يقاتله وهو يرتعد خوفاً على روجر ويقول فى نفسه

انه اذا قتلنى مات روجر

فكان هذا الحاطر يشدوه فى القتال ولكن السير روبرت كان من

أشهر رجال السيف وقد عول على قتل بولتون وكسر الزجاجة

وفياهما يتقاتلان صاح بولتون صيحة يأس هائلة فان حسامه قد

انكسر وشعر برأس حسام السير روبرت على صدره وسمعه يقول

انى لست من الذين يقتلون الناس غيلة ولكن اقسم بالله انك اذا لم

تعطنى الزجاجة قتلتك دون اشفاق

فتراجع بولتون الى الوراء واحتذى وراء كرسى كبير وهو يقول

من لى بسيف . . . رباه لا تقض بموت هذا البرىء

وعند ذلك فتح الباب الذى دخل منه السير روبرت بعنف ودخلت

منه توبسى ربيبة السير روبرت وهى تحمل سيفاً فاسرعت باعطائه الى

الطبيب وهى تقول

وأنا أيضاً لا أريد أن يموت روجر فقد أنقذنى من الموت وأنا أحبه

فأخذ السيف من يدها وعاد الاثنان الى القتال بأشد عنف



وفى الساعة الثامنة من المساء احتفل بتشييع جنازة المركيز روجر

دى اسبرتهون الى مقبرة سانت جيل حيث كان لأسرة اسبرتهون

ضريح خاص

وقد مشى فى ذلك الموكب المهيب جميع نبلاء انكلترا وكان يتقدمهم

اثنان مكشوفاً الرأس أحدهما ليونيل الذى أصبح الآن مركزياً والثانى
أعظم نبيل بعد الملك وهو البرنس دى غال
وكان الناباب عثمان يسير بين أعضاء نادى الحسان وهو حزين القلب
كاسف البال

ووراء الجميع الطبيب بولتون أما السير روبرت فالدن فلم يره أحد
بين جموع المشيعين

وقد وضعوا التابوت على بلاطة عند مدخل الضريح وجعل كل من
المشيعين يقف فى دوره عند التابوت فينحني وينصرف الى أن جاء
دور الطبيب فانحني أمامه وقال بصوت منخفض

رحمك الله يا سير روبرت فالدن
ذلك انه كان قد قتله ووضعه فى التابوت بدلاً من روجر



وكان رجل واقفاً وراء شجرة كبيرة وهو منشغ برداء كبير وقد قنع
وجهه بقناع كثيف فلم يفته شئ من تفاصيل هذه الحلقة

وقد مر الناس به فكان يراهم من وراء مكنته ولا يرونه فرأى ليونيل
يسير وهو يشفق بالبكاء ورأى عثمان يسير وهو مطرق الرأس ورأى
البرنس دى غار يسير والى جانبه الدوق دى سومرست وسمع هذا
الدوق يقول للبرنس

هل تصدقون سموكم ما أشيع من أن المركيز دى اسبرتهون
كان من النور

فأجابه البرنس قائلاً

لا أعلم اذا كان البرنس نورياً ولكن الذى أعلمه أنه لو كان النور مثلهم
لجعلتهم كلهم حين أصير ملكاً من الأشراف
فقال الرجل المقنع فى نفسه

انك شرفتني أعظم تشريف وسأخدم عرشك بدمى
ولما انصرف الناس خرج الرجل المقنع من مكانه فوجد عند باب
لمقبرة فارسين كان أحدهما يمسك عنان جواد أدهم فترجلا عند وصوله
وقدما له الجواد ثم انحنيا بجلء الاحترام وقالاه

أيها الملك ان رعاياك ينتظرون أوامرك
أما هذا الرجل فقد كان روجر فان بولتون كان قد رد اليه الحياة
بعد أن سقاه ذلك الخدر وبعد أن قتل السير روبرت ووضعته فى نفسه
فتقنع وشهد جنازة نفسه مع المشيعين

الخامسة

كان البحر هادئاً وسفينة النور تتأهب للسفر بتلك الطائفة الى غير هذه البلاد

وكان عند الشاطئ خلق كثير من تلك الطائفة وبينهم أميرى ملك النور أى روجر وجان دى فرانس وشمشون وجميع رجال الطائفة ونسائها وأولادها وقد أهدقوا جميعهم بملكهم الجديد بعد جان فاسترعى مسميهم ووقف بينهم فقال

أيها الاخوان انى جمعتمكم هنا لأن ساعة الرحيل قد دنت وسترفع سفينتنا مراسيها

أيها الاخوان ان الله الهنا واله جميع الناس قد وضع كلا من مخلوقاته فى الموضع الذى خصه به فقال للنسر انك ستخلق فى الفضاء وتخلق بجناحيك وتجعل الهواء مملكتك

وقال للرجل أنك ستنشئ المدن وتؤسس الممالك ولكنه قال للنورى أنك ابن البرية وأن هواء الحرية كان عاصفاً حين مولدك فكانت الرمال تثور على خيمتك والرياح تقتلع أطنابها وأنت بعيد عن المدن القرى

غير انى منعحتك نظر النسر النافذ وقوة الجواد العربى السريع وجراحة الأسد المصور وأردت أن تكون ذلك السائح الأبدى تطوف البلاد

ومحبوب الفياى وأنت امن مطمئن وجعلت مواطنك الدنيا وحدود بلادك
من القطب الى القطب فدفع الناس العاديين يشتغلون ببناء المدن وتعيين
الحدود وانشاء الممالك أما أنت فمدنك المضارب ومملكته لا حد لها
أيها الاخوان أنه اذا وجد بينكم من ألد عيش الحضارة وأنف من
عيشنا عيش التشرّد وأراد أن يبقى فى هذه البلاد فليقف فانى لا اكره
أحدآ على الذهاب معنا

فلم يقف واحد منهم بل هتفوا جميعهم بصوت واحد ارنج له الفضاء
قائلين

ليحيى أميرى .. ليحيى ملكنا

قال اذن لنسافر

ثم أخذ مشعلاً من يد شمشون فلوح به ثلاث مرات وقال هذه هى
الاشارة التى اتفقت عليها مع ربان السفينة

ولم يكذب ينهى من اشارته حتى أجابه ربان السفينة بأشارة مثلها
وارسل القارب لنقلهم اليها

وعند ذلك سمعوا وقع حوافر جواد يركض ولم تكن غير هنيهة حتى
وصل ذلك الجواد ورأوا عليه امرأة

وقد نزلت تلك المرأة عن جوادها وقالت

انى نورية مثلكم وأريد أن أسافر معكم

فصاح جان واميرى وشمشون قائلين توبسى

فقلت لاميرى نعم انا هى توبسى التى كانت تدعى مس الن ولو
أخبروك بأنى أنا التى أعطيت السيف لبولتون فأنقذك لرضيت أن أكون
منكم وأنا أسافر معكم

قال نعم لقد علمت وستسافرين معنا

فنهضت عند ذلك امرأة وقالت بصوت مرتفع ولكنى أنا لا أريد
وقد مشت اليها والخنجر مجرد بيدها فضج الجميع اذ رأوا أن تلك
المرأة التى كان يحبها جان أصدق حب وهى التى أطلقت ألن النار عليها
فأصابتها بجرح كاد يقتلها

أما تلك المرأة فاتها دنت من أميرى وقالت له أنك ملكنا الآن ولا بد
للملوك من العدل

قال انى سأحكم بالعدل

قالت انى أدعى اليبسى وهذه المرأة عدوتى اللدودة وقد أصابتنى
برصاصة لا يزال أثرها فى كتفى فالتمس طردها من الطائفة أو قبولها بمبارزتى
فقلت ألن لقد رضيت المبارزة

فاضطرب جان وقال انى لا أريد

ولكن أميرى أسكته وقال لتوبسى أتقولين أنك ترضين مبارزتها
فجردت ألن خنجرها وقالت نعم ولكن بشرط أن لا ينتهى قتال
بالموت وأن لا يعترضنا أحد فيه

فأطرق جان برأسه وجعل أميرى ينظر الى هاتين المرأتين اللتين

بلغتا من الجمال بقدر ما بلغتا من الحقد ثم قال لقد أذنت بقتالكما
فصاحتا صيحة فرح وقال جان ماذا فعلت يا أميري فقال له شمشون
لا يحق لك أن تعترض الآن فان اليبسى كانت البادئة
ولم ينقض المتبارزان كما يتبادر الى الأذهان بل وقفت كل منهما
والخنجر مجرد يمينها ويدها اليسرى الى الأمام كترس تذود به عن
صدرها وهي تنظر الى خصيمتها كما تنظر الضواري الى الفريسة وتتأهب
للاقتضاض فقالت اليبسى

انى اكرهك لأنك أردت قتل جان دى فرانس وهو شبه معبودى
فأجابتها توبسى أما أنا فلا اكرهك ولكنى أحتقرك وأريد أن أجعلك
سالمًا أرقى به الى حيث أشاء

فهلع قلب جان من خوفه على حبيبته وركض يريد أن يحول دون
القتال ولكن شمشون أوقفه فى مكانه وقال له أن الملك أمر أن لا يعترض
أحد قتالهما فلا تكن أول العابثين بأمره يا جان

ونشب القتال بين الفريقين ولكن توبسى احتالت على اليبسى فألقتها
الى الأرض وركعت فوق صدرها ورفعت يدها بالخنجر وهمت أن تغمد
فى قلبها فبسط جان يديه الى أميري وقال له رحماك العفو العفو
فالتفتت اليه توبسى وقالت أنك تسأل العفو

وقالت انى أعفو ولكن بشرط
ثم نظرت الى أميري وهي لا تزال راكعة على صدر خصيمتها وقالت له

انى كنت طامعة وشرائعنا لا تحرم الاطعام وتجهيز الانتقام وبعد فانى
أصلحت ما أفسدته أليس كذلك

قال نعم

قالت انى يحق لى أن أغمد خنجرى فى صدرها فاذا عفوت عنها
فماذا تكافئنى

فهاج فى صدر روجر حبه القديم وقال انى أجعلك ملكة
فنهضت توبسى نهوض المنتصر وألقت بخنجرها الى الأرض فأمسك
أميرى بيدها وقال للجميع انحنوا أمامها فانها زوجتى وملكتم
فكادت تسقط بين يديه لفرحها وقالت له بصوت خافت
أنك تعلم يميناً انى بت أحبك أصدق حب بعد أن أنقذتنى فاعلم أن
حبك لا ينتزع من صدرى حتى بعد الموت

وعند الفجر كانت السفينة تخرق عباب البحر وهى تحمل النور وأموالهم

تمت

كتب ادبية اخلاقية واجتماعية

٦	ابتسامات ودموع	مى زيادة
٣	الاجتماعيات - مجموعة مقالات أدبية اجتماعية	أوليفيا عبد الشهيد
١٥	الأدب والدين عند قدماء المصريين	انطون ذكرى
٤	آراء الدكتور شبلى شميل	الدكتور شبلى شميل
٨	أزجال نظير	خليل نظير
١٥	أسول الفلسفة المجلد الاول يشمل الجزء من الاول والثانى	{ امين بك واصف
١٠	أصول الفلسفة الجزء الثالث	
١٢	» » » الرابع	
٦	الامير وهو تاريخ الامارات العربية والقرون الوسطى	محمد لطفي جمعه
٨	أوراق متناثرة	سليم عبد الأحد
٦	أين الانسان	الشيخ طنطاوى جوهرى
١٤	باحثة البادية	مى زيادة
٣	البيان والاعراب عما فى أرض مصر من الاعراب	ابراهيم رمزى
٢٨	تاريخ التربية	مصطفى بك امين
٧,٥	تفصيل وخياطة الملابس	رزق عبد الله
٦	ثمرة الحياة	حسن بك رياض
١٥	جبل الدروز	حنا أبى راشد
٤	جوامع الكلام	احمد فتحى باشا زغلول

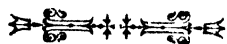
محمد عمر	١٢	حاضر مصرين او سر حرم
عجاج نويهض	٦٠	حاضر العالم الاسلامى جزءان
نسيم نوفل	٨	حافظ السلام
على باشا أبو الفتوح	٢٠	خواطر فى القضاء والاقتصاد والاجتماع
احمد فتحى باشا زغلول	٤	رسالة من امير الى سلطان
الدكتور شلى شميل	٢	رسالة المعاطس لابن جلال
وسيله محمد	٥	رسائل غرام بين نساء شہيرات ورجال عظام سليم عبد الأحد
شكرى صادق	١٠	روح الاعتدال
احمد فتحى باشا زغلول	١٠	سر تطور الامم
على فكرى	١٠	سعادة الزوجين ٣ أجزاء ثمن الجزء
الدكتور شبل شميل	٦,٥	سلى النجاح ٣ أجزاء ثمن الجزء
محمد لطفي جمعه	٤	شكوى وآمال
ولى الدين بك يكن	١٥	الشهاب الراصد (رداً على كتاب الشعر الجاهلى)
الشيخ طنطاوى جوهرى	٣	الصحائف السود
الصاغ محمد مدبولى صفا	٢	صدى صوت المصريين فى أوربا
اليزدى	٢٠	الطيور والحیوانات الداجنة الجزء الأول
الدكتور محمد عبد الحميد بك	٨	العراضة فى الحكاية السلجوقية باللغة التركية
الشيخ على الجارم	١٢	عظة وذكرى
ومصطفى بك امين	١٦	علم النفس وآثاره فى التربية والتعليم

حافظ نجيب	١٠	الغرور
{ عوض بك ابراهيم والشيخ على الحارم	١٨	الفخرى في الآداب السلطانية (طبعة منقحة)
الدكتور سنبل شميل	١٢٠	فلسفة النشوء والارتقاء جزءان
نجيب المندراوى	١٠	كيف تعبش مائة سنة
وديع البستانى	١٠	محاسن الطبيعة
حافظ نجيب	١٠٤	محاضرة في التربية والأخلاق
منصفان	١٠	مذكرات هندنورج جزءان
حبب الزيات الدمشقي	٣	المرأة في الجاهلية
	٥	المراسلات الرسمية البريطانية السياسية
ولى الدين بك يكن	١٠	المعلوم والمجهول ثان
وديع البستانى	٨	معنى الحياة
على فكرى	٨	المكائنات الفكرية
قسطنطين الحمصى	١٨	منهل الورد في علم الانتقاد جزءان بغلاف
{ حافظ بك ابراهيم وحليل بك مطران	٥٠	الموجز في علم الاقتصاد ٥ أجزاء
حافظ نجيب	٦	الناسئة
نخبة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والموارد حرّان الشيخ ابراهيم البارحى	٤٠	
	٤	هدية الياذة

روايات وقصص

طانيوس عبده	ابنة المريكز	٥
الدكتور خليل بك سعادة	أسرار الثورة الروسية	٥
اميل بولاد	أنا أو ابن العصر	٤
فرح أنطون	الثورة الفرنسية ٤ أجزاء	١٨
الشيخ بولس مسعد	جان جراى أو ضحية الانتقام جزءان	١٠
احمد فهمي	جناية أوروبا على نفسها والعالم	٧
تقولا حداد	حب فى ثورة	٥
نجيب حداد	حديث ليلة	٢,٥
تقولا حداد	الحقيقة الزرقاء	٥
الدكتور محمد عبد الحميد با	سر كلومير	٥
	سيد بلانترى	٦
خليل بك سعد	الشركسية الحسنة	٤
اسكندر ابراهيم يرسف	شفاء العائلات من ادران الموبقات	١٠
تقولا حداد	الصديق المجهول	٦
ا . ف .	عشق المرحوم مصطفى باشا كامل	٥
اسماعيل عبد المنعم	على مسرح التمثيل	٤
شاكر شقير	غرائب الاتفاق ٤ أجزاء	٢٠
الدكتور يعقوب صروف	فتاة مصر	٦

يوسف البستاني	فرخ النسر	٨
الأب قسطندي الشاشا	فتاة الاسكندرية	٢
محمد طاهر حق	الفضيلة	٢
نجيب المشعلاني	القائدين	٨
قيصر شميل	القضاء السرى	٤
سكرى صادق	كاربولانوس أو عروس الأحزان	٢,٥
نجيب مندرأوى	مارى دى مدسيس	٥
استرمويال	المال المال المال أو فضائح البورصة	١٠
تقولا حداد	هوكر المحتال الأميركى	٢
١٠٠٠ ح	ياغندور أو العاشق الجميل	٥
وديع حريرى	يد القاتل جزءان فى مجلد واحد	١٨



روايات تمثيلية

انطون بك الجميل	أبطال الحرية	٢
صالح جودت بك	الأيمن	٤
انطون بك الجميل	السموأل أو وفاء العرب	٤
جورج طنوس	الشعب والقيصر	٣
خليل مطران	عطيل	٤
الياس فياض	لويس الحادى عشر	٥
الشيخ خليل اليازجى	المروءة والوفاء	٦
محمد توفيق فهمى	وفاء الغانيات	٥



